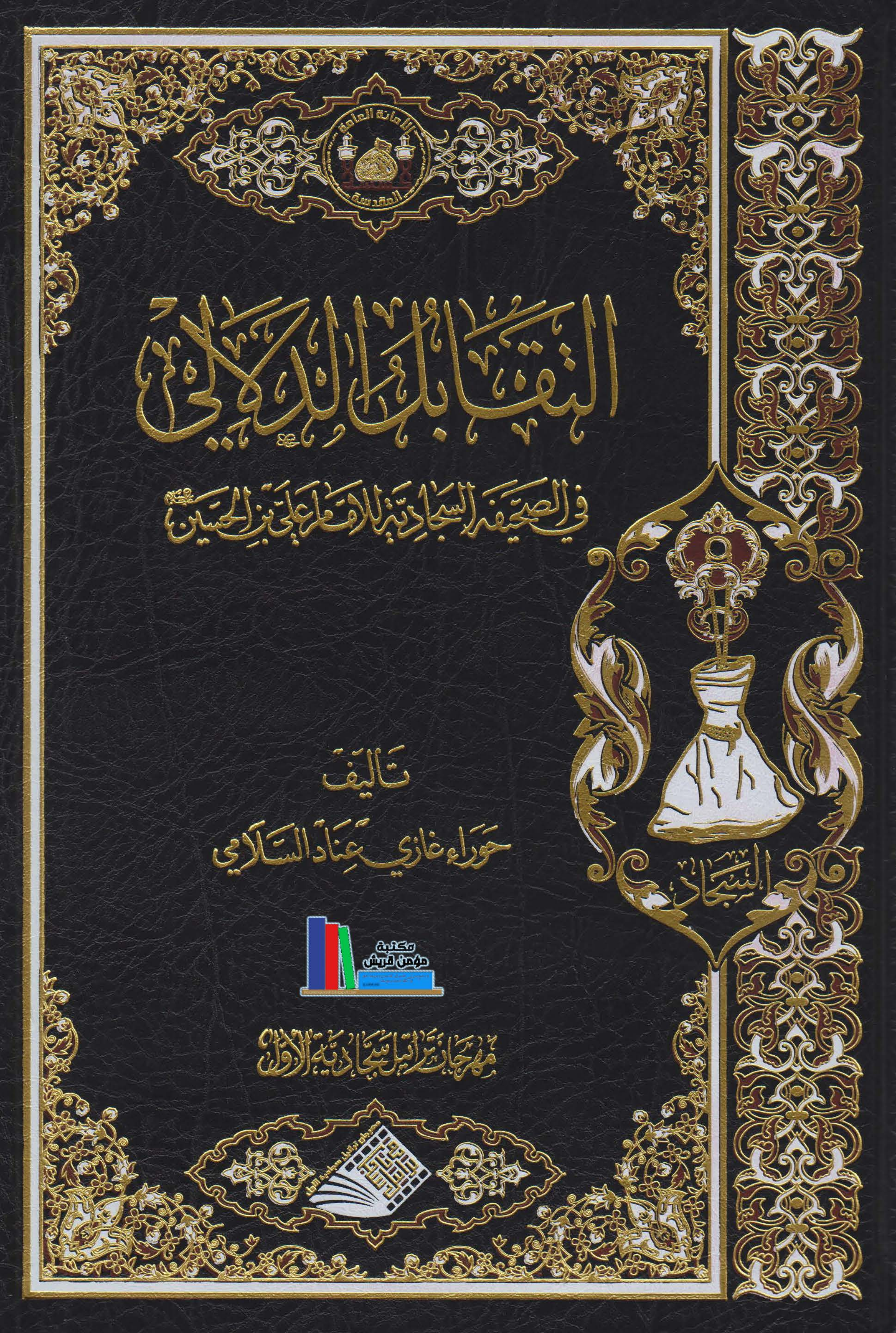


التقابل الدلالي
في الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين
تأليف
حوراء غازي عناد السلامي
مكتبة
مؤمن قريش
مهرجان تراتيل سجادية الأول
السجاد

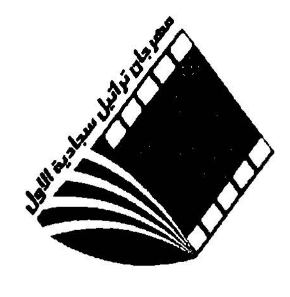
التقابل الدلالي

في الصحيفة السجادية

للإمام علي بن الحسين عليه السلام







هوية الكتاب

الكتاب : التقابل الدلالي في الصحيفة السجادية

تأليف : حوراء غازي عناد السلامي

الطبعة: الأولى ١٤٣٦هـ

الناشر: الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة/ قسم العلاقات العامة

الكمية المطبوعة: ١٠٠٠ نسخة

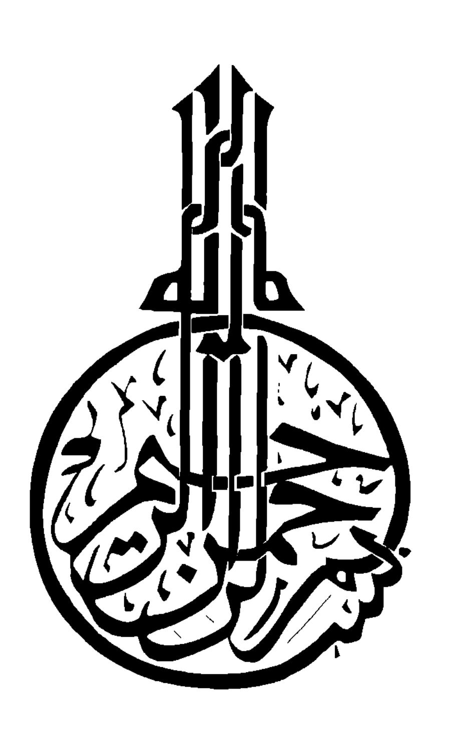
صف الحروف والإخراج الفني:

التقابل الدلالي
في الصحيفة السجادية
للإمام علي بن الحسين عليه السلام

تأليف

حوراء غازي عناد السلامي

الناشر
الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
قسم العلاقات العامة



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ
ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ
مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ
تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ
ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ
وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا
تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ
يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾

[النور: ٣٥-٣٧]

المقدمة

الحمد لله الأوَل بِلا أوَلٍ كان قبله والآخر بلا آخر يكون بَعْدَهُ الذي قَصُرَتْ عن رؤيته أبصارُ الناظرين وعجزت عن نعته أوهام الواصفين. والحمد لله الذي مَنَّ علينا بمُحَمَدٍ نبيه ﷺ دون الأمم الماضية والقرون السّالفة. . . . والحمد لله الذي جعلنا من أتباع مُحَمّدٍ وآلِهِ بجودهُ وتفضله.

أما بعد:

فالصحيفة السجادية أثر بالغ من آثار الإمام السجاد عليه السلام وسفر نفيس تشبه صاحبها، فحجمها صغير، إلّا إن ذخراً رفيع الطول يوسعها بالمعاني الجليلة أعمل فيها فكره وعقله لتكون أثراً خالداً من آثار الأدعية والمناجاة وهي تعبر عن الأفكار التي أراد الإمام طرحها إلى المجتمع لتكون وسيلة لنشر تعاليم القرآن وآداب الإسلام وطريقة آل البيت، ولتلقين الناس روحية الدين والزهد، وما يجب من تهذيب النفوس والأخلاق وهذه طريقة مبتكرة في التلقين لا تحوم حولها شبهة المطاردين، ولا تقوم بها عليه الحجة لهم، وجاءت في إسلوبها ومراميها في أعلى أساليب الأدب العربي، وفي أسمى مرامي الدين الحنيف وأدق أسرار التوحيد والنبوة، وأصح طريقة لتعليم الأخلاق المحمدية والآداب الإسلامية، فأصبحت مدرسة تعلم فيها القدامى وما زال المحدثون يتعلمون ويستمدون منها كثيراً من الحكم والأخلاق والعلوم.

ولعل سبب اختيار الموضوع هو رغبتي في أن تكون دراستي في خير خلقه - تعالى - محمد وآله الطاهرين، وأن تكون هذه الدراسة لغوية دلالية، ولما كانت الدراسات الدلالية فيضاً رحباً لدراسة كنز من كنوز آل

محمد، فقد آثرت دراسة (**التقابل الدلالي في الصحيفة السجادية**)، لأن ظاهرة التقابل تمثل معيناً يزخر بعدد كبير من أشكال لغوية متعددة، وصور كثيرة وأساليب متنوعة غلفت اللغة العربية، وقد جاء اختيار نص الصحيفة السجادية ميداناً للدراسة، بعد طول تأمل، وإمعان نظر في هذه النصوص دلالة وتراكيب نمطية، مما يستدعي الوقوف أمامها، فهو نص يرفض أن تكون له قراءة واحدة ويأبى الانتهاء، وقد حرصت في هذه الدراسة أن اُلزم نفسي جانب الحيادية والإخلاص إكراماً لصاحب النص وعملاً بالأمانة العلمية التي تقتضيها الدراسة الأكاديمية.

وكأي بحث أكاديمي تعترضه الصعوبات، فقد اعترضتني صعوبات منها: كثرة الدراسات الأكاديمية التي تناولت ظاهرة التقابل الدلالي، القريبة من الدراسة كالتقابل الدلالي في القرآن الكريم والتقابل والتماثل في القرآن الكريم والتقابل الدلالي في نهج البلاغة والبعيدة عنها كالتقابل في الحديث النبوي الشريف دراسة بلاغية او تقابل الصور في القرآن دراسة اسلوبية ومنها:

- ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية: عبد الكريم حافظ العبيدي، رسالة ماجستير، كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية، **١٩٨٩**.

- التقابل والتماثل في القرآن الكريم: فائز عارف القرعان، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب/ جامعة عين شمس بمصر، **١٩٩١**، وهي منشورة سنة **١٩٩٤**.

- التقابل الدلالي في القرآن الكريم: منال صلاح الدين الصفار، رسالة ماجستير، كلية الآداب/ جامعة الموصل، **١٩٩٤**.

- المقابلة في القرآن الكريم: عيسى باطاهر، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب/ الجامعة الأردنية بعمان، قبل سنة **٢٠٠٠**.

- تقابل الصور في القرآن الكريم - دراسة أسلوبية - : ثائر حسن محمد الغرباوي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب/ جامعة بغداد، ٢٠٠١.

- التقابل الدلالي في نهج البلاغة: تغريد عبد فلحي، رسالة ماجستير كلية التربية/ جامعة الكوفة، ٢٠٠٦.

- التقابل والتماثل في المثل العربي حتى نهاية القرن السادس الهجري: أسيل أمين العابدي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القادسية، ٢٠٠٧.

- التقابل في الحديث النبوي الشريف دراسة بلاغية فيما اتفق عليه الشيخان لواضعه محمد فؤاد عبد الباقي: أسماء سعود أدهام خطاب، كلية الآداب/ جامعة الموصل، ٢٠٠٥.

وكذلك كانت هناك بحوث منشورة منها:

- ظاهرة التقابل في علم الدلالة (بحث): د. أحمد نصيف الجنابي، مجلة كلية الآداب - المستنصرية، ١٩٨٤.

- ظاهرة التقابل في سورة الزمر (بحث): د. أحمد نصيف الجنابي مجلة الرسالة الإسلامية، طبع الدار العربية، بغداد، ١٩٨٨.

والصعوبة تكمن في خشية الوقوع في دائرة التكرار، لأن هناك تشابه كبير بين الالفاظ الموجودة في القرآن الكريم واللغة العربية ونهج البلاغة، وبين الالفاظ الموجودة في الصحيفة السجادية، وقد أصبحت هذه الدراسات من أهم المصادر التي أفدت منها في دراستي للنص السجادي، وكانت ندرة المصادر التي درست تراث أهل البيت دراسة حديثة هي الصعوبة الثانية التي واجهتني في دراستي.

وقد بني البحث على ثلاثة فصول سبقها تمهيد، فضلاً عن استهلال

كل فصل بمدخل قُدمت فيه أبجديات مهمة للدخول في مباحث الفصل، وخاتمة أسفرت عن النتائج التي توصل إليها البحث:

درست في التمهيد جانبين: الأول: الصحيفة السجادية وسندها، دون التعرض لتتبع الرواة، لإن هناك من سبقني إلى هذا الجهد، واكتفيت بذكر الدراسات التي تتبعت السند وذكرتُ مخططاً له، مشيرة إلى أن مجال الدراسة كان نص (الصحيفة السجادية الكاملة) دون الصحائف الأخرى لصحة سندها وتواترهُ.

وعني الجانب الثاني بدراسة: أنماط التقابل في العربية وقسمت من حيث الوضوح وعدمه إلى نمط (ظاهر وخفي)، ومن حيث العلاقات الدلالية إلى (نمط متدرج، وغير متدرج، ونمط متعاكس).

أما الفصل الأول: فقد درست فيه (التقابل الدلالي بين الألفاظ الأسمية المفردة)، واشتمل على سبعة مباحث: شغل الأول التقابل الدلالي بين ألفاظ الزمان وألفاظ المكان، وشغل الثاني التقابل الدلالي بين ألفاظ الهداية والضلال، وشغل الثالث التقابل الدلالي في ألفاظ العبادة وألفاظ الجزاء، وشغل الرابع التقابل الدلالي بين الألفاظ النفسية، وشغل الخامس ألفاظ الغيب، وشغل السادس التقابل بين ألفاظ الأجناس، وشغل السابع التقابل الدلالي بين ألفاظ أخرى، والجدير بالذكر إن دراسة التقابل للمفردة كان دراسة لـ (الأسماء والمشتقات والمصادر) من خلال توظيف أساليب (التقديم والتأخير والجمع والإفراد والتعريف والتنكير والحذف والذكر) توظيفاً غائياً يكشف عن براعة الإمام عليه السلام وتفننه بأساليب القول.

أما الفصل الثاني، فهو (التقابل الدلالي بين الأفعال)، وقد أنقسم هذا الفصل على مباحث ثلاثة: شغل الأول منها دراسة التقابل الدلالي بين

الأفعال الدالة على الماضي، والأفعال الدالة على الحال والاستقبال، وبين الأفعال الدالة على الأمر وشغل المبحث الثاني: دراسة تقابل التغاير والذي عرض لإنواع التقابل المتغاير (الافرادي، والتركيبي الافرادي، والمزدوج)، بينما درس المبحث الثالث تقابل الإيقاع وبيان أثر المستوى الصوتي في النصوص السجادية، وما له من تفاعل بين دلالاتها اللغوية وبين سياقاتها التعبيرية التي ترد فيه.

أما الفصل الثالث، فهو (التقابل الدلالي في التراكيب والأساليب) وقد أشتمل هذا الفصل على مبحثين: شغل الأول التقابل الدلالي بين التراكيب، والذي تضمن التراكيب الفعلية التي فعلها (ماضٍ ومضارع وأمر، والتراكيب الشرطية والاسمية والظرفية) وشغل المبحث الثاني التقابل الأسلوبي والذي تضمن دراسة التقابل بين الوحدات الكبيرة (الأساليب) وهي الصور والمواقف والمشاهد.

لينتهي البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ومما يجدر الإشارة إليه أن عرض مادة البحث وترتيبها جاء على وفق لكثرة ورودها في الصحيفة السجادية، لذلك جاء الفصل الأول أوسع الفصول من حيث عدد محتوياته، لكثرة المفردات الموجودة في النص السجادي، على وفق منهج وصفي معتمدة على استقراء المادة العلمية أولاً ثم تبويبها وفرزها بحسب ما تشترك فيه من الظواهر اللغوية المختلفة، ثم إيضاح الاستخدامات والظواهر اللغوية المختلفة وتحليلها دلالياً.

وقد استعنت في عرض المادة بالأسلوب الإحصائي بالقدر الذي أفادت منه الدراسة في إبراز القيمة الدلالية في عرض مادة النص.

وقد تنوعت المصادر والمراجع التي نهلت منها، وتعددت موضوعاتها بسبب طبيعة الموضوع، منها كتب اللغة والنحو والمعجمات والبلاغة

وكتب الدلالة الحديثة فضلاً عن اعتمادي على الرسائل والاطاريح الجامعية التي لها مساس بموضوع الدراسة.

وليس لي في نهاية المطاف إلاّ إسداء الفضل لأهله وذلك بتقديم عظيم شكري لله تعالى وامتناني لأستاذي الدكتور عبد الكاظم الياسري الذي تحملني ومرضي طويلاً، في تقويم ما أعوج في البحث من أول غرسه حتى نما واستوى على سوقه، ولن يوفيه الشكر والامتنان جزاء ما بذله من حرص دقيق وعون وافر ومتابعة وإرشاد، وأسال الله تعالى أن يوفيه أجره بالعافية الوافرة عافية الدين والدنيا والآخرة وأن يبقيه ذخراً للعلم وأهله.

ولم يبق إلَّا أن أقول: إنني عندما اخترت هذه الدراسة وخطوت فيها تلك الخطى قصدت أن أقدم فيها ما يقربني من الباري سبحانه ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم زلفى، فإن كان في هذه الدراسة حسنات تذكر، فالفضل فيها لله تعالى ومن ثمَّ لأستاذي الدكتور عبد الكاظم الياسري الذي أكرمني بعلمه وأبوته وحسن أرشاده ومتابعته، وإن كان في البحث هنات وهفوات فمن نفسي وتقصيري، طالبةً العفو ولعل الذي يشفع لي قلة خبرتي في هذا المجال وأخيراً الحمد لله في الآخرة والأولى.





التمهيد

أولا: الصحيفة السجادية

ثانيا: أنماط التقابل في العربية

أولاً: الصحيفة السجادية

قبل الخوض في خضم الدراسة اللغوية الدلالية للصحيفة السجادية، كان لابد لنا من المرور أولاً على الصحيفة والنظر فيما تحتويه للتعرف إلى شخصية المنشئ العظيمة، والاطلاع على سند الصحيفة وسلسلة روايتها، إذ لم تكن الصحيفة مجرد أدعية يتضرع بها العبد لربه فحسب، وإنما مثلت إسلوباً جديداً من أساليب الدعوة إلى الله والإصلاح الاجتماعي، من خلال ما تتضمنه هذه الأدعية، من إشارات فلسفية ونظرات اجتماعية ومناهج أخلاقية وايحاءات روحية، وخطوط إسلامية، لينطلق الناس من خلال الدعاء في الانفتاح على كل هذه القضايا، ليفكّروا ويهتدوا ويتحركوا نحو الأهداف الكبرى التي يستهدفها الإسلام في فكره وشريعته وحركته، فضلاً عن انها تمثل نهجاً إسلامياً في عبادة الله، والتوجه الذاتي الروحي.

١ - الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

هو الإمام علي بن الحسين عليه السلام رابع أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وجدّهُ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ولد في سنة ثمان وثلاثين للهجرة، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين، وعاش سبعاً وخمسين سنة، قضى ما يقارب سنتين أو أربع في كنف جدهِ الإمام علي عليه السلام ثم ترعرع في مدرسة عمه الحسن وابيه الحسين عليه السلام سبطي الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم وارتوى من العلوم النبوية واستقى من ينبوع أهل البيت الطاهرين.

برز على الصعيد العلمي إماماً في الدين ومناراً في العلم ومرجعاً لأحكام الشريعة وعلومها، ومثلاً أعلى في الورع والعبادة والتقوى، واعترف المسلمون جميعاً بعلمه واستقامته وافضليته وانقاد الواعون منهم الى زعامته وفقهه ومرجعيته[١].

٢ - سند الصحيفة السجادية وروايتها:

إن أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام أو الصحيفة السجادية هي عبارة عن برامج ثقافية للمعارف، والاخلاق وسلسلة رفيعة في الحكم والنصائح ومعالم فريدة في التوحيد والعرفان، ومجموعة كبيرة من المواعظ والآداب، لم يحو كتاب بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة ما حوته من منابع الخير والرشاد، والحديث عنها مهما سما فهو اقل منها، وما عسى أن يقول قائل في زبور آل محمد، منهل التوحيد ونهج الفصاحة[٢].

فالناظر يرى أن الكلمات فيها مرصوفة، رصفاً انيقاً، كأنها منتقاةٌ من نهج البلاغة يزينها روعة وحسن البيان.

وهكذا كان دأب الإمام، واسلوب الإمام وقاعدته في الفن الرفيع، فهي حزمٌ من الاجلال والوقار والحب، مشى بها في مهابة عزَّ نظيرها، لها فعل السحر على المأخوذين، وهنا فقط - مع الإمام - يصح نعت السحر على المقال.

---

(١) ينظر: حياة الإمام زين العابدين (دراسة وتحليل): باقر القريشي، ط١، دار الاضواء، بيروت، ١٩٨٨: ٢/ ٢٥٥ وما بعدها، ينظر: اعلام الهدى الإمام علي بن الحسين عليه السلام زين العابدين، لجنة التأليف في المجمع العلمي لأهل البيت، ط٣، مطبعة ليلى، قم المقدمة، ١٤٢٧: ١٧ - ١٨.

(٢) ينظر سيرة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: علي محمد علي دخيل، ط١، دار المرتضى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م: ١٠١.

لذا اعتنى أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم بالصحيفة السجادية، فتناقلوها بأسانيد كثيرة، وإجازات متعددة، وانكب عليها العلماء حفظاً ودراسة وشرحاً لها وتعليقاً عليها، فقد أورد صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة قائمة بشروحها مشيراً إلى اللغات التي كتبت بها (كالفرنسية والتركية والإنجليزية والألمانية والفارسية) وهي بين مخطوط ومطبوع، فضلاً عن أنه أشار إلى أماكن وجودها في العالم حتى بلغت عنده نيفاً وستين شرحاً[١] ومن الشروح:

- رياض السالكين في شرح الصحيفة السجادية: للسيد ابن معصوم المدني في (سبعة) مجلدات.

- تلخيص الرياض أو تحفة الطالبين المقتطف من رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين (صلوات الله عليه) لأبي الفضل الحسيني في (خمسة) مجلدات.

- لوامع الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: للسيد محمد باقر الموسوي الحسيني الشيرازي في (خمسة) أجزاء.

- شرح الصحيفة السجادية للسيد محمد الحسيني الشيرازي.

- في ضلال الصحيفة السجادية: محمد جواد مغنية.

- نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية: للسيد نعمة الله الجزائري وغيرها كثير[٢].

---

(١) ينظر: الذريعة الى تصانيف الشيعة: أغا برزك الطهراني، مطبعة القضاء، النجف، ط١، ١٩٥٩م: ١٣/ ٣٤٥ - ٣٥٩.

(٢) ينظر: شرح الصحيفة السجادية: لمحمد مهدي الحمداني.
- بحوث في الصحيفة السجادية: للشيخ صالح الطائي في (أربعة) أجزاء.

ومن الدراسات الحديثة بحث أعدّه الدكتور حسين علي محفوظ بعنوان (الصحيفة السجادية) مقدماً فيه جدولاً تفصيلياً يبين أعداد الشروح والحواشي والتعليقات وقسمه بحسب القرون الهجرية ابتداءاً من القرن السادس إلى القرن الرابع عشر الهجري(١).

وكذلك دراسة الباحث حسن غانم في رسالته الموسومة (الصحيفة السجادية دراسة أسلوبية)، تتبع فيها نقل سند الصحيفة وسلسلة روايتها، وقد فصّل القول فيمن أيد سند الصحيفة وردّ على من طعن في نسبتها إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام، وذكر أنه اختار رواية ابن معصوم المدني معللاً اختياره لسببين:

الأول: إن النص المشروح في تلك الرواية من أكمل النصوص وأشهرها فهو يتألف من أربعة وخمسين دعاء.

الثاني: كون ذلك الشرح هو النص المحقق الوحيد الذي بين ايدينا وقد قام بتحقيقه العلامة محسن الامين العاملي، أعادت نشره مؤسسة النشر الإسلامي، فضلاً عما عُرف به صاحب الشرح ابن معصوم من طول باع في

- دراسة حول الصحيفة السجادية: لمحمد حسين الحسيني.
- المعاني الجلية في شرح الصحيفة السجادية: السيد محمد حسين فضل الله في جزأين.
- الحديقة الهلالية شرح دعاء الهلال في الصحيفة السجادية: الشيخ البهائي.
- الصحيفة السجادية الكاملة ورسالة الحقوق من أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام: السيد محمد باقر الصدر.
- مع روحانية شرح أدعية أيام الأسبوع: للمرجع الديني السيد محمد حسين.

(١) ينظر: مجلة البلاغ: الصحيفة السجادية، د. حسين علي محفوظ، ع (١٠) سنة ١٩٦٧، ٦٢ وما بعدها.

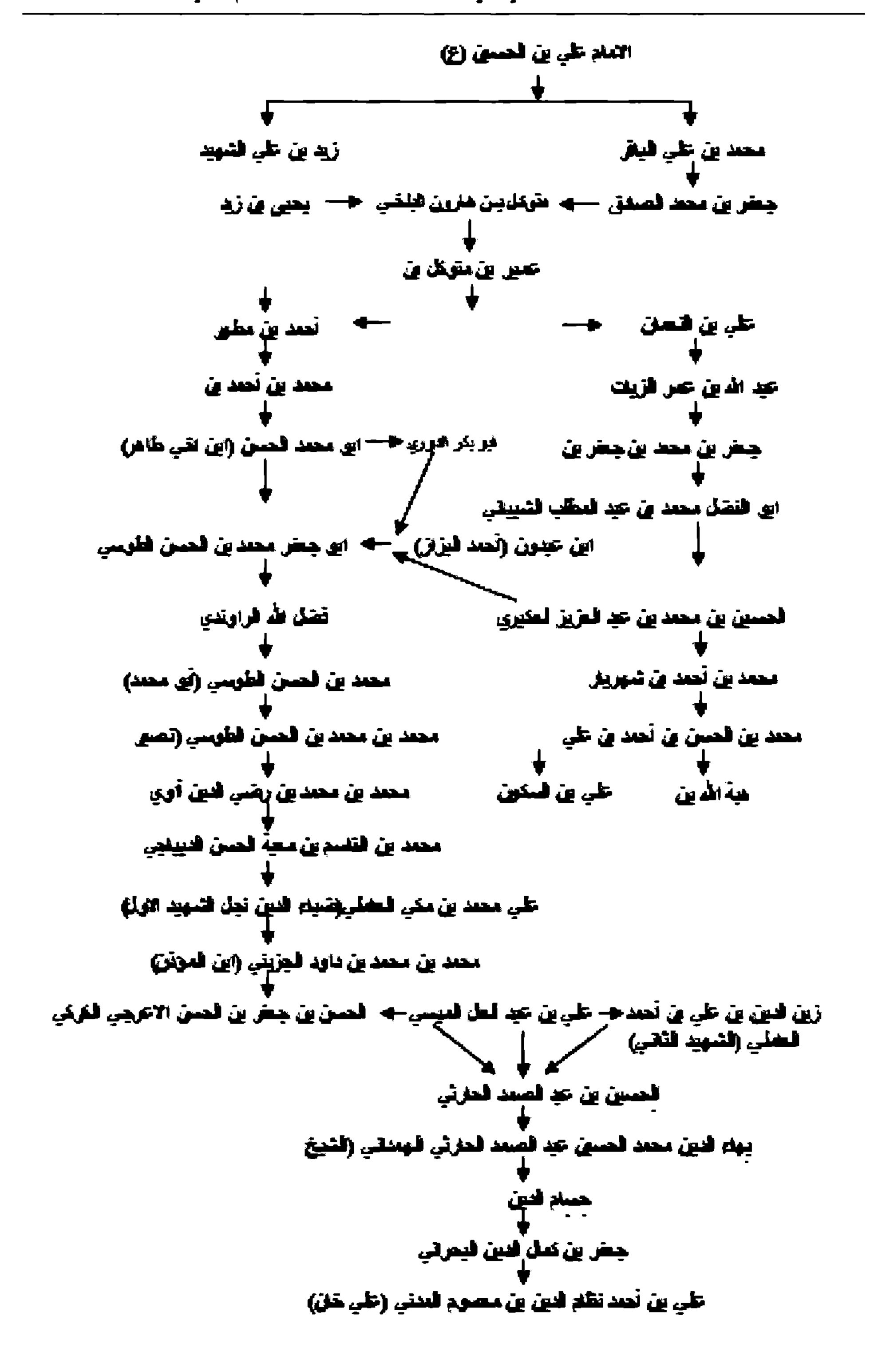
العلم والتدقيق والتحقيق[١].

ودفعاً للتكرار فقد آثرتُ عدم ايراد تتبع رواة سند الصحيفة، فقد سبقني الى هذا جهد طيب لباحثين افاضل، وسأكتفي بعرض مخطط لرواية ابن معصوم المدني الذي أورده الباحث حسن غانم[٢].



(١) الصحيفة السجادية (دراسة اسلوبية): حسن غانم الجنابي/ رسالة ماجستير كلية الاداب/ جامعة القادسية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢: ١٤ - وما بعدها.

(٢) ينظر: م. ن: ٢١.


الامام علي بن الحسين (ع)
زيد بن علي الشهيد
محمد بن علي الباقر
يحيى بن زيد
متوكل بن هارون البلخي
جعفر بن محمد الصادق
عمير بن متوكل بن
أحمد بن مطهر
علي بن النعمان
محمد بن أحمد بن
عبد الله بن عمر الزيات
أبو محمد الحسن (ابن أخي طاهر)
أبو بكر الدوري
جعفر بن محمد بن جعفر بن
أبو المفضل محمد بن عبد المطلب الشيباني
أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي
ابن عبدون (أحمد البزاز)
فضل الله الراوندي
الحسين بن محمد بن عبد العزيز العكبري
محمد بن الحسن الطوسي (أبو محمد)
محمد بن أحمد بن شهريار
محمد بن محمد بن الحسن الطوسي (نصير
محمد بن الحسن بن أحمد بن علي
محمد بن محمد بن رضي الدين آوي
علي بن السكون
هبة الله بن
محمد بن القاسم بن معية الحسن الديباجي
علي محمد بن مكي العاملي (ضياء الدين نجل الشهيد الأول)
محمد بن محمد بن داود الجزيني (ابن المؤذن)
الحسن بن جعفر بن الحسن الاعرجي الكركي
علي بن عبد العال الميسي
زين الدين بن علي بن أحمد العاملي (الشهيد الثاني)
الحسين بن عبد الصمد الحارثي
بهاء الدين محمد الحسين عبد الصمد الحارثي الهمداني (الشيخ
حسام الدين
جعفر بن كمال الدين البحراني
علي بن أحمد نظام الدين بن معصوم المدني (علي خان)

وبهذا فقد تضمنت الصحيفة السجادية التي وصلت الينا (أربعة وخمسين) دعاء، ولكن الاشكال وقع في صحة نسبة المناجيات وأدعية الايام الى الإمام السجاد ﷺ، والى هذا يشير الباحث إدريس طارق في رسالته الموسومة (المناجيات وأدعية الايام عند الإمام زين العابدين ﷺ دراسة اسلوبية) من خلال بحثه عن الحقيقة وصل فيها الى نتيجة يقول فيها: (إنني لم أقع على ما يقطع به بصحة نسبة المناجيات وأدعية الأيام للإمام ﷺ وذهبت الدراسات والشروحات، ما وقع منها تحت يد الباحث، في ذلك اكثر من مذهب)(١).

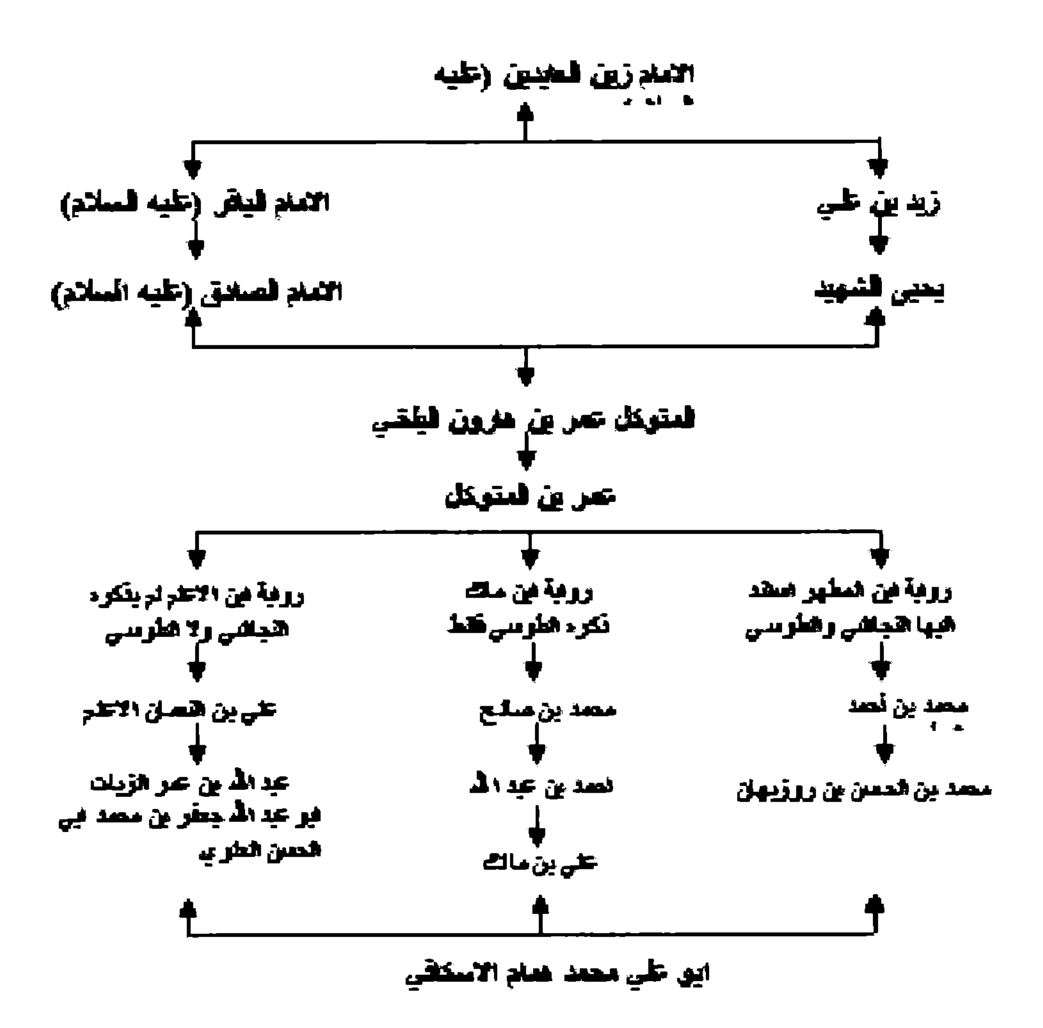
فهم بين مؤيد لنسبتها للامام ﷺ، ومنهم من طعن في نسبتها، ومنهم من لزم جانب الحياد.

ويرى الباحث إن الذي وراء اختلاف الآراء في صحة النسبة، يعود الى التداخل والخلط بين تواتر النسبة وتواتر النسخ - وقد سبقت الى مثل هذه الاشارة أو قريب منها، آخذين بالحسبان اختلاف النسخ المعتمدة في رواية النصوص في وجوه متعددة، مشيراً الى مخطط منتقاة من دراسة حول الصحيفة السجادية، للشيخ محمد حسين الحسيني(٢)، يوضح فيها اتصال السند الى الإمام ﷺ وهي:

---

(١) المناجيات وأدعية الايام عند الإمام زين العابدين (دراسة اسلوبية): إدريس طارق، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م: ١٥.

(٢) ينظر: دراسة حول الصحيفة السجادية: للشيخ محمد حسين الحسيني، ط٣، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠: ١٤، ٦٧.
وينظر: المناجيات وأدعية الايام عند الإمام زين العابدين: ١٥.


الامام زين العابدين (عليه
زيد بن علي
الامام الباقر (عليه السلام)
يحيى الشهيد
الامام الصادق (عليه السلام)
المتوكل عمر بن هارون البلخي
عمر بن المتوكل
رواية ابن المطهر اسند فيها النجاشي والطوسي
رواية ابن مالك ذكرها الطوسي فقط
رواية ابن الاعلم لم يذكرها النجاشي ولا الطوسي
محمد بن احمد
محمد بن صالح
علي بن النعمان الاعلم
محمد بن الحسن بن روزبهان
احمد بن عبد الله
عبد الله بن عمر الزيات
ابو عبد الله جعفر بن محمد ابي الحسن
علي بن مالك
ابو علي محمد همام الاسكافي

والذي ينبغي التنبه عليه وباهتمام أن هناك من جمع النصوص السجادية، واضاف اليها فقد أعلن صاحب (الصحيفة الجامعة) علناً بعدم صحة نسبة تلك النصوص الى الإمام عليه السلام وهو مع ذلك يذكرها!!

فيعلق عليها بقوله: (ونحن نوردها كذلك مع اعتقادنا بعدم صحة نسبتها إليه، لما فيها من ضعف في نظمها ولفظها وهو عليه السلام عين الفصاحة ومنبع البلاغة) .

لذا إن علماء الشيعة استدركوا على الصحيفة المتداولة استدراكات وجمعوا الصحيفة الثانية والثالثة الى الثامنة.

ويلاحظ ان الصحيفة السجادية، قد اشتهرت بالكاملة، والتي كانت مجالاً لدراسة «ظاهرة التقابل الدلالي»، وذكروا إن سبب تسمية الصحيفة بـ(الكاملة)، في قول بعضهم هو ان لدى الزيدية نسخة ناقصة من هذه الصحيفة تصل إلى نصفها، ولذلك عُرفت هذه بالصحيفة الكاملة.

على حين ذهب الفريق الثاني الى أن السبب في إطلاق هذه الصفة على الصحيفة هو كونها تمثل دستوراً كاملاً لطلب العبد حاجاته من الله - تعالى - في اغلب الموارد وحول أغلب المتطلبات[١]، إذ لم تصدر مثل هذه الأدعية عن الائمة المعصومين بهذا الترتيب. فلقّبتْ الصحيفة السجادية مقابل أدعية بقية الأئمة بـ «الكاملة»[٢].

(١) حياة الإمام علي بن الحسين: د: جعفر شهيدي، ترجمة: أحمد الحلبوي، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع: ١٨٤.
ينظر أعلام الهداية، الإمام علي بن الحسين عليه السلام: ٢١١ - ٢١٢.

(٢) ينظر: حياة الإمام علي بن الحسين: ١٨٤.

ثانياً: أنماط التقابل في العربية

١ – التقابل لغة

يعدّ التقابل أو التضاد أو التشاكل أو التزاوج أو الثنائيات أو التباين[١].

من أهم الحقول الدلالية في علم الدلالة، لإن مباحث علم الدلالة

---

(١) مصطلحات يتناولها الموروث والجديد، ينظر: كتاب الأضداد (لأبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني، تح: محمد عودة أبو جري، مراجعة د.رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م: ٤١. .
ينظر: الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٧م: ١٥٠، ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع (علي صدر الدين بن معصوم المدني، تح: شاكر هادي شكر، ط١، مطبعة النعمان، النجف الأشرف - ١٩٦٨م: ٢/ ٣٢. وينظر: التمهيد في التقابل الدلالي في القرآن الكريم (منال صلاح الدين عزيز، رسالة ماجستير، جامعة الموصل/ كلية الآداب، الموصل، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م: ١٢-٢١، وينظر: التقابل الدلالي في اللغة العربية (عبد الكريم حافظ العبيدي)، (رسالة ماجستير)، جامعة المستنصرية/ كلية الآداب، بغداد، ١٤١٠ - ١٩٨٩م: ٦٧-٧٧. ينظر: التمهيد في التقابل الدلالي في نهج البلاغة (تغريد عبد فلحي)، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة/ كلية التربية، النجف، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م: ٢-١٧. ينظر: التقابل والتماثل في القرآن الكريم: د. فايز عارف القرعان، المركز الجامعي، ط١، ١٩٩٤: ١٣-٢٧. ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة (د. أحمد نصيف الجنابي)، بحث في مجلة كلية آداب المستنصرية - ١٩٨٤م: ١٥-٢٠. ينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: د. هادي نهر، تقديم: د. علي الحمد، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠٧م: ٥٣٨-٥٥٢.

تنصبُّ على قضية المعنى، فالدلالة في أشهر تعريف علم دراسة المعنى[١].

والتقابل اسمٌ أُخذ من الأصل الثلاثي (ق.ب.ل) وإن تنوعت معانيه التي اشتقت من هذا الجذر، يقول صاحب العين ت (١٧٥هـ):

(القبلِ: من اقبالك على الشيء، تقول: قد اقبلتُ قبلك، كأنك لا تريد غيره، . . . . وفي معنى آخر هو التلقاء. تقول: لقِيتُهُ قِبَلاً أي مواجهةً)[٢].

ثم يتسع المعنى عند اللغويين ليأخذ معنى المواجهة بشكل مطلق يقول ابن منظور ت (٧١١هـ): (المقابلة: المواجهة، والتقابل مثله. وهو قبالك وقبالتك أي اتجاهك)[٣].

ويرد التقابل بمعنى آخر يشير إليه ابن منظور: (قابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالاً: عارضه)[٤].

وهذا ما اشار اليه صاحب القاموس ت(٧١٨هـ): (وقَبَل على الشيء وأقبلَ: لَزِمَهُ وأخَذَ فيه. أقْبَلْتُه الشيء: جَعَلْتُه يلي قُبالَتَه. وقابَلَهُ: واجَهَه، وقابل الكتابَ: عارَضه)[٥].

---

(١) ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط١، مكتبة دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢م: ٢٠.

(٢) العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨، مادة (قبل): ٥/ ١٦٦ - ١٦٧.

(٣) لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م: مادة (قبل): ١١/ ٥٤٠.

(٤) م. ن: ١١/ ٥٤٠.

(٥) القاموس المحيط: محّمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم الفيروز آبادي، ط٥، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها: مصطفى محمد وأولاده: ٤/ ٣٣.

والتقابل بهذه المعاني يوضح اختلاف العلماء من أهل اللغة والبلاغة، والمنطق في تحديد مفهومه تحت عدد من المسميات: «كالمطابقة والتضاد، والمخالفة، والتكافؤ، والتناقض، والمماثلة»[١].

٢ – التقابل اصطلاحاً

بينما نجد علم اللغة الحديث يضع التقابل ضمن علاقات المجموعة الدلالية داخل الحقل المعجمي والذي يعدّه من اكثر العلاقات الدلالية أهمية[٢]

فيعرّف التقابل بأنه: (لفظتان تحمل كل واحدة منهما ضد المعنى الذي تحمله الأخرى كالخير والشر والسلام والحرب... والحب والكراهية، والقرب والبعد، واليمين والشمال، فهي بهذا المعنى تختلف عن الاضداد، لإن الاضداد هي كل لفظة تحمل المعنى وضده، كالسليم بمعنى المعافى والملدوغ)[٣].

وفي ضوء هذا قُسم التقابل على انماط توضح فيها كيفية الالفاظ المتقابلة وهي على قسمين:

القسم الأول:

التقابل من حيث الوضوح والخفاء ويقسم على قسمين: النمط

---

(١) ينظر: التقابل الدلالي في اللغة العربية: ٦٧-٧٧، ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٢-٢١، التقابل الدلالي في نهج البلاغة: ٢-١٧، ينظر التقابل والتماثل في القرآن الكريم: ١٣-٢٧، ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة: ١٥-٢٠، ينظر علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ٥٣٨-٥٥٢.

(٢) ينظر: علم الدلالة: ٩٨ وما بعدها.

(٣) ظاهرة التقابل الدلالي في سورة الزمر (د. أحمد نصيف الجنابي)، بحث في مجلة الرسالة الاسلامية، ١٩٨٨، م: ٩٠.

الظاهر، والنمط الخفي وهذا يكون بين لفظين يخلو كل واحد منهما من الدرجات الدلالية كالخير والشر، والجنوب والشمال.

القسم الثاني:

التقابل من حيث الدرجات في العلاقات الدلالية، وهو يكون بين لفظين يحمل كل واحد منهما درجات من العلاقات الدلالية وقد يتضمن أحد اللفظين درجات من العلاقات الدلالية أكثر من الطرف الآخر[١].

وقد أختلف الدارسون في تقسيم القسم الثاني على انماط، فمنهم من جعله نمطين (متدرج، وغير متدرج) كما فعلت الباحثة منال الصفار في رسالتها الموسومة «ظاهرة التقابل في القرآن الكريم»[٢].

ومنهم من جعل هذه الانماط أربعة هي التقابل المتدرج، والتقابل غير المتدرج، والتقابل النسبي، والتقابل المتساوي، كما فعل د. أحمد نصيف الجنابي في بحثه الموسوم «ظاهرة التقابل في علم الدلالة»[٣]، والباحث عبد الكريم العبيدي في رسالته الموسومة: «التقابل الدلالي في اللغة العربية»[٤].

ونرى أن التقسيم الأخير هو الأسلم، لإن بقية الأنواع تحمل التدرج من حيث العلاقات الدلالية.

وسنقف بايجاز عند هذه الأنماط، وبيان مدلولاتها لتمثل مدخلاً لدراستنا لهذه الظاهرة في الصحيفة السجادية:

---

(١) ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة: ٢٥.
(٢) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٨-٢٣.
(٣) ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة: ٢٦-٢٧.
(٤) ينظر: التقابل الدلالي في اللغة العربية: ١١٢-١١٧.

القسم الاول:

ويضم النمط الظاهر والخفي:

أولاً: النمط الظاهر[١]:

ويسمى بالنمط السائد[٢]، ويقصد به: (أن يكون التقابل فيه واضحاً لا لبس فيه ولا تعقيد وتكون دلالاته قريبة المنال سهلة الإدراك يستوي في تحصيل مقصودها وبيان المراد منها كل من ينظر إليها)[٣].

ويعدّ هذا النمط هو الأكثر شيوعاً من الأنماط الاخرى لأنه واضح الدلالة يستوي في ادراكه اوسط الناس فهماً وذكاء[٤].

ويظهر في هذا النمط - التقابل الظاهر - أشكال كثيرة منها، التقابل بين لفظتين حقيقيتين أو احداهما حقيقي والأخرى مجازي، والتقابل المعنوي والتقابل المتخالف، وفيما يأتي عرض لإشكال التقابل في النمط الظاهر:

أ. التقابل اللفظي الحقيقي:

ويقصد به التقابل بين الالفاظ المتضادة[٥]، من جهتي اللفظ والمعنى على وجه الحقيقة.

وترد امثلة عديدة في القرآن الكريم توضح هذا النوع من النمط الظاهر

---

(١) ينظر: التقابل الدلالي في اللغة العربية: ٩٧.

(٢) ينظر: التقابل والتماثل في القرآن الكريم: ٢٣.

(٣) التقابل الدلالي في اللغة العربية: ٩٧.

(٤) ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة: ٢٢.

(٥) على الرغم من الاختلاف في مسألة التضاد اللفظي الحقيقي بين علماء البلاغة، فمنهم من فرق بين التضاد والتقابل، ومنهم من جعله واحد ولم يضع شروط، ينظر: التقابل والتماثل في القرآن الكريم: ٣١، وينظر: التقابل الدلالي في نهج البلاغة: ١٤.

منها قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤].

جسد القرآن لنا شكل التقابل بين (الاعمى، والبصير) و(الاصم، والسميع) فهي صورة حسية تكشف عن حال الفريقين.

وتزخر الصحيفة السجادية بهذا النمط من التقابل اللفظي حيث ينبئ عن مقدرة فنية في الجمع بين التراكيب والارتفاع بالمستوى الدلالي منها قوله في دعائه لمكارم الاخلاق: «**أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَصُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ، وَلَا تَبْتَذِلْ جَاهِي بِالاقْتارِ فَأَسْتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِيَ شِرَارَ خَلْقِكَ، فَأَفْتَتِنَ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُبْتَلَى بِـذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ الاعْطَاءِ وَالْمَنْعِ**»(١).

نرى الإمام السجاد عليه السلام يورد متقابلات متعددة في الدعاء، فيقابل بين «اهل رزقك» و«شرار خلقك» وبين «الصيانة» و«الابتذال» وبين «اليسار» و«الاقتار» وبين «الحمد» و«الذم»، وبين «الإعطاء» و«المنع»، حيث يسأل الباري تعالى بأسلوب رائع في ان يصون وجهه من الذل واستجداء الناس، وان يكون الله هو المسؤول وحده، ليكون الحمد له وحده، حتى لا يبتلى بحمد المعطين وذم المانعين، لإن الله هو صاحب الاعطاء والمنع(٢).

ومن الأمثلة الأخرى التي تُظهر النمط الظاهر الحقيقي قول الإمام عليه السلام في رسم صورة الشيطان وعمله جاهداً في التخفيف من وطأة

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: للإمام علي بن الحسين عليه السلام، دار الكتب العلمية، بغداد، د.ت: ٦٥-٦٦.

(٢) ينظر في ظلال الصحيفة السجادية: شرح الشيخ محمد جواد مغنية، تح: سامي الغريري، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، ط١، مطبعة استاره، ١٤١٣هـ - ٢٠٠٢م: ٢٧٨.

الوعيد واستصغار الذنب في عين بني آدم: «**وَأَعِذْنِي وَذُرِّيَّتِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَإِنَّكَ خَلَقْتَنَا وَأَمَرْتَنَا وَنَهَيْتَنَا وَرَغَّبْتَنَا فِي ثَوَابِ ما أَمَرْتَنَا وَرَهَّبْتَنَا عِقَابَهُ، وَجَعَلْتَ لَنَا عَدُوّاً يَكِيدُنَا، سَلَّطْتَهُ مِنَّا عَلَى مَا لَمْ تُسَلِّطْنَا عَلَيْهِ مِنْهُ، أَسْكَنْتَهُ صُدُورَنَا، وَأَجْرَيْتَهُ مَجَارِيَ دِمَائِنَا، لَا يَغْفُلُ إِنْ غَفَلْنَا، وَلَا يَنْسَى إِنْ نَسِينَا، يُؤْمِنُنَا عِقَابَكَ، وَيَخَوِّفُنَا بِغَيْرِكَ، إِنْ هَمَمْنَا بِفَاحِشَةٍ شَجَّعَنَا عَلَيْهَا، وَإِنْ هَمَمْنَا بِعَمَلٍ صَالِحٍ ثَبَّطَنَا عَنْهُ، يَتَعَرَّضُ لَنَا بِالشَّهَوَاتِ، وَيَنْصِبُ لَنَا بِالشُّبُهَاتِ. . . .**»[1]

قابل الإمام عليه السلام من خلال رسم صورة الشيطان وغيّه بين «امرتنا» و«نهيتنا» وبين «رغبتنا، ورهبتنا» و«الثواب والعقاب» و«الفاحشة والعمل الصالح» و«التشجيع والتثبيط» وبين «يؤمّننا» و«يخّوفنا» فقد اعطى من خلال الالفاظ المتقابلة دلالات ومعانٍ عميقة توضح مدى كره الشيطان للانسان وسعيه الحثيث في ايقاعه في دائرة الخطأ.

وقابل الإمام السجاد عليه السلام بين الدنيا والآخرة بقوله:

«**أَللَّهُمَّ وَإِذْ سَتَرْتَنِي بِعَفْوِكَ وَتَغَمَّدْتَنِي بِفَضْلِكَ فِي دَارِ الْفَنَاءِ بِحَضْرَةِ الاكْفَاءِ فَأَجِرْنِي مِنْ فَضِيحَاتِ دَارِ الْبَقَاءِ عِنْدَ مَوَاقِفِ الاشْهَادِ. . . .**»[2].

فقد قوبل بين «دار الفناء» و«دار البقاء» وأراد بهما «الدنيا» و«الآخرة» في بيان سعة رحمة الباري ولطفه في ستر العباد الدنيا.

ب. التقابل اللفظي المجازي:

نوع من أنواع النمط الظاهر، ويقصد به تقابل بين لفظين يكون أحدهما حقيقياً والآخر مجازياً أو أن يكون طرفا التقابل مجازيين كقوله

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٨١-٨٢.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٠٤.

تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥].

فالتقابل المجازي في هذه الآية بين «الظلمات» و«النور» لأن المقصود بالطرف الاول «الظلمات» هو الضلالة، والطرف الثاني «النور» هو الهداية، (وجاء على سبيل المجاز ليحافظ التقابل على علاقة التضاد اللفظي)[١].

وجاء هذا النوع من النمط الظاهر في الصحيفة السجادية في دعاء الإمام عليه السلام لمكارم الاخلاق ومرضي الافعال: حيث قال: «**أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَلَا أُظْلَمَنَّ وَأَنْتَ مُطِيقٌ لِلدَّفْعِ عَنِّي وَلا أَظْلِمَنَّ وَأَنْتَ القَادِرُ عَلَى الْقَبْضِ مِنِّي**»[٢].

فيقابل الإمام السجاد عليه السلام بين (الدفع) و(القبض) وأراد من (الدفع) أن لا يُسلط عليه من يظلمه، ويمكّنه من الاعتداء عليه، فيكون مظلوماً، وأراد من (القبض) ان لا اكون ظالماً فأُسَلَّط على احدٍ من عبادك، وهنا تتضح عظمة اخلاق الإمام عليه السلام وتأدبُهُ في طلبه الوقاية من الله تعالى في دعائه مع الله سبحانه.

ج. التقابل الكنائي:

وهو شكل من اشكال النمط البسيط، ويقصد به تقابل بين لفظتين إحداهما على وجه التقريب لا الحقيقة[٣]. وجاءت من هذا النوع امثلة كثيرة في القرآن الكريم فبعضها يعتمد على اللفظ الذي يعطي المعنى

(١) الأدب والإسلام، د. محمود البستاني، ط١، ستارة، قم، ١٤٢٢هـ: ١٣٥-١٣٧.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٦٣.

(٣) ينظر: التقابل الدلالي في نهج البلاغة: ١٥.

واللفظ الآخر الذي يتضاد مع المعنى المعطى ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٥٠].

فيجيء التقابل بين اللفظتين «بياتاً» و«نهاراً» على معنى الاول ومقابلته باللفظ الثاني «نهاراً» ويقصد بالبيات: (الليل) ومن خلال المعنى تتضح علاقة التضاد التي تصل الى حد المقابلة(١).

وجاءت في الصحيفة السجادية امثلة تبين هذا النمط من التقابل كقول الإمام زين العابدين عليه السلام في التذلل لله سبحانه وتعالى والاكثار من حمده وشكره لتكون الوسيلة في التحرر من عذاب الآخرة(٢): «**حَمْداً نُعْتَقُ بِهِ مِنْ أَلِيمِ نَارِ اللهِ إِلَى كَرِيمِ جِوَارِ اللهِ حَمْداً نُزَاحِمُ بِهِ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ وَنُضَامُّ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ الْمُرْسَلِيْنَ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ الَّتِي لا تَزُولُ وَمَحَلِّ كَرَامَتِهِ الَّتِي لَا تَحُولُ**»(٣).

فقد قوبل بين (ألم النار) و(كريم جوار الله)، حيث قابل بين طرفين أحدهما معنوي قصد به «الجنة» التي ينشدها كل مؤمن.

ومن الأمثلة الأخرى قول الإمام عليه السلام في المعنى نفسه: «**حَمْداً يَكُونُ... طريقاً إلى جَنَّتِهِ وخَفيراً من نِقْمَتِهِ وأَمْناً من غَضَبِه...**»(٤).

فقد قابل عليه السلام بين طرفين احدهما حقيقي وهو «الجنة» والآخر كنائي والغضب المكنى له عن النار.

---

(١) ينظر: التقابل والتماثل في القرآن الكريم: ١٠٧.

(٢) ينظر: بحوث في الصحيفة السجادية: الشيخ صالح الطائي، مطبعة العاني - بغداد: ٢/ ١٥.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ٩.

(٤) الصحيفة السجادية الكاملة: ١١.

د. تقابل التخالف:

يدخل التخالف ضمناً في التقابل، ويقصد به: تقابل بين لفظتين قد لا يكون بينهما تضاد أو تناقض، بل قد يكون اختلاف والى هذا المعنى يشير ابو هلال العسكري ت(٣٩٥)هـ: (هو ان المختلفين لا يسدُّ احدهما مسدَّ الآخر في الصفة التي يقتضيها جنسه مع الوجود، كالسواد والحموضة، والمتضادان هما اللفظان ينتفي أحدهما عند وجود صاحبه إذا كان وجود هذا على الوجه الذي يوجد عليه، وذلك كالسواد والبياض، فكل متضاد مختلف، وليس كل مختلف متضاداً، كما أن كل متضاد ممتنع اجتماعه، وليس كل ممتنع اجتماعه متضاداً)(١).

ففي قوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [النور: ٤٤]، إذ تقابل (الليل) بـ (النهار) هي تقابل اختلاف تغايري، لا تقابل اختلاف تضادّي أو تناقضي، لأن (الليل) لا يقابل (النهار) في الصفة، وانما احدهما يكمل الآخر ليعطي صورة اليوم وزمانه وليدل اختلافهما على وجود الله وقدرته كما في آيات كثيرة تذكر الانسان بعظمة خالقه ومثله السماء والارض والدنيا والآخرة.

كما قابل القرآن الكريم بين (الجن) و(الانس)، حيث قابل بين عالمين مختلفين، العالم الاول عالم البشر، والعالم الآخر عالم غيبي بالنسبة لنا وكلاهما يكمل الآخر في هذا العالم التكليفي(٢).

ومن الامثلة الواردة في الصحيفة السجادية التي تمثل هذا النوع من النمط الظاهر قول الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «**الحَمْدُ لِلّه الذي أَذْهَبَ**

---

(١) الفروق في اللغة: ١٥٠.

(٢) ينظر: التقابل الدلالي في اللغة العربية: ٥٧، ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٠.

اللَّيْلَ مُظْلماً بقُدْرَتِهِ، وجاءَ بالنَّهارِ مُبْصِراً بِرحمِتِه، وكَساني ضِيآءَهُ وآتانِي نِعْمَتَهُ»[١].

فقابل الإمام السجاد عليه السلام بين (الليل) و(النهار) موضحاً، صورة كل منهما ليشير الى الانسجام والنظام في حركة العناصر السماوية ويذكر صفات الليل التي تختلف عن صفات النهار، لذلك يعدَّ (التخالف اعم من التقابل، فكل تقابل تخالف، وليس كل تخالف تقابل)[٢].

ثانياً: النمط الخفي:

هذا النمط من التقابل يحتاج فيه الى إعمال الفكر والى تأمل ونظرة فاحصة لاستكناه ابعاد المعاني ودلالاتها، حتى يستطيع الكشف عن تلك المتقابلات من خلال تركيب النصوص وسياقها[٣].

ويتجلى النمط الخفي في امثلة كثيرة وردت في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

ويرى د. أحمد نصيف الجنابي أن لمبدأ التقابل أهميته الدلالية في تفسير الآيات فالتقابل بين «يذهب جفاء» و«ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» وهذا يعني أن كل شيء في الوجود يبقى ويقاوم عوامل الفناء، إذا كان مفيداً نافعاً فاما أن يبقى بنفسه أو يبقى منه اثره أو ذكره وبالمقابل كل شي فاسد يزول ولو بعد حين[٤].

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٠٩.

(٢) التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١١.

(٣) ينظر التقابل الدلالي في اللغة العربية: ١٠٥، ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة: ٢٢.

(٤) ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة: ٢٤.

أما في الصحيفة السجادية فهذا النمط قليل الورود ذلك بأن الاعم الاغلب هو وجود النمط الاول - النمط الظاهر - ومن امثلة ذلك قول الإمام في بيان صورة صفات الخالق وعجز المخلوق: «**إلهِي وَحْدَانِيَّةُ الْعَدَدِ، وَمَلَكَةُ الْقُدْرَةِ الصَّمَدِ، وَفَضِيلَةُ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَدَرَجَةُ الْعُلُوِّ وَالرِّفْعَةِ وَمَنْ سِوَاكَ مَرْحُومٌ فِي عُمْرِهِ، مَغْلُوبٌ عَلَى أَمْرِهِ، مَقْهُورٌ عَلَى شَأْنِهِ، مُخْتَلِفُ الْحَالاَتِ، مُتَنَقِّلٌ فِي الصِّفَاتِ. فَتَعَالَيْتَ عَنِ الاشْبَاهِ وَالاضْدَادِ، وَتَكَبَّرْتَ عَنِ الامْثَالِ وَالانْدَادِ، فَسُبْحَانَكَ لَا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ**»[1].

قابل الإمام عليه السلام بين عظمة الله وقدرته «ملكة القدرة الصمد» فهو المالك القهار وبين كون المخلوق «مقلوب على امره» وبين كونه القوي «فضيلة الحول والقوة» كون المخلوق عاجزاً «مقهور على شأنه» وبين وبين سمو صفات الله تعالى في «الاشباه» و«الاضداد» و«الامثال» و«الانداد».

فالصورة الثنائية التي يرسمها الإمام السجاد عليه السلام في مقابلته بين قدرة الخالق وعجز المخلوق توضح عمق الدلالة التي يحملها السياق.

القسم الثاني: التدرّج

وهو الذي يتضح من حيث الدرجات في العلاقات الدلالية، وفي هذا النمط من أنماط التقابل أنواع، وهي على النحو الآتي:

أولاً: النمط المتدرج[2]:

ويسمى بتقابل التخالف[3]، ويقصد به أن يقع بين نهايتين لمعيار

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٩٢.

(٢) ينظر: علم الدلالة: بالمر، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، مطبعة العمال المركزية، ١٩٨٥: ١١١، ينظر التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٦، ينظر: التقابل الدلالي في اللغة العربية: ١١٢.

(٣) م.ن: ١١٢.

متدرج أو بين أزواج من المتضادات الداخلية، فانكار أحد عضوي التقابل لا يعني الاعتراف بالعضو الآخر لأن الحدين لا يستنفذان كل عالم المقال فانهما قد يكذبان معاً ولذلك سمي بالتضاد النسبي فقولك «الحساء ساخن» لا يعني انه (كالماء الساخن) في درجة الحرارة ويمكن التدرج بدرجات الحرارة(١).

فهذا النمط من التقابل له القدرة على التدرج أو التفاوت في الصفات باستعمال ألفاظ دالة على التفاوت (اكثر من - اقل من) لذلك قسم الباحثون هذا النمط على ثلاث درجات من العلاقات الدلالية هي:

أ - التقابل المتساوي التدرج:

يقصد به أن يندرج تحت كل لفظة من اللفظتين المتقابلتين مجموعة من الدرجات تساوي ما تحت اللفظة الاخرى من الدرجات(٢). وانكار أحد العضوين لا يعني الاعتراف بالعضو الآخر وتسمى بـ (المتخالفات) أي بينهما ألفاظ وسطى(٣).

ويعدّ هذا النمط الأيسر تقابلاً لحد ما، وذلك لوجود درجات دلالية متساوية بين اللفظين المتقابلين كالليل والنهار، فكلاهما مقسم على اثنتي عشرة درجة.

ومن امثلة هذا النمط في الصحيفة السجادية قول الإمام عليه السلام في دعاء رمضان يوضح فيها الدرجات الدلالية المتساوية بين «الليل» و«النهار»: **«أللَهُمَّ اشْحَنْهُ بِعِبَادَتِنَا إِيَّاكَ، وَزَيِّنْ أَوْقَاتَهُ بِطَاعَتِنَا لَكَ، وَأَعِنَّا فِي نَهَارِهِ عَلَى**

(١) ينظر: علم الدلالة: أحمد مختار عمر: ١٠٢ - ١٠٣، ينظر: علم الدلالة: جون لاينز ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، مطبعة البصرة، ١٩٨٠م: ٩٩.
(٢) ظاهرة التقابل في علم الدلالة: ٢٦.
(٣) ينظر: التقابل الدلالي في اللغة العربية: ١١٣.

صِيَامِهِ، وَفِي لَيْلِهِ عَلَى الصَّلَاةِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْكَ وَالخُشُوعِ لَكَ، وَالذِّلَّةِ بَيْنَ يَدَيْكَ حَتَّى لا يَشْهَدَ نَهَارُهُ عَلَيْنَا بِغَفْلَة، وَلَا لَيْلُهُ بِتَفْرِيط»(١).

فقد قابل الإمام عليه السلام بين «النهار» بدرجاته الدلالية بأن يوفقه الله سبحانه بملء ساعاته بالطاعة والصيام ويساويه بالليل بأن يملأه بالصلاة والتضرع لله سبحانه(٢)

ب – التقابل النسبي:

هو أن يندرج تحت اللفظة الاولى درجات لا تساوي درجات اللفظة الاخرى، كالجمال والقبح فنسبة الجمال والقبح تختلف من شخص لآخر، لإن هذه الرؤية تنبع من داخل النفس الانسانية لا خارجها، فما آراه جميلاً قد لا يراه غيري كذلك، وهذا بسبب الصعوبة في معرفة النسبة بين درجات اللفظ الاول ودرجات اللفظ الثاني(٣).

وينطبق هذا المعنى في الصحيفة السجادية على قول الإمام علي بن الحسين عليه السلام في مرضي الافعال: «**اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وأَبْدِلْنِي من بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَئَان المَحبَّةَ**»(٤).

فهنا قابل بين (بغضة أهل الشنآن) وبين (المحبة) وتختلف درجة (بغضة أهل الشنآن)، فهي درجة من درجات الكراهية عن درجة المحبة ويمكن توضيح هذا عن طريق الجدول الآتي(٥):

---

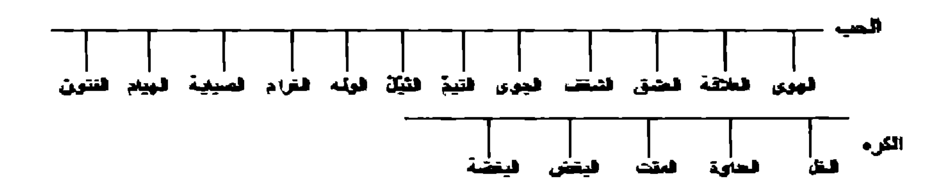
(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٣٦–١٣٧.

(٢) ينظر: بحوث في الصحيفة السجادية: ٢/٣٤٨.

(٣) ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة: ٢٧.

(٤) الصحيفة السجادية الكاملة: ٦٠.

(٥) ينظر: ظاهرة التقابل في اللغة العربية: (رسالة ماجستير):٢٨.



ج - تقابل التدرج الاحادي:

ويقصد به أن تندرج تحت لفظة من اللفظتين درجات دلالية متعددة في حين لا يندرج تحت الاخرى أية درجات مثل (الحياة، والموت) و(التطور، والثبات) فالتطور حال متغيرة من شكل إلى آخر على حين الثبات لا يحمل أيّة درجة، وهذا النمط يكّمن في أن أحد اللفظتين المتقابلتين تحمل تدرجاً محدوداً كما في الحياة، أو قد يكون غير محدود كما في التطور(١).

ونرى لهذا النمط صدى في الصحيفة السجادية في قول الإمام السجاد عليه السلام في سؤال الباري جل وعلا في قضاء الدّين: «**فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَأَعِذْنِي مِنْهُ. وَأَسْتَجِيرُ بِكَ يَا رَبِّ مِنْ ذِلَّتِهِ فِي الْحَيَاةِ وَمِنْ تَبِعَتِهِ بَعْدَ الْوَفَاةِ**»(٢).

ويتضح من خلال التقبل بين (الحياة) و(الوفاة) التدرج الذي يحمله

---

(١) م. ن: ٢٧.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٩٤.

الدين في الحياة فهو يقود صاحبه إلى الذلة والهم والاستحياء، وفي الآخرة تبعات أكبر هي سؤال الباري سبحانه عن هذا الدين وعدم قضائه[١].

ثانياً: النمط غير المتدرج:

وله مسميات منها (التباين)[٢]،أو التقابل الحاد[٣]، أو التقابل المحوري[٤]، ويقصد به التقابل بين الالفاظ التي تكون غير قابلة للتعداد، أو التنويع فقولك فلان ميت فهذا إعتراف بأنه ليس حياً، وهذا لا يمكن وصفه باوصاف اخرى كـ «ميت قليلاً أو ميت جداً»[٥].

على حين يرى (بالمر) أن هناك ثنائيات متقابلة قد تتدرج احياناً من خلال مجاميع من العلاقات بين صيغ المقارنة وبعض النعوت منها «أكثر، أقل، جداً»[٦].

ويبدو أن د. أحمد مختار عمر قد رّد على هذا الرأي من خلال تعريفه لهذا النمط من التقابل بقوله:

(هذه المتضادات تقسم عالم الكلام بحسم دون الاعتراف بدرجات أقل، أو أكثر، ونفي أحد عضوي التقابل يعني الاعتراف بالآخر، فاذا قلت إن فلاناً غير متزوج، فهذا يعني بأنه أعزب، ولهذا لا يمكن وصف

---

(١) ينظر: شرح الصحيفة السجادية: ٢٣٩، وينظر: نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية: السيد نعمة الله الجزائري، ايران - قم، ط١، ١٤٢٧هـ: ٢٤٤.

(٢) علم الدلالة: جون لاينز، ١٥.

(٣) التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٧.

(٤) م. ن: ١٨.

(٥) ينظر: علم الدلالة: احمد مختار عمر: ١٠٢.

(٦) ينظر: علم الدلالة: بالمر، ١١١-١١٢.

امثال هذه المتضادات بأوصاف مثل (جداً) أو (قليلاً) أو (إلى حد ما)[(١)].

ويتضح من ذلك أن هذه المتضادات لا تخضع لمثل هذه الاوصاف (جداً، قليلاً)، لإنه لا يمكن ان يصدقا معاً أو يكذبا معاً، وهذا النوع قريب من (العدم، والملكة) لدى أهل المنطق[(٢)].

ففي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] يوضح قدرة الباري المطلقة من خلال مقابلة (القبض) بـ (البسط) فهما في الافعال المسندة لله تعالى وحده، إذ بيده التوسيع والتضييق على العباد وفقاً لحكمته ورحمته لأنه - سبحانه - أعلم بأحوال عباده وارزاقهم.

والى هذا المعنى يشير الإمام زين العابدين عليه السلام في التقابل بين (الحق) و(الباطل) بقوله: «وأَزْهِقِ الباطلَ عن ضَمآئِرِنا، وأَثبتِ الحَقَّ في سَرائِرنا فإن الشُّكُوك والظُّنون لواقِحُ الفِتَنِ، ومُكَدِّرَةٌ لِصَفْوِ المنائِح والمِنَن»[(٣)].

فيفيد التقابل بيان شدة وطأة الشك على عقل الإنسان وكيف يكون سبباً ومكدرة لصفو حياته في قلب الحقيقة وبين الحق وقدرة الباري في تخليص الإنسان من هذه الفتن.

كما يرد هذا التقابل في الصحيفة بين (الحياة، والموت) في طلب التوفيق في الدنيا والآخرة: «**مَنْ عُنِيتَ بِهِ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ، وَرَضِيتَ عَنْهُ، فَأَعَشْتَهُ حَمِيداً، وَتَوَفَّيْتَهُ سَعِيداً**»[(٤)] حيث قابل الإمام عليه السلام بين (العيش)

---

(١) علم الدلالة: أحمد مختار عمر: ١٠٢.

(٢) يقصد به - تقابل العدم أو ملكة - ان حضر اوجب الملكة وإن غاب أو عدم أوجب العدم فعلـه السكون هو عدم الحركة، ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٣.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٢٧.

(٤) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٦٥.

الحميد وطلبه باستمرار هذا العيش بعد (الوفاة) بأن يُصَيِّرَهُ إلى الجنة ورضوانه تعالى[١].

ثالثاً: تقابل التعاكس[٢]:

ويسمى بالتقابل العلائقي[٣]، كما يسمى بالتبادل[٤]، ويقصد به علاقة تبادلية بين أزواج من الكلمات، مثل: يشتري - يبيع، زوج - زوجة، فقولك: (محمد باع منزلاً لعلي) يعني (أن علياً اشترى منزلاً من محمد).

ويُعرف هذا النوع من التقابل، بالتقابل الاتجاهي، ويقصد به أن تجمع بين الالفاظ المتقابلة حركة في أحد اتجاهين متضادين بالنسبة لمكان ما، وباتجاه رأسي مثل (اعلى، اسفل)، أو يمثل حركة باتجاه افقي مثل (امام، خلف)[٥].

ويدخل ضمن هذا النوع من التقابل علاقة التضاد بين المعلوم والمجهول مثل (ضرب محمد علياً) فيكون (علي مضروب من محمد)[٦].

وثار الجدل في نوع آخر من التقابل بين مؤيد له ورافض بأنه ليس من التقابل في شيء، ويسميه أهل البلاغة (تقابل السلب والايجاب)، ويقصد به لفظان احدهما مثبت والآخر منفي والتقابل يتحقق في الطرف الثاني، مثل: (جميل وغير جميل).

---

(١) ينظر: شرح الصحيفة السجادية، محمد مهدي الحسيني، كربلاء المقدسة، ١٩٨٥م: ٤٣١.

(٢) ينظر: علم الدلالة: جون لاينز: ١٠٦.

(٣) ينظر: علم الدلالة: بالمر: ١١٣.

(٤) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٢١.

(٥) ينظر: علم الدلالة: أحمد مختار عمر: ١٠٤.

(٦) التقابل الدلالي في نهج البلاغة: ٢١.

هذا وعلل أهل الرفض ذلك أنه: (لا يؤدي - هذا النوع - معنى التقابل بسبب أن اللفظة باقية في أصلها زيد عليها النفي، وهذا لا يحقق عنصر التقابل الذي يقوم على وجود لفظين علاقتهما أصلاً قائمة بذاتها على التقابل من دون اللجوء إلى واسطة)[١].

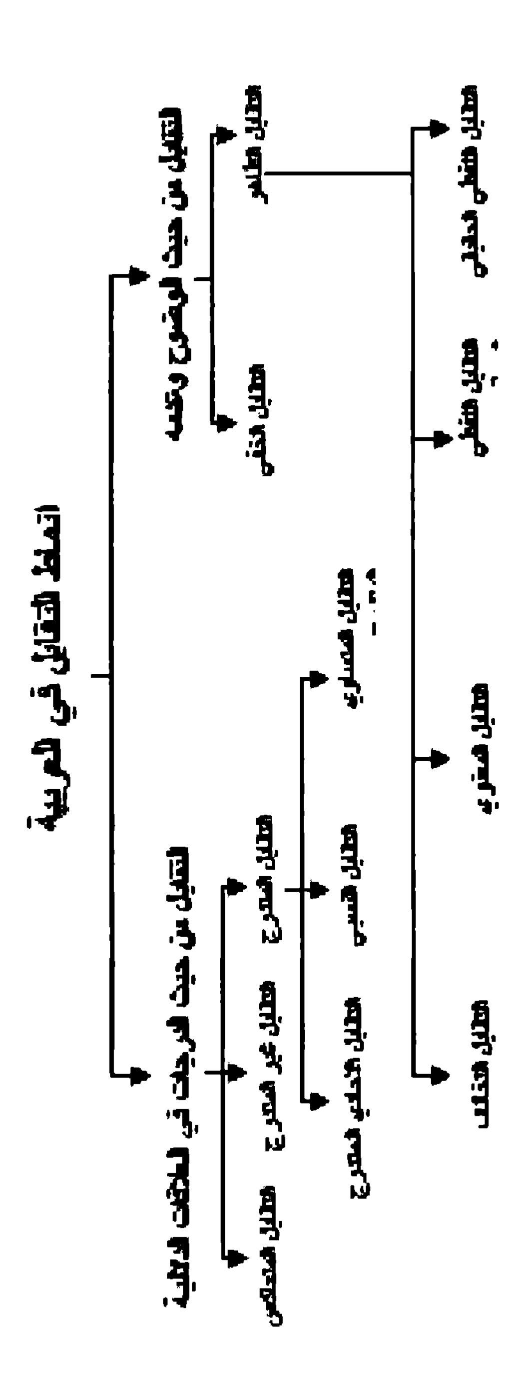
على حين يرى آخرون ان هذا تضييق للغة، والعربية أعم من ذلك، فهي تتناول التراكيب بانواعها الفعلية والاسمية والظرفية والحرفية، بل جاء بانواع اخرى كالصورة والموقف والمشهد والايقاع والمتغاير[٢].

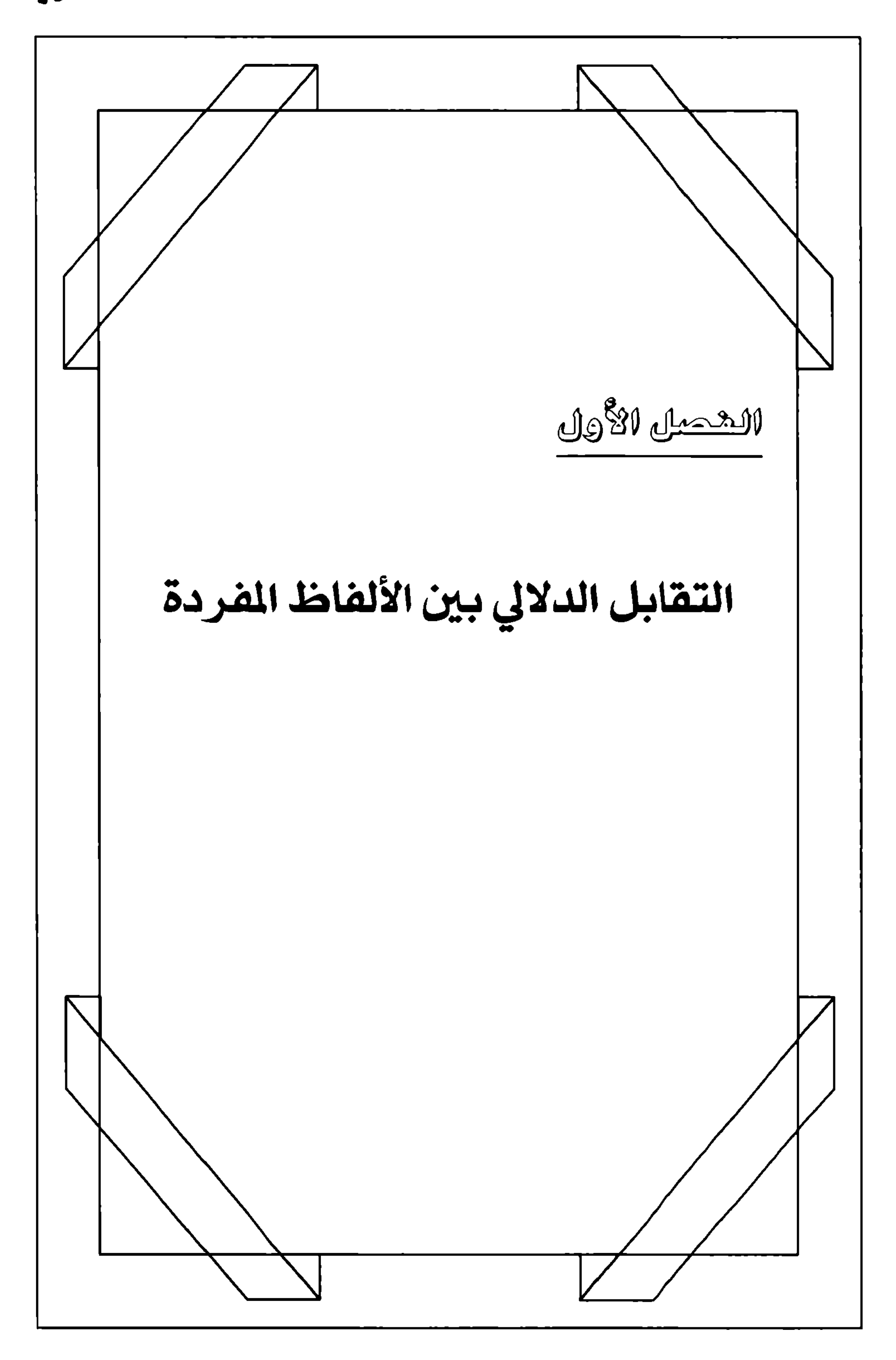
ويبدو ان الرأي الأول هو الأسلم لإن المقابلة تعني النقيض وليس النفي، فالجميل نقيضه القبيح، أما قولك (جميل، لا جميل) فهنا تنفي الجمال، وهذا لا يعني أنه قبيح والى هذا المعنى اشارت الباحثة تغريد عبد فلحي في رسالتها الموسومة (التقابل الدلالي في نهج البلاغة) معللة السبب بقولها: (ما ذهب إليه الجنابي والعبيدي ليس تضييقاً للموضوع بقدر ما هو تخصيص له، ومما يؤكد ذلك أصحاب المعاجم من ذكر اللفظة المقابلة بما يناقضها أو يخالفها أو يضادّها، وليس بنفيها، نحو: قبل نقيض بعد، والليل خلاف النهار، والنور ضد الظلمة)[٣] في ان التقابل لا يعني النفي.

وعلى الرغم من ذلك وجد صدى لهذا النفي في الصحيفة في دعاء الإمام السجاد عليه السلام لنفسه وأهل بيته: «فصَلِّ على مُحَمَّدٍ وآلِهِ وكدْ لَنَا ولا تَكِدْ عَلَيْنا وأَمْكُرْ لنا ولا تَمْكُرْ بنا وَأَدِلْ لَنَا ولا تُدِلْ مِنَّا»[٤].

(١) التقابل الدلالي في اللغة العربية: ٥٢.
(٢) ينظر التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٢٢-٢٣.
(٣) التقابل الدلالي في نهج البلاغة: ٢١.
(٤) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢١-٢٢، ينظر: ٨١-٨٢.

وفيما يأتي جدول نوضح فيه انماط التقابل في العربية:





الفصل الأول

التقابل الدلالي بين الألفاظ المفردة

التقابل الدلالي بين الألفاظ المفردة

مدخل

ويقصد به وقوف شيئين الواحد مقابل الآخر، يستوي في ذلك ان يكونا على نحو الضدين كـ (الليل والنهار)، أو المتقابلين كـ (الأب والأم)، أو الملكة وعدمها كـ (البصر والعمى)، أو النقيضين كـ (الوجود والعدم)(١).

ونتبين أهمية التقابل بين اللفظين من خلال مايحدثه التقابل من توتر أو آثار جمالية ودلالية مطلوبة في فهم السياق، ففي مقابلة القرآن الكريم بين الظلمات والنور مثلاً، إيحاء بدلالات متعددة كاخراج الناس من ظلمات الكفر والمعصية والسلوك السلبي بعامة، إلى نور الايمان والطاعة والسلوك الايجابي بعامة، اذ انهما يؤديان الاثار الجمالية والدلالية المطلوبة في تحقيق النقلة من الشقاء إلى السعادة(٢).

وبهذا تتم دراسة الفصل على اساس ايراد اللفظة ونقيضها في اللفظ والمعنى، ثم التطرق إلى ألفاظ اخرى قد ترادفها في المعنى أو قد تعطي

---

(١) ينظر: التقابل الدلالي في اللغة العربية: ٨١، ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١ - ٩، ينظر: التقابل الدلالي في نهج البلاغة: ٢٣، ينظر: الادب والإسلام: ١٣٥ - ١٣٧، ينظر: ظاهرة التقابل في سورة الزمر: ٩١، ينظر: ظاهرة التقابل في علم الدلالة: ١٥، ينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ٥٣٨، ينظر: التقابل والتماثل في القرآن الكريم: ١٣-٢٧.

(٢) ينظر: الادب والإسلام: ١٣٥-١٣٧.

هذه اللفظة في معنى من معانيها معنى اللفظة المتقابلة من خلال استخدام الطرائق الفنية في التعبير، كالمجاز والتشبيه والكناية، وذلك بأن الألفاظ المفردة تحمل دلالات ومقاصد متنوعة بحسب نوع التقابل، فقد يكون زمانياً أو مكانياً، أو ان يكون التقابل بين مفردات تحمل دلالات الهداية والضلال أو دلالات نفسية أو غيبية أو ظروفاً أو تقابل اجناس، وهذا ما سوف ندرسه في الصفحات الاتية ويمثل اكثر ماورد من انواع التقابل في الصحيفة السجادية :

المبحث الأول

التقابل الدلالي بين ألفاظ الزمان وألفاظ المكان

١ - التقابل الدلالي بين ألفاظ الزمان:

ويراد به التقابل بين المفردات التي تحمل دلالات زمانية، سواء اكان الزمان محدوداً بمدة معلومة مثل الليل والنهار، اليوم والامس، والامس والغد، ام كان غير محدود كالدنيا والاخرة، والاول والاخر، وتزخر الصحيفة السجادية بهذه الألفاظ، فقد ورد الليل والنهار في (ستة عشر) موضعاً من الصحيفة، والدنيا والاخر في (عشرين) موضعاً، في حين ورد لفظا الاول والاخر في (اربعة عشر) موضعاً بين التعريف والتنكير والافراد والجمع وفيما يأتي عرض لهذه الألفاظ ودلالتها التقابلية:

أ - الليل والنهار:

الليل والنهار من المفردات التي تحمل دلالة زمانية محدودة، اذ يمثلان جزئي اليوم، فالنهار في الاصل:(ضياء مابين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ولا يجمع كما لا يجمع العذاب والسراب، فإن جمعت قلت في قليلة: انهر، وفي الكثير: نُهُر)[1] فهو اسم لكل يوم، فلا يقال نهار ونهاران، وانما واحده يوم[2] أمَّا الليل في اللغة: (ضَّد النهار، فهو

(١) لسان العرب (نهر): ٥/ ٢٣٨، ينظر: العين: ٤/ ٤٤.

(٢) ينظر: لسان العرب (نهر): ٥/ ٢٣٨.

يبدأ من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق، والليل اسم جمع جنسي واحده ليلة مثل تمر وتمرة وجمع ليلة ليالٍ وليلات)(١).

ويرد التقابل بين لفظتي (الليل) و(النهار) معرفين في المواضع كلها عدا موضع واحد من الصحيفة السجادية، وذلك في دعاء الإمام عليه السلام لنفسه في الاعتراف بالذنب: «**اللَّهُمَّ... لا اسْتَشهِدُ على صيامي نهاراً ولا أَستجِيرُ بِتَهَّجدِي ليلاً**»(٢) فقد أفاد التقابل مع التنكير معنى البعضية على استمرار اعتراف الإمام بالذنب وان ليس هناك عمل أو عبادة تقابل نعم الله على العباد.

وقوبل بين اللفظين بصيغة المفرد، مقدماً فيه النهار على الليل، ويرى صاحب مجمع البيان أن سبب تقديم النهار على الليل، هو وجود النهار قبل الليل، لتقدم الوجود والنور على العدم والظلمة، فقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام (ان النهار خلق قبل الليل» بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ [يس: ٤٠])(٣) وناسب تقديم النهار على الليل، لأنه عليه السلام لما ذكر الصيام أولاً كان من الواجب أن يقدم النهار، لانه يقع فيه الصيام، وحينما ذكر التهجد كان من الواجب أن يتأخر الليل، لأن التهجد يقع في الليل وقدم الصيام لأنه طاعة أصعب من التهجد ولما كان في سياق ذكر تواضعه وطاعته لله والاعتراف بذنبه كان من الاولى ذكر الطاعة الاصعب.

وقد قصد الإمام عليه السلام من التقابل بين (الليل) و(النهار) بيان أن

---

(١) العين (ليل): ٨/ ٣٦٣، ينظر: لسان العرب: ١١/ ٦٠٨، ينظر: القاموس المحيط: ٤٨/٤.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٠٣.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ أبي الفضل بن الحسن الطبرسي، وقف على تصحيحه الشيخ الفاضل ابو الحسن الشعراني، طهران، ١٣٧٣هـ: ٨/ ٢٧٥.

الاعتراف المستمر بالذنب وطرق باب التوبة هو الطريق الصحيح للهداية والصلاح، ولذلك اوضح في دعائه أنْ لا يكون منه استشهاد على صيام في نهارٍ ولا يكون منه استجارة بسبب تهجد في ليل، وغرضه نفي الصيام والتهجد مطلقاً من باب نفي الشيء بلازمه، أي: لا صيام لي في نهارٍ فاستشهد عليه ولا تهجد لي بليل فأستجير بسببه[١] والإمام عليه السلام له صيام وله تهجد لكنه يقول ذلك من باب الشعور بالتقصير تجاه نعم الله عليه فلما اكن كذلك اوردهما على التنكير ليدل على البعضية.

لذلك قيل ان فائدة التقابل من حيث الافراد بما فيهما من التنكير قد دل على البعضية. والى هذا المعنى اشار الزمخشري في تفسيره لآية الاسراء يقول: (فإن قلت: الاسراء لا يكون إلَّا بالليل، فما معنى ذكر (الليل)؟ قلت اراد بقوله: (ليلاً) بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء، وإنّه أسري به بعض الليل. . . . ؛ وذلك ان التنكير فيه قد دلّ على معنى البعضية)[٢].

ويرد التقابل في غير هذا الموضع بين لفظتي (الليل) و(النهار) معرفين، فقد جاء التقابل لبيان قدرة الله سبحانه وتعالى على الخلق، من خلال مظاهر متعددة منها: ايلاج احدهما في الاخر لغرض اثبات قدرة الخالق وتوحيده قال: «**الحَمْدُ للهِ الذي خَلَقَ اللَّيل والنَّهار بقُوَّته ومَيَّزَ بينهما بِقُدْرته وجَعَل لكُلِّ واحدٍ مِنْهُما حَدّاً محدوداً وأمداً ممْدوداً يُوَلجُ كُلَّ واحدٍ مِنْهُما في صاحِبه ويُوَلِج صَاحِبَهُ فيهِ**»[٣].

---

(١) لوامع الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: للسيد محمد باقر الموسوي الشيرازي صححه وقدّم له: مجيد هادي زاده، حوزة اصفهان العلمية: ٤/ ٢٤٠.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل: لابي القاسم جار الله الزمخشري ت(٥٣٨هـ)، ط١، منشورات البلاغة، قم المقدسة: ٢/ ٦٤٦.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٣، ينظر: ٢٦.

يمكن ان نلمح من هذا التقابل بين (الليل) و(النهار) ومايجري بينهما من انقاص وزيادة ضلالاً من المعاني الهامشية تشير إلى حكمة الله سبحانه وتعالى وقدرته العظيمة في اجراء هذا الامر بهذا التنظيم الذي لا مثيل له، فقد أفاد الفعل المضارع بدلالته على الديمومة والاستمرار في بيان حركة هاتين الايتين، فالولوج يعني الادخال، أي: ادخال احدهما في الاخر، بإن ينقص من كل منهما ما يجعله زيادة في الاخر حسب ما دبره فيه من مصالح العباد والبلاد(١).

ويلاحظ انه قدم (الليل) على (النهار)، ثم عكس الامر بعد التقديم، اذ قدم النهار على الليل بقوله: «يُولِج كُلَّ واحدٍ مِنْهُما في صاحِبه ويُوَلِج صاحِبَهُ فيه» اشعاراً بتلك الديمومة وتعاقبهما المستمر. مشيراً بذلك إلى قوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الحديد: ٦].

وقد يصحب الليل والنهار افعال دالة على احداث تتعلق بهما وتبين ما يطرأ عليهما: كالجعل والولوج، ومن ذلك قول الإمام في بيان فضل الرسول وآله الأطهار: «**وصَلِّ على مُحَمَّدٍ وآلِهِ ما اختلف الليل والنهار**»(٢).

سيق التقابل بين لفظتي (الليل) و(النهار) مقدماً فيها (الليل) على (النهار)، وصحب التقابل فعل دال على حدث يتعلق بالليل والنهار، في بيان الحركة الكونية لتعاقب الليل والنهار وتخالفهما، وهو (اختلف) ودلالة الصيغة (افتعل) على الاجتهاد والطلب(٣).

---

(١) يكون الدخول إذا اخذ الليل في الطول واخذ النهار في القصر، ينظر: شرح الصحيفة السجادية الكاملة: ٦٤.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٠٧، وينظر مثله: ١٢٥.

(٣) ابنية الافعال دراسة لغوية قرآنية: دكتورة نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د.ط، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م: ٥٩.

وافاد التعريف لكليهما بيان خصوصية هاتين الآيتين في انهما من اعظم ايات قدرة الله تعالى، جاعلاً من خلال بيان حركة تعاقبهما واختلافها امداً لا ينتهي حتى قيام الساعة، استزادة في فضل الصلاة على محمد وآل محمد الطاهرين لتشعر هذه الديمومة في حركة الليل والنهار وتعاقبهما المستمر مدى حجم المنزلة التي منحها الله للرسول، وقد عبر الإمام عن ساعات الليل بـ (الآناء) وقابلها باطراف النهار في سياق طلبي: «وأَقْفُ بِنَّا آثار الذين قاموا لك به أناء الليل واطراف النَّهار»(١).

ويلحظ من خلال النص الوارد ان الإمام عليه السلام عبّر عن ساعات الليل بـ (الاناء) واضافها إلى (الليل)، ليقابلها (بأطراف النهار)، مشيراً بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠] فالاناء جمع أني، وهو ساعة من الليل(٢) اما الاطراف فهي جمع (طرف)، وهو جانب الشيء، ويستعمل في الاجسام والاوقات(٣).

وقد قيل ان المقصود بالاناء صلاتي المغرب والعشاء(٤) وقصد باطراف النهار صلاتي الصبح والمغرب، فكرر صلاة المغرب افادة للاختصاص(٥).

وإنّما قُدّمت (آناء الليل) على (اطراف النهار) هنا، تنبيهاً على زيادة

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٢٥.
(٢) ينظر: لسان العرب (أني): ١٤/ ٤٩.
(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن: لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني ت (٥٠٢هـ)، تح وضبط: محمد سيد كيلاني، مطبعة اليابي الجلبي واولاده بمصر، ط الاخيرة، ١٣٨١هـ-١٩٦١م: ٣٠٢.
(٤) ينظر: مجمع البيان: ٢/ ٥٥٩.
(٥) ينظر: الكشاف: ٤/ ٦٣.

الاهتمام بشأن العبادة بالليل، لأنه اشق وادخل في الاخلاص واقرب في المحافظة على الخشوع لهدوء الاصوات فيه، كما خصّ حال القيام في الدعاء، لأنها اشرف في التوجه إلى الله.

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه عند التضرع لله تعالى: «فَتَقَبَّل ماكانَ من صَلاتي وصَوْمي، اجعل غَدِي وما بَعْدهُ افضل من ساعتي ويَوْمي»[١] نجد من خلال النظر في النص أن الإمام عليه السلام عندما قابل بين لفظي (اليوم) و(الغد)[٢] لم ينظر إليه في المعنى الحقيقي وإنما نظر إليه في المعنى المجازي فالغد لا يعني (اليوم الذي بعد يومك)[٣] وإنما المستقبل.

لذا قابل الإمام السجاد عليه السلام بين (الغد) وقصد به المستقبل وبين (اليوم) وقصد به الحاضر، وقد استعمل الإمام اللفظتين مضافة إلى ياء المتكلم لتأكيد الخصوصية والتحديد، لان الامر يتصل بصورة خاصة بالإمام عليه السلام ويمكن ان نلمح من خلال هذا التقابل اشارة إلى ان المستقبل يلزم ان يكون افضل من الحاضر ولا يمكن ان يساويه، لأن من تساوى يوماه دلّ على عدم سعيه في جعل غده افضل من يومه من خلال العمل بما يرضي الله تعالى عنه، لأن الإمام عليه السلام يريد ان يبين من خلال دعائه إلى أن هناك حقيقة خافية عن العقول والقلوب، هي أن كل لحظة من لحظات عمر الإنسان حساب عليه يوم القيامة.

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٠٢، ينظر: م.ن: قابل بين (الغد) و(الامس): ١٤٤.
(٢) المعنى اللغوي لليوم: (مقداره معروف من طلوع الشمس إلى غروبها والجمع أيام)، وهو ردف النهار.
العين (يوم): ٨/ ٤٣٣، ينظر: القاموس المحيط (يوم): ٤/ ١٩٤، ينظر: لسان العرب: ١٢/ ٦٤٩..
(٣) العين (غدو): ٤/ ٣٣٦ - ٣٣٧، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ٤٦٩.

ب - الدنيا والاخرة:

قال الإمام السجاد عليه السلام في دعائه عند الشدَّة في سياق طلبي - الدعاء -: «**اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وآلِهِ وارْزُقْنِي الرَّغْبَةُ في العمل لَكَ لآخرتي حتَّى أَعْرِف صِدْقَ ذلك من قلْبي وحَتَّى يكون الغالبُ عليَّ الزُّهْدُ في دُنْيَاي**»[1].

نجد من خلال النظر في هذا النص ان الإمام عليه السلام قد قابل بين لفظتين من ألفاظ الزمان المطلقة، إذ لا يعرف وقتهما إلَّا الباري جلَّ جلاله فالدنيا من الدنو، أي: القرب، وهي ضدَّ الآخرة[2] اما الآخرة فهي اسم يجمع كل ما يكون بعد هذه الدنيا، فهي دار الدوام والاستقرار والخلود[3] وجاء التقابل في بيان حال من يفضل الاخرة على الدنيا، لذلك قدم الإمام لفظة (الاخرة) على (الدنيا)، فقد قصد النصّح والارشاد والحضّ على العمل من أجل الفوز بالاخرة، وبهذا أفاد التعريف بالاضافة إلى ياء المتكلم اختصاص عبادة العبد وعمله لله تعالى وآخرته، فاللام الاولى في (لك) متعلقة بالعمل المطلق والثانية بالعمل المقيد بـ (لك)، فاللام في (لإخرتي) دلت على التعليل، لان المقصود من العمل هو احراز المنافع الآخروية والسعي الدءوب في مرضاة الله، والاخلاص في طاعته.

مشيراً عليه السلام إلى عدم الوقوع في رفقة اولئك الذين يجعلون العمل لله لاجل الدنيا كما نشاهده من اتخاذ كثير من الناس شعار الصالحين

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٧٢.

(٢) ينظر: لسان العرب (دنو): ١٤/ ٢٧١.

(٣) ينظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: عودة خليل عودة، مكتبة المنار، الزرقاء، الاردن، ١٩٨٥ : ٣٧٠.

واعمالهم ذريعة إلى اقبالهم على الدنيا ونيل مطالبهم منها ونجاح مساعيهم فيها[١].

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام في سياق الامر الذي خرج مجازاً إلى الدعاء: «**وانْهَجْ لي إلى مَحَبَّتك سبيلاً سَهْلَة أكْملْ لي بها خيرُ الدُّنْيَا والاخرة**»[٢].

يرد التقابل في هذا النص بين لفظتي (الدنيا) و(الاخرة)، في سياق التضرع لله سبحانه بإن يهديه للطريق القويم الذي فيه خير الدنيا والاخرة، وقد قدّم فيه الإمام عليه السلام لفظة (الدنيا) على (الاخرة)، لقربها ولأوليتها، ومراعاة للترتيب الزمني[٣] مشيراً بذلك عليه السلام إلى بيان حكمة عظيمة من خلال تقديمه هذه اللفظة، وهي ان الدنيا ليس دار لهو ولعب، يقضيها الإنسان كيفما شاء، وانما هي ممر يقدم فيه الإنسان عمله الذي يُهلكه أو ينجيه، ليحصد في الاخرة مازرعته يداه، لذلك جاءت الصيغة الامرية بما لها من وظيفة دلالية - الدعاء - بطلب النهج، أي الطريق الصحيح الذي يسلم به ويحصل على خير الدنيا وسلامة الاخرة.

فالتوفيق الالهي هو الذي يمنع الإنسان من طول الامل بالدنيا واتباع الهوى، وذلك بجعل الدنيا وسيلة للوصول إلى الهدف الذي خلق الإنسان من اجله، وهو الفوز بالرضا الالهي والجنة.

وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام في سياق طلب الخير له ولغيره ورجاء ان ينال كل مؤمن مثل ما يناله من الخير في سياق الدعاء: «**اللّهُمَّ أَعْطِنا جمِيع ذلك بتوفيقِك وَرَحْمتِكَ وأَعِذْنَا من عذاب السَّعير وأَعْطِ جميعَ**

---

(١) ينظر: لوامع الانوار العرشية: ٣/ ٤٥٧.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٦٦.

(٣) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٣٥.

المُسلمين والمُسْلماتِ والمؤمِنْين والمؤمِنَات مثل الذي سألَتك لنفسي ولوُلْدي في عاجل الدنيا وآجل الآخرة إِنَّكَ قريبٌ مجيبٌ سميعٌ عَليمٌ عَفُوٌّ غفورٌ رءوف رَحِيمٌ»(١).

ويمكن ان نلمح من خلال النص ان الإمام عليه السلام قد قابل بين اوصاف (الدنيا) و(الاخرة)، فقابل بين (العاجل) و(الآجل)، والمراد بالعاجل خصوص الدنيا وهي نقيض الآجلة(٢) حتى لا يتبادر الذهن إلى ان المقصود بالعاجل مطلق ما يتعجله الإنسان في دنياه من المتاع والجاه وما إلى ذلك(٣) اما الآجل فهو صفة الآخرة، يدلُّ على وقت انقضاء ما تقدم قبلها قبل ابتدائها(٤) ويلحظ انه عليه السلام قابل بين (العاجل) واضافها إلى (الدنيا) وبين (الآجل) واضافها إلى (الاخرة)، في بيان اخلاق الدين الإسلامي الذي يدعو إلى نكران الذات وحب الخير للناس والمجتمع، وبهذا افاد التعريف التخصيص والتأكيد من خلال الدعاء بالاسماء الحسنى للباري، بإن الله تعالى هو الذي يفيض الرحمة والنعم على العباد، فقوله (إنَّك قريبٌ مجيبُ. . . .) تعليل لاستدعاء الاجابة من الله سبحانه، بسؤال خير الدنيا والآخرة معبراً عنها بصفتيهما، مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وكما كان الإمام عليه السلام أماماً لاهل التوحيد وقدوة في الترك والتجريد

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٨٣، ينظر: ٢٠.

(٢) ينظر: العين (عجل): ١/ ٢٢٨، ينظر: لسان العرب: ١١/ ٤٢٦، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ١٢.

(٣) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٣٦.

(٤) ينظر: الفروق في اللغة: ٢٦٦، ينظر: ٢٠.

وأباً مربياً لهذا العالم سأل لعامّة أهل التوحيد من المسلمين والمسلمات مثلما سأل لنفسه وولده(١).

وقال الإمام سيد الساجدين عليه السلام في سياق التضرع والاعتراف بالتقصير عن تأدية الشكر: «**ولكِنَّكَ بِكرمِك جازيته على المَّدة القصيرة الفانية بالمَّدة الطويلة الخالدة وعلى الغاية القريبة الزائلة بالغاية المديدة الباقية**»(٢).

نجد ان الإمام عليه السلام قد عبر في نص آخر من نصوص الصحيفة السجادية عن اوصاف (الدنيا) و(الاخرة)، فقابل بين (الفانية) و(الخالدة) و(الزائلة) و(الباقية) على زنة اسم الفاعل، وقابل بين (القصيرة) و(الطويلة) و(القريبة) و(المديدة) بزنة الصفة المشبهة (فعيل)، بقصد مقارنة يبين فيها تدني الدنيا وبيان هوان قدرها ومنزلتها من خلال عرض اوصافها، فهي (قصيرة، فانية، قريبة، زائلة) مشعراً بالذم أو التوبيخ لمن اتبعها، فهي محدودة بامر معين حده الله سبحانه ليشير إلى ان في اتباعها والسير وراء ملذاتها خسارة كبيرة، وليقابله بأوصاف الاخرة (الطويلة، الخالدة، المديدة، الباقية)، ليشير في كل صفة من هذه الصفات إلى سعة رحمة الله تعالى بالعباد الذي يرحمهم فيجازيهم الكثير بالعمل القليل.

ويلاحظ ورود صفتي كل من (الدنيا) و(الاخرة) على زنة اسم الفاعل والصفة المشبهة، وكلاهما له الدلالة على الثبوت والرسوخ، مما يوحي بثبات كل منهما ورسوخه فيهما، ليبين ان الفرق بينهما في ان الاولى وقتية زائلة، والثانية ابدية دائمة، فيحذر بذلك الإمام عليه السلام ضمناً من غرور الدنيا وزخرفها، لأنها حدث طارئ لابد له من الانتهاء، والترغيب في الاخرة،

---

(١) ينظر: لوامع الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: ٣/ ٥٨٤.
(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ١١٥.

إذ الباري لسعة رحمته يجازي العباد على الطاعة في «المدة القصيرة. . . .» بالثواب في المدة الطويلة. . .»، وهذا من باب اطلاق اسم المظروف على الظرف، فهو - سبحانه - يجازي العباد على العمل ذي الغاية الفانية الدنيوية بالثواب ذي الغاية المديدة الباقية الاخروية[١].

ت - الأول والاخر:

قال الإمام السجاد عليه السلام في بيان عظيم الصفات الالهية: «**الحَمْدُ للهِ الأَوَّلِ بلا أَوَّلٍ كان قبله والاخِرِ بلا آخِرٍ يكون بَعْدَهُ**»[٢] و«**أَنْتَ اللهُ لا اله إلّا أَنْتَ الاوَّلُ قبلَ كُلِّ أَحدٍ والآخِرُ بَعْدَ كُلِّ عددٍ**»[٣].

يقابل الإمام السجاد عليه السلام في النصين بين لفظتي (الاول) و(الاخر)، وهما من الألفاظ الزمانية المطلقة، فالاول في اللغة: (يعني الرجوع. آل الشيء يَؤُول أولاً، رجع، وأَوَّل اليه الشيء: ارتددتُ وقيل أول، أولاً: سبق أو تقدّم والأول بمعنى الواحد)[٤] اما الاخر: (تقول: هذا آخرٌ، وهذه أُخْرَى، والآخُر والآخِرةُ نقيض المتقِّدم والمتقدِّمةُ، والآخِرُ: هو الباقي بعد فناء خلقه - تعالى - كله ناطقة وصامتة، والمؤخر هو الذي يؤخر الاشياء فيضعها في مواضعها)[٥] ويرد التقابل بين اللفظتين بصيغة المفرد المذكر، معبراً بهما عن صفتين من صفات الله - تعالى - الدالة

---

(١) المراد بالغاية المسافة فشبه الزمان بالمسافة وانما عبر عنها بـ (الغاية) على سبيل المشاركة لوقوعها في صحبة ذي الغاية. ينظر: لوامع الانوار: ٤/ ٣٧٥.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٧.

(٣) م. ن: ١٥٢، ينظر: ١٠١، ١٦٨.

(٤) القاموس المحيط (اول): ٣/ ٣٣١، ينظر: لسان العرب: ١١/ ٣٢.

(٥) العين (اخر): ٤/ ٣٠٣، ينظر لسان العرب: ٤/ ١١-١٢، ينظر: القاموس المحيط: ١/ ٣٦٣.

على ازليته وابديته، فمعنى (الأَوَّل) القديم[١] وان الله واجب الوجود الدائم في ذاته قبل وجود الخلائق، فهو القديم قبل كل شيء، وابعد في القدم من ان تدركه اوهام عقول البشر[٢] ومعنى (الاخر) الباقي بعد هلاك كل شيء وفنائه[٣]، إذ هو الاخر بعد فناء الخلق لا تختلف عليه الصفات كما يقع لغيره، فهو ليس بآخر على معنى ان لوجوده نهاية[٤].

وجاء التقابل بين هاتين الصفتين، لبيان ان المراد ليس الضدية، إذ هما صفتان من صفات الذات الالهية.

وقد اراد الإمام عليه السلام من خلال هذه المقابلة التعبير عن التوازن الذي يشعرنا بالاحاطة والشمول، واستغراق الزمن مطلقاً بأسره[٥] إذ يصف فيه عظمة عزّ الله تعالى، (فهو الأول والاخر لا حد له ولا منتهى، فهو اقدم من القدم، وابعد عن التصور في الاوهام، لأنه الأول والاخر بالنسبة إلى المخلوقات لا بالنسبة لذاته)[٦].

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام في سياق الدعاء بدوام النعم، «**واشفع لي أَوَائِل مِنَنِك بأَواخِرِهَا**»[٧].

ورد التقابل في هذا النص بين (الاوائل) و(الاواخر) على زنة صيغة منتهى الجموع، والملاحظ ان الإمام عليه السلام استعمل صيغة منتهى الجموع (الأوائل والأواخر) مضافة إلى منن الله سبحانه وتعالى.

---

(١) ينظر: الكشاف: ٤/ ٤٧٢.
(٢) ينظر: نور الانوار: ٢٦، ينظر: بحوث في الصحيفة السجادية: ٢/ ٦-٧.
(٣) الكشاف: ٤/ ٤٧٢.
(٤) ينظر: في ظلال الصحيفة السجادية: ٤٦، ينظر: شرح الصحيفة السجادية: ١٧.
(٥) ينظر: الكشاف: ٤/ ٤٧٢.
(٦) شرح الصحيفة السجادية: ٢٥٨-٢٥٩.
(٧) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٦٨، ينظر: ١٧٥، ١٥٨.

ويبدو من خلال هذا الاستعمال ملمح دلالي هو الدلالة على كثرة نعم الله تعالى ومننه على البشر، ومن هنا جاء استعمال الإمام عليه السلام لصيغة الجمع للاشارة إلى كثرة ما انعم الله على العباد، وقد اراد عليه السلام من قوله (واشفع لي أَوائل مننك بأواخرها) ان تكون هذا المنن مستمرة ودائمة ومتصلة يتصل اولها بآخرها، وفي هذا الاستعمال كناية عن عدم انقطاع نعم الله ودوامها[(١)].

ليدل هذا الاستمرار والدوام على عجز الإنسان عن رد هذه النعم المتواصلة، لان الباري لا يجازي العبد باعماله، لأنه جل شأنه لو جازاهم باعمالهم لما استطاعوا ردّ هذه النعم والمنن التي لا تعد ولا تحصى.

وقال الإمام السجاد عليه السلام في سياق الطلب - الدعاء -: «**واجْعَلْ لي لسان صِدْقٍ في الغابرين وذكراً تاماً في الاخرين ووافِ بي عَرْصَة الأوَّلين**»[(٢)].

يقابل الإمام عليه السلام بين (الاخرين) و(الأولين) بصيغة الجمع المذكر، في بيان ان الإنسان ينقطع عن الدنيا ولا يبقى منه سوى أَثره الحسن، إذ ان العمل الصالح خصوصاً هو الذي يُبقي الذكر الحسن على مدى الاجيال، وهو الذي ينقله إلى ساحة الأولين، وهي كناية عن الالتحاق بهم في منزلتهم، وان يكون مع درجتهم[(٣)].

لذلك جاء تقديم (الاخرين) على (الأولين) ملائماً لسياق الدعاء، لأنه عنى بـ (الاخرين) فيما بقي من الاجيال عطفاً على الغابرين[(٤)]، وقصد بـ (الأولين)المقدمين من الانبياء والصالحين يوم المحشر.

---

(١) ينظر: شرح الصحيفة السجادية: ٤٣٨.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٧٠.

(٣) ينظر: في ظلال الصحيفة السجادية: ٦٠٣، ينظر: نور الانوار: ٣٤٠.

(٤) الغابر من الاضداد: يعني الباقي والماضي، ينظر: الاضداد: محمد بن القاسم =

وبهذا اظهر التقابل ان عمل الإنسان وحده هو الذي يجعل من ذكره مستمراً في الدنيا، وليس هذا فحسب بل يلتحق في الاخرة مع الانبياء والصالحين، وبهذا دل التقابل في هذا الموضع على بيان حال الفريقين، فنجده عبر عن الباقين من أهل الدنيا بـ (الاخرين) لتأخرهم عن الصالحين في المنزلة والدرجة والمقام، في حين أنه عليه السلام عبر عن الانبياء والصالحين بـ (الأولين) لأنهم الرؤساء والقادة في يوم القيامة.

٢ - التقابل الدلالي بين ألفاظ المكان

ويقصد به التقابل بين ألفاظ تحمل دلالات مكانية تصّور فيها القدرة الالهية لنظام الكون، وهو قائم على الثنائية سواء من حيث القرب أو البعد، كالسماء مقابل الارض، أو من حيث الوجهة كالشمال يقابل الجنوب، فهذه الدلالات تفتح ابواب الوعظ والتفكر في دلائل القدرة الربانية.

ويلحظ ان الصحيفة السجادية تحوي من نمط التقابل المكاني ما يبين هذه الدلائل الالهية، وكيفية خلق هذا الكون العظيم بهذا النظام وتلك الكيفية، فقد ورد التقابل بين لفظتي (السماء) و(الارض) في (تسعة عشر) موضعاً من الصحيفة السجادية بصيغة التعريف، بين الافراد والجمع، في حين اورد الإمام عليه السلام التقابل بين (اليمين) و(الشمال) في موضع واحد من الصحيفة السجادية في سياق سؤال الحفظ، على حين جاء التقابل بين لفظتي (فوق وتحت) في موضع واحد، والتقابل بين (الاعلى وتحت) في موضعين، وفيما يأتي عرض طائفة من نصوص الصحيفة السجادية تبين

= الانباري، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دائرة المطبوعات والنشر في الكويت، ١٩٦٠: ١٢٩.

التقابل المكاني متخذاً منه عليه السلام وسيلة للحث على العمل الصالح والايمان بالله تعالى:

أ - السماء والارض:

السماء في الاصل من: (سما يسمو سمواً، أي: ارتفع، والسماء سقف كل شيء، والسماء مؤنث وقد يذَكر، والجمع سماوات)(١).

اما الأرض فهي: (الجرم المقابل للسماء، وجمعه أرضون، ويعبر بها عن اسفل الشيء)(٢) ورد التقابل بين السماء والأرض في الصحيفة السجادية بصور مختلفة، تارة بصيغة المفرد، وأخرى بصيغة الجمع، وجاء التقابل في سياقات ومقاصد متعددة، منها الحديث عن بديع ملك الله تعالى، إذ قال الإمام عليه السلام: **«أَصْبَحْنَا وأَصْبَحَت الاشياءُ كُلَّها بُجْمِلِتَها لك سماؤُها وارضها وما بَثَثتَ في كل واحدٍ منهما ساكنهُ ومتحرَّكُهُ ومقيمُهُ وشاخصه»**(٣).

والذي بدا واضحاً من النص ان الإمام عليه السلام قد قابل بين (السماء) و(الأرض) واحتج بهما في اثبات ملك الله تعالى المطلق، فهو مالك الملك بكونهما آيتين من آياته، أي علامتين من علامات وجوده ووحدانيته(٤).

وقد اورد الإمام عليه السلام اللفظتين بصيغة المفرد، ويعلل سبب افراد (السماء) هو للخصوص بمعنى التوحد في الجهة، ففي افرادها لفت إلى

---

(١) العين (سما): ٧/ ٣١٩، ينظر: ينظر: لسان العرب: ١٤/ ٣٩٧، القاموس المحيط: ٤/ ٣٤٤.

(٢) العين (أرض): ٧/ ٥٥، ينظر: لسان العرب: ٧/ ١١٢، ينظر: القاموس المحيط: ٢/ ٣٢٣.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٤.

(٤) ينظر: المفردات (آي): ٣٣.

كلَّ ماهو فوق الإنسان وما هو مخالف في طبيعة تكوينه لطبيعة الأرض واحوالها[١].

اما الأرض فقد قيل في افرادها اسباب، منها معنوي ولعله الانسب هو: (ان الأرض لا نسبة لها إلى السموات وسعتها بل هي بالنسبة اليها كحصاة في فلاة، فهي وان تعددت وتراءت فهي بالنسبة إلى السماء كالواحد القليل فأختير لها اسم الجنس)[٢] ويلحظ انه عليه السلام قدم (السماء على (الأرض) في المقابلة بينهما، لما للسماء من اهمية وتفاضل في التكوين والانشاء[٣] في بيان سعة ملك الله تعالى، فالسماء وما عطف عليه عطف بيان، وقيل بدل بعض من الاشياء من خلال رسم دقائق هذا الملك العظيم بعرض هذه التفاصيل ضمن ثنائيات تقابلية تدل على سعة ملك الله تعالى بقوله «وما بثثت في كل واحدٍ منهما ساكنة ومتحركة ومقيمة وشاخصة» إذ قابل (الساكن) بـ (المتحرك) و(المقيم) بـ (الشاخص).

وبهذا لو تأملنا جزيئات الدعاء التي ورد فيها التقابل بين (السماء) و(الأرض) لوجدنا أنَّ هذا التقابل يرد في سياق الحديث عن عظمة الخالق وقدرته، وسعة ملكه، فهو يتضمن الساكن والمتحرك والمقيم والمتنقل، لذلك ناسب تقديم (السماء) على (الأرض) ذلك ان الايات الباهرات في السموات أوفر عدداً واظهر عظمة منهنَّ في الأرض[٤] ومن عظيم قدرته

---

(١) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٤٠.

(٢) بدائع الفوائد: لشمس الدين محمد بن ابي بكر ابن قيم الجوزية، الطباعة المنيرية، القاهرة: ١/ ١١٤-١١٥، ينظر: صفاء الكلمة: عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، ١٩٨٣: ١٢١.

(٣) التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٤١.

(٤) ينظر: م.ن: ٤١.

رفع السماء بدون عمد وشمولها لكثير من الايات التي يراها الإنسان، كل هذا توحي به دلالة السماء وتقديمها على الأرض.

ويلمح من خلال النص ان الإمام عليه السلام قد اختار (وقت الصباح) بقوله «اصبحنا واصبحت. . .» في اثبات ملك الله تعالى، لان النهار هو وقت العمل والسعي في تحصيل الارزاق، مشيراً إلى ان الإنسان وما يملكه هو ملك لله تعالى، ويمثل هذا نوعاً من التذكير ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٩]، في ان الإنسان يخرج من الدنيا وهو لايملك شيئاً إلّا العمل الصالح، وحتى لا يشغله سعيه وراء الدنيا عن ذكر الله تعالى.

وجاء التقابل بين لفظتي (السماء) و(الأرض) لبيان ان التقديرات من الارزاق تنزل من السماء إلى الأرض، فقال: «**اللّٰهُمَّ صَلِّ على مُحمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ وارْزُقْنَا من بَرَكات السماوات والأرض إنَّكَ على كُلِّ شيءٍ قدير**»(١) وقد قصد الإمام السجاد عليه السلام بالسماء في هذا الموضع خزائن الجود الالهي قصد المطر تأسيساً على قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وبالأرض ارزاق العباد، وعبّر عن الارزاق بالأرض لأنها مصدر الرزق.

والذي يلاحظ ان الإمام السجاد عليه السلام جاء بلفظ (السموات)مجموعة، في حين افرد لفظ (الأرض)، وتأتي السموات بصيغة الجمع للتفصيل والتعظيم والاهمية(٢) لأنه اراد بيان ذوات السموات لا مجرد العلو

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٥٨، ينظر: ١٥٨، ٨٧، ٢٠١، ١٥ - ١٦.

(٢) ينظر لغة القرآن الكريم: عبد الجليل عبد الرحيم، ط١، مكتبة الرسالة الحديثة - عمان - الاردن، ١٩٨١: ٣٤٧.

والفوقية، كما ان السموات متعددة في الشكل والحجم، على حين الأرض واحدة[١] مشيراً بذلك إلى سعة نعم الباري وعظمة خلقه، إذ (السماء) كلمة تدل على انها مصدر النعم السماوية الالهية، فالسموات كما اسلفنا اوفر عدداً واظهر عظمة من الأرض. وسيق التقابل بين لفظتي (السماء) و(الأرض) في سياق بيان منزلة محمد وآله الطاهرين: «**صَلِّ على مُحَمَّدٍ وآلِهِ.... صَلَاةً لا يَنْقَطِعُ مَددُهَا ولا يُحْصى عَددُهَا صَلَاةً تَشْحَنُ الهَواءَ وتَمَلأُ الأرض والسَّماءَ**»[٢].

والمراد من مقابلة (الأرض) و(السماء) هو بيان تشريف الله عزّ وجل لرسوله الكريم وآله الاطهار بين البشر الذين اسكنهم ارضه والملائكة الذين اسكنهم سماواته، لان الباري ارسله وآله رحمة للعالمين، وبه حرر العباد من ظلم العبودية، فقدم في سبيل الله والدين مالم يقدمه أحد من العالمين، لذلك شرَّفه واعطاه من المنزلة والمكانة، ما لم يسبقه بها سابق ولا يلحقه بها لاحق.

والذي يلاحظ من النص ان الإمام السجاد عليه السلام قد قدّم لفظة (الأرض) على (السماء)، لان الرسل ترسل إلى البشر لهدايتهم بعد ان ضلوا فكان من البديهي تقديم لفظة (الأرض) على (السماء)، فاهل السماء لم يعصوا الله أبداً.

وقيل ان من اسباب تقديم (الأرض) على (السماء) هو التناسق والانسجام الايقاعي بين الفواصل والذي له الاثر الدلالي في بيان الهدف من السياق، قال د. كاصد الزبيدي: (وقد يكون التقديم والتأخير لغرض

---

(١) ينظر: الطبيعة في القرآن الكريم: د. كاصد الزيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠: ٤٨٨.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٠٧.

يقتضيه التناسق الموسيقي بين لفظة وموقف من المواقف، أو بين لفظة وما جاورها من ألفاظ.... مثل جعل السماء فاصلة وتقديم الأرض عليها.... وذلك في موقف خاشع حافل بالدعاء والابتهال)(١).

ويلاحظ من خلال ما ورد من تقابل مكاني في الصحيفة السجادية بين لفظتي (السماء) و(الأرض)، انهما وردا في جميع المواضع معرفين، لان الإمام عليه السلام قد اوردهما في سياق التحدث عن عظمة الخالق وقدرته في تدبير امور البلاد والعباد، من خلال الاحتجاج بأعظم ايات الله تعالى وابداعه إيَّاهما.

ب - اليمين والشمال:

اليمين والشمال من الألفاظ المتقابلة في اللغة، وقد استعملهما الإمام للدلالة على المكان، فالشمال يقابل اليمين (وجمعهُ أشمُل وشمائل وشُمَل، واليُد الشِّمال خلاف اليمين، والجمع اشمل لأنها مؤنثة)(٢) اما اليمين في الاصل: (الجارحة، وهي اليد، ثم انتقلت دلالتها إلى الجهة، فنقول: قعد يمنَةً ويميناً وعن اليَمينِ والمَيْمَنةِ، والجمع: أَيْمُنٌ وأَيْمانٌ ويَمائنِ)(٣).

ورد التقابل بين (اليمين) و(الشمال) في موضع واحد من الصحيفة السجادية في سياق سؤال الله تعالى الحفظ من كل مكروه: **«أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ**

(١) الطبيعة في القرآن الكريم: ٥٤٨.

(٢) العين (شمل): ٦/ ٢٦٥، ينظر: لسان العرب: ١١/ ٣٦٤، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ٢٧٨-٢٧٩.

(٣) العين (يمن): ٨/ ٣٨٦ - ٣٨٧، ينظر: لسان العرب، ١٣/ ٤٥٨، ينظر: القاموس المحيط: ٣/ ٤٠٢.

شَمَائِلِنَا، وَمِنْ جَمِيْعِ نَوَاحِيْنَا حِفْظاً عَاصِماً مِنْ مَعْصِيَتِكَ هَادِياً إِلَى طَاعَتِكَ»[١].

وقصد الإمام عليه السلام من سؤال الباري سبحانه ان ينعم عليه بالحفظ الموجب للعصمة من المعصية والهادي إلى المحبة والطاعة.

حيث سيق التقابل للدلالة على الجهة، أي جهتي اليمين والشمال، والذي يبدو واضحاً ان هذا الوجه هو الارجح، بدليل ذكر الإمام السجاد عليه السلام (الأمام) و(الخلف) قبل ذلك ثم اتبعهما بجانبي (اليمين) و(الشمال) اشتمل بذلك على الجهات الاربع المحيطة بالإنسان، فالإنسان معرض للغواية من كل الاتجاهات وان القرآن الكريم عبر عن نوايا الشيطان في اغواء البشر بأن يأتيهم من كل الاتجاهات من بين ايديهم ومن خلفهم وعن شمائلهم وايمانهم، وقد استمد الإمام هذا المعنى من القرآن الكريم حيث يقول تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

وأفاد التعريف بالالف تخصيص دوام نعم الله على العبد بمعقبات[٢] تحرسه من آفات المعصية، فجيء التقابل بصيغة الجمع بقصد دلالة الوجهة: (لان الجمع هنا في مقابلة كثرة من يريد اغواءهم - وهو الشيطان - فكأنه اقسم ان يأتي كل واحد من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله، ولا يحسن هنا يمينهم وشمالهم، بل الجمع ههنا في مقابلة الجملة بالجملة)[٣].

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٥.

(٢) المعقبات: تعبير عن الحواس وسائر الغرائز التي لها ابلغ الاثر في الحفظ من المعصية، ينظر: في ظلال الصحيفة السجادية: ١٢٧.

(٣) بدائع الفوائد: ١/ ١٢٠.

المبحث الثاني

التقابل الدلالي بين ألفاظ الهداية والضلال

تزخر الصحيفة السجادية بألفاظ الهداية والضلال، فقد تضمن النص السجادي، رؤى فكرية تعبر عن صدق الايمان المطلق للوصول إلى القيم الخلقية والصلة الروحية بالله تعالى والسنة، فكان الدعاء مفتاح ذلك العمل الاصلاحي في تأييد رسالته الالهية من خلال المقابلة بين الهداية والضلال، يضاد بعضها بعضاً، مثل الحق يقابل الباطل والذي ورد في (اربعة) مواضع من الصحيفة السجادية، والظلمة تقابل النور، والتي وردت في (اربعة) مواضع من الصحيفة والهدى يقابل الضلال في (ستة) مواضع بين الاسمية والفعلية، وسوف نقف عند طائفة من الألفاظ المتقابلة في الصحيفة السجادية على النحو الآتي[1]:

١ - الحق والباطل:

الحق والباطل من الألفاظ المتقابلة في اللغة وقد استعملها العرب في سياقات الكلام المختلفة نكرات ومعارف، ووردت في القرآن الكريم في كثير من الايات القرآنية، وقد استعملها الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة، وقد تأثر الإمام السجاد عليه السلام بما ورد في القرآن الكريم وفي نهج البلاغة

(١) قابل الإمام عليه السلام بين ألفاظ كـ (الضلال والرشاد)، ينظر: الصحيفة السجادية: ٢٦، ٦٤، وقابل بين (الهدى)، و(الهوى)، ينظر: م.ن: ٣٠.

فقد وردت هاتان المفردتان في سياقات مختلفة من الصحيفة السجادية والحق هو اسمٌ من اسماء الله عز وجل، وقيل هي صفة من صفاته، يقال: (حق الشيءُ إذا وجب وثبت)[١]، و(الحق خلاف الباطل، واصله المطابقة والموافقة)[٢]، لذلك سُمي الحق حقاً لاستحقاقه ان يحمل عليه وان يُنْتَفَع به[٣]على حين سمي الباطل باطلاً من: (بطل الشيءُ يبطل بُطلاً وبطولاً وبُطلاناً: ذهب ضياعاً وخُسراً، فهو باطل، والباطل: نقيض الحق، والجمع اباطيل)[٤].

قابل الإمام بين لفظتي (الحق) و(الباطل) في سياق الدعاء في قوله: **«اللّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وآله ووفقْنَا في يَوْمنّا هذا... لاستعمال الخير وهجران الَّشرِّ... وانتقاص الباطل واذلاله ونُصْرَةِ الحَقِّ واعزازِهِ»**[٥].

اورد الإمام التقابل بين اللفظين، معبراً بـ (الحق) عن الايمان بالله وتوحيده، وبالإسلام وكتابه العزيز وبالرسول الكريم (صلة الله عليه وآله)، وليعبر بـ (الباطل) عن الشيطان وما يوسوس به للانسان من المعاصي والكفر والجحود بالله واتباع الشهوات[٦] فقصد بهذا التقابل بيان ان اتباع طريق الباطل يؤدي بالإنسان إلى الهلاك، وفي اتباع الحق عز الإنسان ونصرته فمن اتبعه نال الرضى والصلاح.

---

(١) العين (حق): ٣/ ٦.
(٢) ينظر: لسان العرب: ١٠/ ٤٩، القاموس المحيط: ١/ ٢٢١.
(٣) ينظر: المفردات (حق): ١٢٥.
(٤) العين (الباطل): ٧/ ٤٣٠، ينظر: لسان العرب: ١١/ ٥٦، ينظر: القاموس المحيط: ٣/ ٣٣٥.
(٥) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٦.
(٦) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٥٣.

ويلاحظ ان هناك تقابلاً آخر ورد في النص، هو بين (الخير) و(الشر)، لان الشر مرتبط بالباطل، والخير مرتبط بالحق، وهكذا يجري التقابل في اكثر من مفردة في النص وكأنه عليه السلام اراد ان يجعل بنية النص قائمة على التقابل، للايضاح بان الحق قائم مع الباطل وان الصراع بينهما مستمر، فمن عرف الحق نال الخير والسعادة والعزة، ومن اتبع الباطل لحقه سوء العاقبة وضرب عليه الذل والمسكنة.

ولا يخلو التقابل بين اللفظين من المجاز، إذ صور الإمام عليه السلام الصراع الفكري بين قوتي الحق والباطل، وموقفه منهما وذلك باعتماد التجسيد، إذ جعل كلاً من (الحق) و(الباطل) شخصاً له صفات العزة والذلة والانتقاص والنصرة، وقد اراد بهذا التدليل على امر يتعلق بعبادة الإنسان. فهذه الفقرة من النص تمثل موقف المؤمن الذي يعبد الله ويتبع طريق الحق والصلاح وينتصر له، ويقلل من الباطل ويذله من خلال ترك ما نهى الله تعالى عنه واجتناب معاصيه.

ويلحظ انه عليه السلام قد قدم لفظ (الباطل) على لفظ (الحق) للفت الانتباه إلى مدى خطورة الباطل في اعمال الخلائق، وان في اتباعه إذلالاً لصاحبه، على حين نجد صاحب الحق مهما طال ظلمه سينصره الله ويعزه.

وقابل الإمام السجاد عليه السلام بين (الحق) و(الباطل) في سياق الاستعاذة من سيء الاخلاق ومذَامّ الافعال في سياق الدعاء: «**اللَّهُمَّ إني أعوذُ بك من. . . . إيثار الباطل على الحق**»[1] لبيان موقفه الذي هو موقف الحق، لذلك نرى انه قدم لفظ (الباطل) على (الحق)، لأنه في مقام الاستجارة والاستعاذة من اختيار طريق الغواية والضلال على طريق الصلاح والفلاح.

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٣٠، ينظر: ٢٢٧.

وقابل بينهما في بيان موقف العداء الدائم من الشيطان لبني البشر: «ولولا أَنَّه صَوَّرَ لهَمُ الباطلَ في مثال الحَقِّ ما ضل عن طريقك ضالّ»[(١)] ويلاحظ ان التقابل ورد في سياق الاخبار عن عمل اختاره الشيطان وجعل منه هدفاً يسعى إلى تحقيقه لإضلال بني آدم.

ويلحظ مناسبة الفعل المتعدي (صوَّر) لتعدد وجوه الشيطان، ومجيئه للانسان بكل الطرق والسبل في سبيل ازاحته عن جادة الصواب، لذا استخدم صيغة (فَعَّل) في الدلالة على التكثير[(٢)] وهذا يوضح سعيه الحثيث في ادخال الإنسان النار، وبهذا جاءت الدلالة الزمانية للفعل دالة على الزمن المطلق، ليبين استمرار الشيطان في اضلال بني آدم في كل زمان ومكان، وهو كذلك أبداً ودائماً والذي يبدو وواضحاً ورود لفظتي (الحق) و(الباطل) معرفين بـ (ال) في جميع المواطن من الصحيفة السجادية، لأن الإمام عليه السلام اراد بيان خصوصية (الحق) و(الباطل) في مصير الإنسان مشيراً إلى قول تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وبهذا يتضح الهدف الدلالي من التقابل وهو تحذير الإنسان وجعله متيقظاً في كل وقت من فعله وقوله، لإن هناك من يدبر له ويعمل على اضلاله وخسرانه.

٢ - الظلمة والنور:

النور والظلمة من المفردات التي وردت في القرآن الكريم وكلام العرب وقد استعملت احداهما مقترنة بالاخرى، فهما من الألفاظ المتقابلة

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١١٤-١١٥.

(٢) الكتاب: لابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت (١٨٠هـ) المعروف بسيبويه، تح وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٦، عالم الكتب، بيروت: ٤/ ٦٥.

في اللغة، فالنور في الاصل من: (الضياء، ونار وانار ونور وانارة، واستنار، أي: اضاءَ، والجمع: انوار، وهو خلاف الظلمة)[١].

اما الظلمة فهي: (ذهاب النور، وهي خلاف النور، وجمع الظُّلْمة ظُلمُ وظُلمات)[٢] ورد التقابل بين لفظتي (الظلمة) و(النور) في سياق بيان علم الله تعالى، بصيغة التعريف في قول الإمام السجاد: «**سبحانك تَعْلَمُ وزن الظُّلْمَةِ والنَّور**»[٣] إفادة لاختصاص علم الله تعالى بهذا الاطلاق، لان علمه سبحانه لا حدود له، فالذات الالهية حاضرة لا يعزب عنها شيء، بدليل استخدام صيغة (يَفْعَل) المضارعة ودلالتها على تجدد علم الله تعالى ومداومة استمراره فهي تعني تعزيز معنى اللامحدودية للملكوت الالهي وقدرته تعالى على تدبير شؤون خلقه.

ويلاحظ ان الإمام عليه السلام وصف علم الله تعالى من خلال استخدام الوزن والذي يوحي بالدلالة على المقادير لشيء لايقاس بالمقادير، ليبين اطلاق علم الله تعالى، فقد اوضحت هاتان السمتان (الظلُّمة) و(النور) ثبوتاً ورسوخاً ملازماً لمقتضيات الالهية وقد وردتا بعد الجملة الفعلية الدالة بحركة فعلها على استمرار علم الله تعالى وشمول قدرته الالهية.

ويلحظ ان الإمام عليه السلام قدم لفظة (الظلمة) على (النور) متأثراً باسلوب

---

(١) العين (نور): ٨/ ٢٧٥، ينظر: لسان العرب: ٥/ ٢٤٠، ينظر: القاموس المحيط: ٢/ ١٤٩.

(٢) العين (ظلم): ٨/ ١٦٢، ينظر: لسان العرب: ١٢/ ٣٧٧، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ١٤٥.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٩٦، ورد التقابل بين لفظتي (الظلمة) و(النور) في موضعين: ١٩٦، ١٠٦ اما بقية المواضع وردت في سياق تقابل فعلي وتقابل التغاير ينظر: ١٢٣، ٦٣، ٢٢.

القرآن الكريم[١] وناسب التقديم لأنه في مقام الحديث عن علم الله تعالى الذي لايخفى عليه شيء في السموات والأرضين.

٣ - الهدى أو الضلال، الهدى والعمى:

الهدى في اللغة (الرشاد والدّلالة والبيان، وهو ضدَّ الضلال، وهو الطريق الحق، يقال هَدَيتُه الطريق أي عَّرفتُه إياه)[٢] والهُدى والهداية واحدُ في موضوع اللغة لكن فعّل الله عزّ وجل لفظة الهُدى بما توّلاه واعطاه واختص هو به، دون ماهو إلى الإنسان[٣].

اما الضلال من (ضلَّ يضلُّ إذا ضاع، وتقول ضللت مكاني إذا لم اهتد له والضلال والضلالة: ضد الهُدى والرشاد)[٤] ويسمى كل عدول عن المنهج ضلالاً[٥].

قابل الإمام السجاد عليه السلام بين لفظتي (الهدى) و(الضلالة) في سياق الحديث عن الموت: «**وَاجْعَلْهُ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ مَغْفِرَتِكَ، وَمِفْتَاحاً مِنْ مَفَاتِيحِ رَحْمَتِكَ. أَمِتْنَا مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ**»[٦] أي ارحمنا في الموت ونحن مهتدون غير ضالين عنك.

قوبل بين لفظتي (الهداية) و(الضلال) لبيان ان الله تعالى يهلك ويعذب

---

(١) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٥٤.

(٢) العين(هدى): ٤/ ٧٨، ينظر: لسان العرب: ١٥/ ٣٥٣-٣٥٤، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ٤٠٣.

(٣) المفردات (هدى): ٥٤١.

(٤) العين (ضل): ٧/ ٨-٩، ينظر: لسان العرب: ١١/ ٣٩٠، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ٥.

(٥) المفردات (ضل): ٢٩٧.

(٦) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٢١، ينظر: ٥٣.

بالكفر به كثيراً بأن يضلهم عن الثواب وطريق الجنة فيكون الموت باباً لهلاكهم، ويهدي بالايمان به كثيراً إلى طريق الثواب والجنة فيكون الموت باباً للرحمة ومفتاحاً للجنة(١) وقد وقع التقابل بين اللفظتين بزنة اسم الفاعل، للاشعار بالثبات والرسوخ، فناسب بذلك ذكر المغفرة والهداية، لان من اهتدى له مغفرة ورحمة من الله تعالى، ومن ضل يقع عليه العذاب.

ويلاحظ ان هذا التقابل في مجمله يتجه إلى اثبات ان الهداية والضلالة فعل من افعال الله عز وجل ومن قدراته التي يتصف بها دون غيره، فالله عز وجل عندما تأتي محنته وابتلاؤه فانما يضل الجاهلين غير الثابتين في معرفتهم له ويهدي العاملين الثابتين بقولهم بوحدانيته، ويتضح بذلك معنى القدرة الالهية على الهداية والضلالة، وذلك ان المحنة والفتنة كانتا سببين لان يضلوا ويهتدوا فكأنما اضلهم بها وهداهم بها، ومن هنا يمكن القول ان الله يهدي ويضل من يريد هو أن يهتدي أو يضل، وبهذا تكون هداية الله واضلاله للناس بلازم الفعل لا بالفعل فهو يرسل الرسل ولبينات إلى الناس فيلزم منها اما ان يهتدوا أو يضلوا وهو لا يهديهم بارادته سبحانه أو يضلهم بها ابداً، مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧]، وقد جاء الدعاء مبيناً اقرار المؤمنين بقدرته سبحانه وتعالى من خلال التوجه اليه سبحانه بطلب خير الدنيا والاخرة بحيث جمعت الدعوة كل خير وصرفت كل شر وذلك بجعل الموت باباً للمغفرة ومفتاحاً للرحمة الالهية، وذلك بإن ينال رضى الرحمن ويسكنه جنته.

---

(١) ينظر: مجمع البيان: ١/٦٦.

وقابل الإمام زين العابدين عليه السلام بين لفظتي (الهدى) و(الضلال) معبراً عن الثانية (بالعمى) في موضع واحد من الصحيفة السجادية في معرض الحديث عن الاعتراف بالذنوب وذكر التوبة وطلبها، قال: «حَتّى إذا ما انفتح لَهُ بَصرُ الهُدى وتَقَشقَتْ عنه سحائب العمى»[١] والمراد بـ (العمى) هنا: عمى البصيرة المشار اليه في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، وهي استعارة حسنة، إذ (العمى) حقيقة عبارة عن انعدام ملكة البصر[٢] ثم استعمل في موارد الضلالة وعدم الهدى، ووجه المشابهة ان الاعمى كما لا يهتدي لمقاصده المحسوسة بالبصر - لعدمه - كذلك اعمى البصيرة لا يهتدي لمقاصده المعقولة لاختلال بصيرته وانعدام رشده.

فأفاد التقابل بين اللفظين التنبيه إلى ان الإنسان متى انكشفت عنه سحائب الضلالة وتحلى بنور التوفيق والهداية يرى الأشياء كما هي، فكل احد يكون بعد كشف غطائه ورفع حجابه، وحدة بصره مبصراً لنتائج اعماله ومشاهداً لاثار افعاله مطلعاً على حساب حسناته وسيئاته فيرى كبير عصيانه كبيراً وجليل مخالفته جليلاً[٣]، فيؤكد الإمام عليه السلام للمؤمن انه على صواب في توحيد الخالق عز وجل، وذلك لان من له هذه القدرة العظيمة هو أهل التوحيد، لذا جاء الدعاء لتثبيت معنى القدرة الالهية على الهداية والضلال من خلال تزيينه للهداية وتكريهه للضلالة.

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٩٥، ينظر: ٣٠، ٦٤، ورد التقابل بين (الرشاد) و(الضلال)، ينظر: ٢٦، ٦٤.

(٢) ينظر: العين (عمى): ٢/ ٢٦٦، ينظر: لسان العرب: ١٥/ ٩٥، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ٣٦٦.

(٣) ينظر: لوامع الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية ٤/ ١٤٢.

ويحمل النص تقابلاً دلالياً آخر، هو بين حرفي الجر (اللام) و(عن) فقد افادت (اللام) معنى التمليك[١]، أي أن الإنسان بأمكانه ان يملك الجنة ورضوان الباري باتباع طريق الهداية والصلاح، في حين ناسب معنى حرف الجر (عن) المجاوزة، لان فيها معنى الحرك والانتقال وهنا يشير الإمام عليه السلام إلى عملية مهمة يريد بها امتلاك طريق الهداية وهي مقايضة الدنيا التي من صفتها الزوال والذهاب عندما تتكشف له سحائب الضلالة بالآخرة التي صفتها البقاء والدوام بامتلاك الهداية والصلاح، وقد تمت هذه المقايضة بوساطة الحرفين (اللام) و(عن).



(١) ينظر: الجنى الداني: ١٤٤.

المبحث الثالث

التقابل الدلالي بين ألفاظ العبادة وألفاظ الجزاء

١ - التقابل الدلالي بين ألفاظ العبادة:

تكشف الصحيفة السجادية عن ألفاظ تقابلية معبرة عن السلوك الإنساني الخير كالعبادات والمعاملات، مع بيان ما يقابله من عمل السيئات ومقارفة الذنوب وترد هذه الألفاظ باسلوب فني رائع، يفيض بروح الدين وسحر البيان، معبرة عن أصالة التجربة التي عاشها الإمام السجاد عليه السلام، وصدق التعامل مع القيم التهذيبية والتربوية التي سار عليها الإمام، تارة بالتذكير والترغيب، واخرى بالزجر والترهيب في مجمل الصحيفة السجادية، ومن اهم الألفاظ العبادية التي وردت، التقابل بين الحسنة والسيئة في (خمسة عشر) موضعاً من الصحيفة، على حين نجد ان التقابل بين الحلال والحرام في موضعين من الصحيفة السجادية، ويرد التقابل بين الطهارة والدنس في موضعين، وعلى النحو الآتي:

أ - الطاعة والمعصية

من الألفاظ العبادة التي وردت في الصحيفة الطاعة والمعصية، والطاعة في الاصل من الجذر الثلاثي (طوع) (طاع يُطْوع طَوْعاً فهو طائع،

والطاعة اسم لما يكون مصدره الاطاعة، وهو الانقياد)[1] وهي نقيض المعصية، تقول: (عصى يَعْصِي عصياناً ومعصية)[2].

ويرد التقابل بين (الطاعة) و(المعصية) باشكال شتى، فقد استعمل الإمام عليه السلام المفردتين في نصوص كثيرة قابل بينهما لافادة دلالات متعددة بحسب السياق الذي ترد فيه اللفظتان، وجاءت اللفظتان في معظم المواضع في سياق التضرع لله سبحانه وتعالى والالتماس منه ان يجنب الداعي المعصية ويلزمه الطاعة، فجاءت تارة بصيغة المفرد، واخرى بصيغة الجمع، وقد يجمع بينهما بأن يرد احدهما مفرداً والاخر جمعاً من خلال التماس الباري بأن يمن عليه فيجعله من أهل المعروف والنهي عن المنكر.

ومن ذلك قول الإمام السجاد عليه السلام في سياق الدعاء: «**اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وآلِهِ... وامنُنْ علي بالصَّحَّة والأمن... والقُوَّة على ما امرتني به من طاعتك والاجتناب لما نهيتني عنه من معصيتك**»[3].

وقد اورد الإمام اللفظين بصيغة التعريف - بالاضافة - إلى ضمير المخاطب - الكاف - تعظيماً للطاعة والمعصية في بيان اختصاص رحمته ونعمه على العبد المنيب إذا ما ألحّ عليه في السؤال، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: (**بإن الله سُبحانه كره الحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة وأحبَّ ذلك لنفسه، ان الله عزّ وجلّ يحبُّ ان يُسأل ويطلب ما عنده**)[4].

(١) العين (طوع): ٢/ ٢٠٩، ينظر (طووع): لسان العرب: ٨/ ٢٤٠، ينظر (طوع): القاموس المحيط: ٣/ ٦٠.

(٢) العين (عصى): ٢٠/ ١٩٨، ينظر: لسان العرب (عصى): ١٥/ ٦٧، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ٣٦٣.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ٧٥، ينظر: ١٣١، ٢٢٧.

(٤) شرح اصول الكافي: محمد صالح المازنداني (ت١٠٨١هـ): تعاليق: الميرز أبو =

ويلحظ انه عليه السلام قد قدم لفظ (الطاعة) على (المعصية)، مراعاة لفطرة الإنسان المحبة لتقديم الخير على الشر والسراء والضراء.

ويرد التقابل بين (الطاعة) و(المعصية) في سياق الدعاء: «**اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وآلِهِ وقني المعاصي واستعملني بالطاعة وارزقني حسن الانابة**»[1].

قصد الإمام بيان حال التذلل لله تعالى وسؤال الوقاية من المعاصي وتوفيقه لطاعة الله سبحانه، ويلحظ انه عليه السلام قد جاء بالطاعة مفردة، في حين جمع لفظة المعصية، وربما جاء بالمعصية مجموعة، لأنها كثيرة ومتنوعة فهناك الصغائر والكبائر منها، بعكس الطاعة فهي واحدة في كل حين، لذا استدعى السياق تقديم (المعاصي) على (الطاعة)، من باب تقديم السبب على النتيجة، لأن الوقاية من لمعاصي هو السبب الرئيس للتفرغ إلى الطاعة، ولا يطيعُ المرءُ ربّه ما زال مشغولاً في حيز المعصية، لذا قدم ما قدم وأخر ما أخرّ.

وقابل عليه السلام بين اللفظين في سياق الحديث عن الرسول العظيم ومنزلته الشريفة: «**بحقَّ من وصلت طاعته بطاعتك ومن جعلت معصيته كمعصيتك. . . تغمدني في يومي هذا بما تتغمدُ به من جارَّ إليك مُتَنَصِّلاً**»[2].

نجد من خلال النظر في هذا النص، ان الإمام قد اورد في صحيفته كثيراً من النصوص التي تحدث فيها عن منزلة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وآله الاطهار، لأنه اراد بيان المنزلة التي شرف الله بها رسوله الكريم وآله، والتي لم

= الحسن الشعراني، ضبط وشرح: السيد علي عاشور، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ١٠/ ٢٤٥.

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٥١، ينظر: ٨٢-٨٣، ١١٥، ٨١.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٦٣، ينظر: ٢٠، ٢٩-٣٠، ١٢١-١٢٢، ٥٢. .

يحفظها أهل الأرض بعد وفاة الرسول ﷺ وهو في هذا النص يذكر مزية اخرى من مزايا هذه المنزلة الشريفة وهي بإن ربط الباري طاعته بطاعة الرسول ومعصيته بمعصيته.

واورد التقابل بين اللفظين بصيغة التعريف بالاضافة، سواء باضافة ضمير الخطاب الكاف العائد على الله تعالى، أو باضافة ضمير الغائب العائد على الرسول ﷺ، وفي كلا اللفظين افاد التقييد في بيان مكان الرسول الاعظم وآله الاطهار، فهم الوسيلة إلى الله تعالى.

ب - الحسنة والسيئة:

الحسنة في الاصل من: (الحسن وهو نقيض القبح)[(١)] ويعبر به عن: (كل مبهج مرغوب فيه والحسنة يعبّر بها عن كل ما يسرّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه واحواله)[(٢)].

اما السيئة من: (اساء الشيء: أفسدهُ ولم يُحسنَ عمله. والسيئة: الخطيئة والسُّوء اسم جامع للافات والدّاء، والسَّيء والسَّيئةُ: عملان قبيحان يصير السَّيء نعتاً للذكر، والسَّيِّئة للانثى)[(٣)].

ورد التقابل بين (الحسنة) و(السيئة) في (خمسة عشر) موضعاً من الصحيفة السجادية مفردين في مواضع، ومجموعين في اخرى ليعبرا عن معاني التوحيد والشرك والجنة والنار، من ذلك قول الإمام السجاد عليه السلام في سياق النفي:

---

(١) العين (حسن): ٣/ ١٤٣، ينظر: لسان العرب: ١٣/ ١١٦، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ٢١٤.

(٢) المفردات (حسن): ١١٨، ٢٥٣.

(٣) العين (سوأ): ٧/ ٣٢٧، ينظر: لسان العرب: ١/ ٩٧، ينظر: القاموس المحيط: ١/ ١٨.

«اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَد وَآلِهِ وَاجْعَلْ هَمَسَاتِ قُلُوبِنَا وَحَرَكَاتِ أَعْضَائِنَا، وَلَمَحَاتِ أَعْيُنِنَا، وَلَهَجَاتِ ألسِنَتِنَا فِيْ مُوجِبَاتِ ثَوَابِكَ، حَتَّى لَا تَفُوتَنَا حَسَنَةٌ نَسْتَحِقُّ بِهَا جَزَآءَكَ، وَلا تَبْقَى لَنَا سَيِّئَةٌ نَسْتَوْجِبُ بِهَا عِقَابَكَ»[١].

ورد التقابل بين اللفظين في سياق التضرع لله والتذلل له سبحانه بصيغة التنكير لافادة عموم نيل الحسنات وشمول ترك السيئات من خلال التوجه لله سبحانه بروحه وجوارحه، لذا نرى الإمام يفصل هذا التوجه بهمسات القلب وحركات الجوارح ولمحات العين وتحرك اللسان المستمر بذكره سبحانه، وكان لورود الفعلين بصيغة المضارع (تفعل) المنفي الدال على التجدد والاستمرار في بيان دوام هذا التوجه لله حتى لا يكون للعبد إلّا فعل الحسنة وترك السيئة.

ويلاحظ ان الإمام قدم لفظة (الحسنة) على (السيئة)، لأنه عليه السلام اراد بيان حال العبد الصالح الذي يسعى لنيل الحسنات وترك السيئات فجاء التقديم ملائماً للسياق.

ويرد التقابل بين اللفظين في سياق النداء **«يا مُبِّدل السَّيئات بأَضعافها من الحسنات إِنك ذو الفضل العظيم الجواد الكريم»**[٢].

نجد الإمام في هذا النص يقابل بين (الحسنة) و(السيئة) في سياق التفكر في عظمة قدرة الله تعالى، فقد قابل بينهما لبيان دلالة الانعام والانتقام جامعاً اياهما، وذلك بتبديل ماكانوا فيه من البلاء والمحنة بالرخاء والصحة والبركة[٣] فليست الحسنة والسيئة هما العمل الصالح

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٣٢، ينظر: ١٤٩، ٢٥.

(٢) م.ن: ١٤، ينظر: ١٣٩، ١٢٠، ٧٨، ٧٢.

(٣) ينظر: الكشاف: ٢/ ١٣٢.

وغير الصالح بل المراد ما يقدرهُ الله سبحانه لعباده، وهذا يعني اتساع دلالة المفردة عنده عليه السلام إذ عبر بهما عن كل ما فيه خير للانسان وكل ما فيه شر فليس المقصود الحسنة والسيئة بمعناهما اللغوي الضيق، لذلك جاء التوكيد لبيان دلالة القدرة بقوله: «انك ذو الفضل العظيم الجواد الكريم» أي صاحب القدرة الذي بيده كل شيء، لذلك جاء بصفات الباري وما تحمله من دلالة الثبوت والرسوخ لبيان تلك الدلائل. لو تأملنا الدعاء قبل هذه الفقرة لوجدناه في سياق بيان فضل الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي شرفه الله سبحانه بمنزلة لايدانيه فيها سابق أو لاحق، وبياناً لتلك المنزلة طلب تبديل المسيئات بصيغة (مُفعّل) للمبالغة دلالة على سعة كرم اباري سبحانه في تبديل تلك السيئات، لذلك جا (ال) التعريف في كل من (الحسنات) و(السيئات) دالة على الاطلاق، بدليل ضمير (الهاء) العائد على السيئات في أن الباري يبدل تلك السيئات باضعاف من الحسنات.

وبهذا فالسياق يستدعي تقديم لفظة (السيئة) على (الحسنة)، لان التبديل يقتضي ترك الأول وهو السيئة، والاخذ بالثاني وهو الحسنة[1].

ويلحظ شدة تأثر الإمام السجاد عليه السلام باسلوب القرآن الكريم، فما من نص من الصحيفة إلَّا وتضمن معاني القرآن الكريم، مشيراً بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا﴾ [الأعراف: ٩٥].

وقال الإمام السجاد في سياق الدعاء: **«إلهي أَجرني من أليم غضبك وعظيم سخطك.... إذا حالت الاحوال، وهالت الاهوال وقَرُب المحسنُون وبعد المسيئون»**[2].

---

(١) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٥٩.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٠٢، ينظر: ٨،١٤،٢٥،٣٢،٣٤،٦١.

ورد التقابل في هذا النص بين اللفظين مجموعين ومعرفين بـ (آل) على زنة اسم الفاعل، عند الاستجارة بالله من هول عذاب النار وفضيحة العار يوم القيامة فأفاد التعريف العموم، بإن هناك نتيجة حتمية، انه لا ينفع الا من أتى الله بقلب سليم حيث يفوز المحسن، ويخسر المسيء ويؤول إلى جهنم، لذا فإن محور التقابل بين اللفظين يدور حول مسالة هي ان القرب والبعد يرتكز على رضى الله سبحانه على عباده.

وفي استعمال الإمام للفعلين (قرب، وبعد) بصيغة فَعُلَ التي تدل على الاطلاق، أي: مطلق القرب ومطلق البعد من الله تعالى وبيان ان الاعمال الصالحة تقربك من الله تعالى وتبعدك من النار، والاعمال السيئة يدرك بها الإنسان الشقاء والعذاب نتيجة البعد عن رضا الله والقرب من النار وعذابها[١].

ويلاحظ ان الإمام عليه السلام قد قدم لفظ (المحسنون) على لفظ (المسيئون)، ربما لان الإنسان خلق محسناً قبل ان يغويه الشيطان فيصير مسيئاً، وكما ان الايمان مقدم على الفسق لاولويته وافضليته، فإن المحسن مقدم على المسيء لافضليته، وهذا هو الذي يساير الفطرة والعرف[٢].

ت - الحلال والحرام:

الحلال في الاصل من: (أَحَلَّ يُحلَّ إحلالاً، وحلّل الشيء: ارجعه إلى عناصره، وحللت العقدة فانحلت: فتحتها، وحلَّ الشيء حلالاً: صار مباحاً، فهو حلٌّ وحلال، وهو ضدّ الحرام، وأحله الله وحلّله: ضدّ

---

(١) ينظر: توضيح نهج البلاغة: السيد محمد الحسيني الشيرازي، طهران، دار التراث الشيعة: ٤/ ٢٥٣.

(٢) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٠٣.

حرّمه)(١) والحلال هو كل مباح فيه خيرٌ وصلاح مثل الزينة والطيبات(٢) اما الحَرامُ يقال: حرم عليه وحراماً وحرمةً، فهو: (الممنوع من فعله، وحرم الشيء حرمةً: امتنع والحَرامُ ضدُّ الحلّال، والجميع حُرُم)(٣).

قابل الإمام السجاد عليه السلام بين (الحلال) و(الحرام) في سياق بيان مكانة القرآن الكريم: «**وفُرْقاناً فَرَقْت به بين حلالك وحَرَامك**»(٤) فالإمام قصد من وراء ذلك بيان عظمة القرآن الكريم كونه فرقاناً بين الحلال والحرام، ليؤكد بذلك ان القرآن انزله الله ليكون فارقاً بين حلاله وحرامه، لكي يُفهم الناس من خلال ذلك سبل الحق فيتبعوه وسبل الحرام فجتنبوه.

وبهذا يتضح من التقابل المعنى الدلالي الذي انصرف اليه اللفظ من خلال السياق لأنه استعمل لفظي (الحلال والحرام) في سياق معنوي، إذ يدخل في الحلال كل اوامر الله تعالى واحكامه وشرائعه والعمل بها، ويدخل في الحرام اتباع نواهي الله تعالى وارتكاب معاصيه.

ويلاحظ ورود اللفظين بصيغة التعريف بإضافة - الكاف - لتعظيم الحلال والحرام وبيان اهمية القرآن الكريم، لذا نسب اليه التفريق مجازاً وإلّا فالله تعالى هو المفرق بين الحلال والحرام من خلال رسم معالم هاتين اللفظتين في مضمون القرآن الكريم، فهو مظهر نور الحق والفرقان ومنوّر قلوب أهل الايمان والصراط المستقيم والمميز بين الحق والباطل،

---

(١) العين (حل): ٣/ ٢٧، ينظر: لسان العرب: ١١/ ١٦٦، ينظر: القاموس المحيط: ٣/ ٣٦٠.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط: قام بإخراجه ابراهيم مصطفى واخرون، اشرف على طبعه: عبد السلام هارون، المكتبة العلمية، طهران، د.ت: ١/ ١٩٣.

(٣) العين (حرم): ٣/ ٢٢٣، ينظر: لسان العرب: ١٢/ ١١٩ ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ٩٤.

(٤) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٢٣.

والذي بدا واضحاً من الدعاء ان في اتباع ما جاء به الكتاب والايمان بما نزل به مؤشراً إلى اهمية القرآن الكريم في الجانب العقائدي عند المؤمن، لإنه يرسخ معنى الدعاء عند الإنسان فلا يكون مؤمناً حقاً ان لم يتبع ما امر به من حلال وما نهى عنه من حرام.

وقابل الإمام بين اللفظين (الحلال) و(الحرام) في سياق يبين ان الله تعالى قد جعل من القرآن الكريم شاهداً على الإنسان واعماله، لذا طلب الاعتصام به من الكفر والزلل، إذ قال: «**وَاعْصِمْنَا بِهِ مِنْ هُوَّةِ الْكُفْرِ وَدَوَاعِي النِّفَاقِ حَتَّى يَكُوْنَ لَنَا فِي الْقِيَامَةِ إِلَى رِضْوَانِكَ وَجِنَانِكَ قَائِداً وَلَنَا فِي الدُّنْيا عَنْ سَخَطِكَ وَتَعَدِّي حُدُودِكَ ذَائِداً، وَلِمَا عِنْدَكَ بِتَحْلِيلِ حَلَالِهِ وَتَحْرِيم حَرَامِهِ شَاهِداً**»[1].

ويلاحظ انه قابل بينهما في هذا الموضع، عامداً بذلك إلى المجاز في التعبير، إذ المراد بـ (الحلال) الاحكام التي يصدق عليها اسم الحلال، وهي (الواجب والمندوب والمباح والمكروه) وقصد بالحرام اتباع ما يخالف هذه الاحكام والعمل بنواهي الله تعالى ومعاصيه.

فافاد التقابل بيان اهمية القرآن الكريم، فهو من الاشهاد الذين يشهدون على عمل بني آدم، ومجيئهما معرفين بالاضافة إلى الضمير (الهاء) العائد على القرآن، دلّ على الخصوص والتحديد في ان من اتبع نور الايمان وعمل بأوامر الله تعالى فقد عمل بحلال القرآن، ومن كفر وعصى وسار في طريق الضلال فقد عمل بحرام القرآن، فعبر بذلك بـ (الحلال) عن كل ما امر الله به من الواجبات، وعبر بـ (الحرام) عن كل ما نهى الله عنه من المنكرات.

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٢٧.

وبهذا يستدل من التقابل بين اللفظين، ان كل ما ثبت وجوبه أو تحريمه بنص الكتاب والسنّة ثبوتاً مطلقاً من غير تقييد بزمان ومكان، هو كذلك ابداً ودائماً، وذلك لان سلطة التحريم والتحليل عند المسلمين لله واحدة[١] وهذا يعني التوسع في دلالة المفردة وعدم الوقوف عند دلالتها المعجمية فقط.

ث - الطهارة والدنس:

الطهر في المعجمات: (نقيض النجاسة، وجمعه اطهار، وهو من طَهَر وطَهُرِ يَطْهُر طُهْراً وطهارةً)[٢] اما الدنس من (الدَّنَسُ في الثياب: لَطْخُ الوسخ ونحوه حتى في الاخلاق، والجمع: أدناسٌ، وتَدَنَّس: اتَّسخ، والاسم الدَّنسُ. ودَنَّسَ الرجلُ عرِضهُ إذا فعل ما يُشنيه)[٣].

الطهر والدنس من الألفاظ المتقابلة في اللغة وقد يرد التقابل بينهما في طائفة من النصوص للتعبير عن اغراض دلالية يريد المنشئ التعبير عنها ويهدف اليها والصحيفة السجادية مثل غيرها من النصوص الوعظية ضمت طائفة من المتقابلات بين الطهر والدنس بصيغ مختلفة فقد ورد التقابل بينهما بصيغة المصدر مثل قوله عليه السلام في سياق طلبي: «**وَهَبْ لي التَّطهِيرَ من دنس العصيان**»[٤].

إذ نجد ان الإمام يعبر من خلال التقابل بين (التطهير والدنس) بصيغة المصدر، وقد ورد هذا التقابل في سياق التضرع إلى الله سبحانه وتعالى ان

---

(١) ينظر: التقابل الدلالي في نهج البلاغة: ١١٥.

(٢) العين (طهر): ٤/١٨، ينظر: لسان العرب: ٤/ ٥٠٤، ينظر: القاموس المحيط: ٢/ ٧٩.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٦/ ٨٨، القاموس المحيط (دنس): ٢/ ٢١٧.

(٤) الصحيفة السجادية الكاملة: ٦٦.

يبعد عنه عصيان اوامره التي وصفها بدنس العصيان ذلك من خلال تطهيره من هذا الدنس وهذا يدل على ان الإمام عليه السلام سأل الله تعالى ان يبعده عن كل ما يؤدي إلى عصيان أوامره والتعدي إلى نواهيه.

وقد افادت (ال) عموم انواع التطهير ثم تخصصت بقوله: **(من العصيان)**، ليبين سعة رحمة الله تعالى في انه يطهر العبد من ذنوبه وما سبق له منها في حال طلب المغفرة والتوبة عنها.

ويلاحظ تقديم لفظة (التطهير) على (الدنس)، مراعاة لفطرة الإنسان فالله تعالى خلق الإنسان طاهراً والدنس خلاف هذه الطبيعة، ولذا بدأ بما هو من طبيعة خلق الإنسان وسيق التقابل بين لفظتي (الطهر) و(الدنس) في سياق الحديث عن الرسول وآله الأطهار: «**ربِّ صَلِّ على اطائب أهْلِ بَيْتِهِ الذين اخترتهُم لأمْرِك.... وطَهَّرْتهُمْ من الرِّجس والدنس تطهيراً بإرادتك**»[1].

جاء التقابل في النص الوارد بين المصدرين في سياق الحديث عن الرسول وآله الطاهرين والمكانة العظيمة التي حباهم الله بها.

ويلاحظ التنوع الدلالي بين التعريف والتنكير، فقد قابل الإمام بين لفظة (الدنس) معرفة، لافادة العموم في خلاصهم من كل ما يقع تحت هذه الكلمة من معنى، وبين لفظة (تطهيراً)، منكرة، لافادة خصوص أهل البيت عليهم السلام بهذا التطهير[2].

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٥٧-١٥٨.

(٢) جاء في صحيح مسلم: «قالت عائشة: خرج النبي (ص اله) وعليه مرط (أي كساء غير مخيط) فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج =

لذا جاء تقديم لفظة (الدنس) على (التطهير) ملائماً لسياق النص، لبيان خصوصية أهل البيت والمنزلة التي شرفهم الله بها، بدليل مجيء الفعل (فَعَّلَ) المضعف ودلالته الزمانية المطلقة في استمرار علو هذه المنزلة في الدارين.

كما اراد الإمام عليه السلام الاشارة ضمناً إلى فاجعة كربلاء، وما جرى على الإمام الحسين عليه السلام واهل بيته من قتل وتسليب وأسر، من خلال تذكير أهل الأرض بآية التطهير التي خصهم الله بها في القرآن الكريم.

٢ – التقابل الدلالي بين ألفاظ الجزاء:

ذكر الإمام عليه السلام في الصحيفة السجادية طائفة من ألفاظ الجزاء ورد التقابل بينها لاداء دلالات محددة في مختلف السياقات والغرض منها توضيح العقاب الالهي نتيجة السلوك الإنساني في الحياة، من خلال استخدام الادب الجميل - اسلوب الدعاء – والذي يدلل من خلاله على العبرة والموعظة وان ليس للانسان إلّا ما سعى من خلال منهج عبقري معجز، اخذه من بدائع بلاغات النبي صلى الله عليه وآله، وأهل البيت عليهم السلام التي لم يرق اليها غير طيرهم، ولم تسم اليها سوى اقلامهم[1] ومن اهم ألفاظ الجزاء التي وردت متقابلة، التقابل بين ألفاظ (الثواب) و(العقاب) في (ستة) مواضع من الصحيفة السجادية، في حين جاء التقابل بين (الذنب والتوبة) في (خمسة) مواضع من الصحيفة، وعلى النحو الآتي:

= النيسابوري، وافق على طبعه وتحقيق النصوص وتصحيحه وترقيمه وعدّ كتبه وابوابه واحاديثه، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: ٤/ ١٨٨٢، ح: ٢٤٤٢.

(١) ينظر: مجلة البلاغ: ٥٦.

أ - الثواب والعقاب:

قال الإمام زين العابدين عليه السلام في سياق شرطي: «**إن كان ذنبي قد عرَّضني لعقابك، فقد آذنني حسنُ ثقتي بثوابك**»[١] الثواب تلقي الإنسان مكافأة على عمله الصالح في الدنيا والآخرة، فهو من (ثاب الرَّجُلْ يَثُوب ثَوْباً وثوباناً: رجع بعد ذهابه)[٢] والثواب: الجزاء، وهو في الخير والشرَّ، إلَّا انه - الثواب - في الخير اخص واكثر استعمالاً[٣] اما العقاب فهو الجزاء السريع على العمل السيء في الدنيا فقط[٤].

ورد التقابل بين لفظتي (الثواب) و(العقاب) في (ستة) مواضع من الصحيفة السجادية بصيغة التعريف، فأفادت الاختصاص، لتأدية دلالات مختلفة، منها استعمال الإمام عليه السلام لفظتي (الثواب) و(العقاب) في دعائه متضرعاً إلى الله سبحانه وتعالى، فقد اضاف (الثواب) و(العقاب) إلى الضمير الذي يعود على الخالق سبحانه، فهو المالك للعقاب والثواب بما يجنيه العبد من اعمال.

ويبدو من خلال النص المتقدم ان الإنسان هو الذي يجعل نفسه عرضة للعقاب من خلال ما يرتكبه من ذنوب وآثام في حياته، وقد نسب الإمام عليه السلام التعريض للذنب عن طريق المجاز، لكن الحقيقة ان الإنسان هو المرتكب لهذا الذنب، فيكون الذنب من الإنسان سبباً في العقاب. اما الثواب فالله سبحانه يعطيه للعبد عن طريق العمل الصالح أو عن طريق

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٢٣، ينظر: ٢٠٨، ٤٤، ٧ - ٨.
(٢) العين (ثوب): ٨/ ٢٤٦، ينظر: لسان العرب (ثوب): ١/ ٢٤٣، ينظر: القاموس المحيط: ١/ ٤٢.
(٣) التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: ٣٨٥.
(٤) م.ن: ٣٩٥.

التجاوز عن الذنب، وهنا يشير الإمام عليه السلام إلى ثقته بالله تعالى فهو الغفور الرحيم.

ومن ذلك أيضاً ما ورد في قول الإمام عليه السلام في سياق الحديث عن ايثار الرسول صلى الله عليه وآله: «**وجاهد في الله حق الجهاد، وأنّه بَشَّرَ بما هو حقٌّ من الثواب، وانَذَرَ بما هو صِدْق من العقاب**»[1].

قابل الإمام في هذا النص بين (الثواب) و(العقاب) بصيغة التعريف، في سياق الحديث عن النبي الاعظم وما تحملّه من اجل الرسالة، فقد أفاد التعريف اختصاص الرسول صلى الله عليه وآله بهذا العبء وانه ادى الذي عليه ولم يفرط في حق الله والدين قيد أنمله، ويتضح ذلك من خلال استعمال الفعل (بشَّر) على زنة (فعّل) لكثرة الثواب، لأن الحسنة بعشرة امثالها، على حين وردت لفظة (انذر) دون تضعيف، لأن السيئة بمثلها تجازى فحسب، وكذلك في استعمال الإمام كلمة (حقاً) مع الثواب اشارة إلى ان الله لا يخلف وعده، وأنّه - تعالى - سيجازي عباده الصالحين بالجنة، في حين أنّه استعمل كلمة (صِدْقاً) مع العقاب، للترهيب من عقابه تعالى، لان الصِدق بالكسر يعني الشدَّة[2] فأنذرهم بشديد العذاب لمن خالف منهم طريق الحق والهداية.

ب - الذنب والتوبة:

قال الإمام زين العابدين عليه السلام في سياق التضرع لله تعالى: «**إلهي ان كان النَّدمُ على الذَّنب توبة، فإنِّي وعزتك من النادمين**»[3] الذنب هو الفعل

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢١٢.

(٢) ينظر: العين (صدق): ٥/٥٦.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢١٥.

الخاطئ الذي يقترفه الإنسان[١]، فالذَّنب من (ذَنَبَ، وهو المعصية، والجمع ذُنوبٌ)[٢] اما التوبة تعني الرجوع عن المعصية كما مرَّ سابقاً.

يرد التقابل بين لفظتي (الذنب) و(التوبة) في (خمسة) مواضع من الصحيفة السجادية، وقد جيء بهما بصيغ مختلفة، تارة بصيغة المفرد، واخرى بصيغة الجمع، وثالثة بصيغة احد المشتقات، لتأدية مقاصد متعددة، منها مقابلته في هذا النص بين (الذنب) و(التوبة) بصيغة المفرد، ويلاحظ التنوع الدلالي، فقد جاء بـ (الذنب) معرفاً لافادة اختصاص الندم عليه، في حين نكر (التوبة) لدلالتها على العموم لشمولها جميع الذنوب الصغير منها والكبير.

وجاء تقديم (الذنب) على (التوبة) من باب تقديم المسبب على السبب، لبيان ان الذنوب سبب في هلاك الإنسان ان لم يتب منها. ولان التوبة غالباً ما تكون بعد الفعل الخاطئ.

ومما ورد أيضاً قول الإمام السجاد عليه السلام في سياق الدعاء: **«اللَّهُمَّ.... اقْبَل تَوْبتي ولا تُرجعني مرجع الخيبة من رحمتك إنك أَنْتَ التَّوَّابُ على المذنبين»**[٣].

نلمح من خلال النظر في النص ان التقابل جاء بين (الذنب) على زنة اسم الفاعل بصيغة الجمع، وبين (التوبة) بصيغة المبالغة (توَّاب) بصيغة المفرد في سياق ذكر التوبة وطلبها من الله سبحانه، مقدماً فيها التوبة على الذنب، مراعاة للترتيب الزمني، ويلحظ انه جاء بالتوبة على زنة صيغة

(١) ينظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم: ٣٢٥.

(٢) العين (ذنب): ٨/ ١٩٠، ينظر: لسان العرب: ١/ ٣٨٩، ينظر: القاموس المحيط: ١/ ٦٩.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٠٠، ينظر: ١٧٠، ١١٠.

المبالغة، لتدل الصيغة على ان الله تعالى كثير التوبة وكثير العفو والغفران مهما كثرت ذنوب العباد، على حين استعمل صيغة اسم الفاعل للإنسان، لأنه شبيه بالفعل إذا ما قيس بدلالة المبالغة فإنه سيكون أقل دلالة منها ولهذا ناسب سبحانه بين ذنوب الإنسان واستمرارها وكثرة رحمته وسعتها حتى لأنها تشمل كل ذنوب المرء مهما استمرت وكثرت وزيادة.



المبحث الرابع

التقابل الدلالي بين الألفاظ النفسية

ويراد بها التقابل بين الألفاظ التي تحمل صفة نفسية ناتجة عن فعل وردّ الفعل الذي يصدر عن السلوك البشري في موقف معين، فالألفاظ النفسية لا تخضع لفكر أو عقيدة، بل تكون صادرة عن شعور نفسي يحدد موقف الإنسان في فعل ما، لأن في داخل النفس الإنسانية خطوطاً متقابلة، وهي مختلفة في الوقت ذاته، كالسلب والايجاب، والحب والكره، والفردية والجماعية، وهذه المتقابلات تخلق حالاً من التوازن في حياة البشر، لأنها بالرغم من هذا الاختلاف تؤدي إلى خلق رابط يربطه بالحياة[١].

وجاءت الصحيفة السجادية بطائفة كبيرة من الألفاظ النفسية، كان هدف الإمام منها تعليم العبد كيفية التعبير عن هذه الحال الشعورية من خلال اسلوب الدعاء والتوسل لله سبحانه، التي تدفع بالنفس الإنسانية من دائرة الذات الضيقة إلى عالم الملكوت الالهي الواسع، فيهجر الانانية ويلجأ إلى الحب والطمأنينة، ومما ورد من ألفاظ نفسية متقابلة في الصحيفة السجادية:

- التقابل بين ألفاظ الخير والشر في (سبعة) مواضع من الصحيفة[٢].

---

(١) ينظر: دراسات في النفس الإنسانية: محمد قطب، دار الشرق، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ٧١.

(٢) م.ن: ٢٢٠، ١٩٣، ٢١٠، ٢٠٧، ١٣١، ٦١، ٢٦.

- التقابل بين ألفاظ السخط والرضا في (سبعة) مواضع من الصحيفة[١].
- التقابل بين ألفاظ الضر والنفع في (ستة) مواضع من الصحيفة[٢].
- التقابل بين ألفاظ الرغبة والرهبة في (اربعة) مواضع من الصحيفة[٣].
- التقابل بين ألفاظ الحب والكره في (اربعة) مواضع من الصحيفة[٤].
- التقابل بين ألفاظ العز والذل في (ثلاثة) مواضع من الصحيفة[٥].

والتقابل بين ألفاظ السر والعلن في موضعين[٦]، وغيرها وفيما يأتي عرض لطائفة من المتقابلات النفسية.

١ - الخير والشر:

الخير والشر من المفردات التي يكثر استعمالها في سياقات الكلام سواء أكان ذلك في القرآن الكريم أو في كلام العرب أو في نهج البلاغة، وكثيراً ما يقابل بينهما في سياق واحد لارتباطهما بافعال الإنسان، وهما في الاصل اسما تفضيل (اخير، واشر) لكن كثرة الاستعمال جعلت العرب يحذفون منهما الهمزة للتخفيف[٧]، والصحيفة السجادية مثل غيرها من النصوص البليغة ورد فيها تقابلات بين هاتين اللفظتين على غرار ماورد في القرآن الكريم.

---

(١) م.ن: ٣٨، ٦٩، ١٤١، ٢٠٠، ١٠٤، ٢٠٧، ٢٢٤.
(٢) م.ن: ٢٣٩، ٦٨، ١١٢، ١١٢، ٧٣، ٦٨.
(٣) م.ن: ١٩٤، ١٧٢، ١٠٤، ٢٠.
(٤) م.ن: ٢٠٧، ٣١، ٦٠.
(٥) م.ن: ٢٥، ٢٦، ٩٦، ٨٣.
(٦) م.ن: ٢٣٩، ١٧٠.
(٧) ينظر: حاشية الصّبان شرح الاشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني، تحقيق: محمد بن الجميل، ط١، مكتبة الصفا ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م: ٣/ ٦٢.

والخير في الاصل: (مفردٌ، والجمع: خيُورٌ وخيار، وهو اسم تفضيل ويقصد به الحسن لذاته، ويقال: اخترتُ الشيء وتخيرّته)(١).

أما الشَّرُّ: (نقيض الخُيْر، والجمع شرورٌ، وقد شَرَّ يُشرُّ وشرارة، والشَّرَّ: السوء والفساد والظلم)(٢).

قابل الإمام عليه السلام بين (الخير) و(الشر) بصيغة الافراد والتنكير في قوله: «**وَاجْعَلْ الحَياةَ زِيادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَالوَفاةَ راحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍ**»(٣) وكان الهدف من وراء التقابل اداء معان دلالية مقصودة تختص بها حالة التنكير من الشمول والاتساع في سياق بيان رحمة الله على عباده، وحكمته في جعل الشر والخير في مواضعه.

فافاد التقابل بيان الفيض الالهي على العبد، فقد روي أنّه سبحانه يحيي المؤمن مادامت الحياة خيراً له، فإذا علم منه ارتكاب المعاصي لو بقي، قبضه إليه، وفي الحديث ان أكثر أهل المقابر من مات بالذنوب(٤).

وورد التقابل بين لفظتي (الخير) و(الشر) في سياق سؤال الباري والتضرع اليه: «**صَلِّ عَلى النَّبِيّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلاتَفْجَعْنِي فِيهِ وَفِي غَيْرِهِ مِنَ اللَّيالِي وَالاَيّام بِارْتِكابِ المَحارِمِ وَاكْتِسابِ المَآثِمِ، وَارْزُقْنِي خَيْرَهُ وَخَيْرَ ما فِيهِ وَخَيْرَ مابَعْدَهُ، وَاصْرِفْ عَنِّي شَرَّهُ وَشَرَّ مافِيهِ وَشَرَّ مابَعْدَهُ**»(٥).

في هذا النص نجد الإمام عليه السلام يقابل بين طائفة من ألفاظ متصلة

(١) العين (خير): ٤/ ٣٠١، ينظر: لسان العرب: ٤/ ٢٦٤، ينظر: القاموس المحيط: ٢/ ٢٥.

(٢) العين (شر): ٦/ ٢١٦-٢١٧، م.ن: ٢/ ٥٧، م.ن: ٤/ ٤٠٠.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٠٧.

(٤) ينظر: نور الانوار في شرح الصحيفة السجادية: ٤٠٠.

(٥) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٧٩.

بالخير والشر فالطرف الأول يتمثل في «خيره - خير ما فيه - خير ما بعده» والطرف الثاني «شره - شر ما فيه - شر ما بعده».

وهذا يدل على ان السياق كله بني على التقابل والملاحظ ان التناسق حاصل بين طرفي المعادلة، وقد حرص الإمام على ذلك، إذ نجد كلمة الخير وردت مضافة إلى الضمير وقابلها بكلمة الشر المضافة إلى الضمير نفسه، في حين اضيف الخير بعدها إلى الاسم الموصول وكذلك الشر، ورد الضمير في (فيه) دالاً على اختصاص سؤال الخير وصرف الشر، وهذا يوحي بأن الإمام قد قصد هذا التناسق من اجل التأثير في نفوس السامعين ليعلم العباد كيفية سؤال الخير والرحمة في كل وقت وحين والاستزادة من هذا الخير، كما اراد الاشارة إلى التسليم المطلق لله تعالى، لان كل شر وخير يصيب الإنسان هو من الله تعالى نتيجة اعماله في الحياة الدنيا، وبهذا يتضح استعمال الإمام عليه السلام للمفردتين فقد نسب الإمام (الخير والشر) لليوم بقوله: «ارزقني خيره وخير مافيه وخير مابعده واصرف عني شره وشر ما فيه وشر مابعده»، في حين ان الذي يعطي الخير هو الله تعالى بما يقسم به الله تعالى من ارزاق على الخلائق وكل حسب سعيه في هذه الحياة وعمله الصالح، والشر يكسبه الإنسان بأعماله، وهذا يدل على سعة المعنى إذ يدخل في مفهوم (الخير) خير الدنيا من الصحة والغنيمة والنصر وكل ما هو خير، كما يدخل في مفهوم (الشَّرّ) المرض والفاقة والهزيمة وكل مالا يتمناه الإنسان[١] لذلك نجد الإمام في دعائه يقول: **«ارزقني خيره وخير ما فيه وخير ما بعده، واصرف عني شره وشر ما فيه وشر ما بعده»**[٢].

(١) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٦٢.
(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢١٠.

والذي بدا واضحاً من الدعاء ان الإمام عليه السلام قد بدأ الدعاء بذكر عموم الليالي والايام في سياق النهي عن ارتكاب نواهيه واكتساب معاصيه ثم خصص بعد ذلك يوماً من هذه الايام لطلب الخير وصرف الشَّرَّ، وهو بهذا قد قدّم (الشر) على (الخير)، ثم قدم (الخير) على (الشر)، ولعل التقديم في الموضع الأول، في معرض بيان قدرة الله تعالى وعظمته وهيمنته، فقدم ما تخافه النفس وتهابه، وهو الشَّرَّ على ماترغبه وتشتهيه وهو الخير، لذلك نجده يستفيد من (ارتكاب المحارم واكتساب المآثم) ومالهما (الارتكاب، والاكتساب) من دلالة توضح المغزى الدلالي من الاكتساب، فالاكتساب أخصّ من الكسب، لأنه لا يكون إلّا لما يكتسبه الإنسان لنفسه خاصة، اما الكسب فينقسم على كسب لنفسه ولغيره[1].

انما خصّ الشر والمعاصي بالاكتساب، (لان الاكتساب اعتمال، فلما كان الشَّرُّ مما تشتهيه النفس وهي منجذبه إليه وأمارة به، كانت في تحصيله اعمل واجد، فجعلت لذلك مكتسبة فيه. ولما لم تكن كذلك في باب الخير، وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال)[2].

ثم جاء التقديم في الموضع الثاني، مشيراً بذلك إلى طبيعة الإنسان المحبة للخير والمبغضة للشر.

وقوبل بين لفظتي (الخير) و(الشر) في سياق التوسل لله إذا أضر به أمر ما أو أهمته الخطايا: «**وألْبسْ قَلْبِي الوحشة من شِرار خلقك... واجْعَلْ... أُنْسَ نفسِي واستغنائي وكفايتي بك وبخيار خلقك**»[3].

---

(١) التفسير الكبير: للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الرازي الشافعي ت(٦٠٤)هـ، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م: ٧/ ١٢٣.

(٢) الكشاف: ١/ ٣٣٢.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ٦٩-٧٠، ينظر: ٢٢٠.

وكما قوبل بين (الخير) و(الشر) بصيغة المفرد، فقد قوبل بين (الخيّر) و(الشرير) بصيغة الجمع في سياق الحديث عن الاستئناس بالله وخلقه الصالحين والابتعاد عن الاشرار منهم.

فالمراد من التقابل في هذا الموضع هو الاستغاثة بالله في النفور من أهل المعاصي، وتسليط الضوء على اهمية الصحبة والرفقة في السلوك الإنساني وطبائعه، وسؤال الاهتداء إلى اسباب الاحتراز من اصحاب الذنوب وهجرهم(١).

وقد ورد التقابل بينهما لتصوير حال الإنسان الذي يدعو ربه في محنته وشدته، فاستعمل الإمام عليه السلام في رسم هذه الصورة - التجسيد - من خلال الاستعارة المكنية، إذ شبه القلب في النفس بالشخص الآنس واثبت له لازماً من لوازم المشبه به - وهو اللباس - لتسليط الضوء على اهمية الصحبة والرفقة في السلوك الإنساني وطبائعه، لأنهم قد يقودون الإنسان إلى الهلاك واتباع المعاصي، وجاءت هذه الاستعارة في رسم صورة الوحشة التي تعتلي القلب من شرار الخلق، لذلك جاء تقديم (الشر) على (الخير)، لان الانس لا يكون إلّا في جوار الله تعالى فهو محل الامن والثقة وتؤخذ هذه الثقة من مصاحبة الاخيار والصالحين. ويوضح خطورة رفقة السوء التي تؤدي بصاحبه إلى خسران الدنيا والآخرة.

٣ - السخط والرضا:

السخط في الاصل من (سَخِطَ يَسْخَطُ، والسُّخْط والسَّخَطُ: نقيض الرضوان، وتَسَخَّطَه: لم يَرض به، وأَسخطه: أغضبه)(٢) اما الرضا:

---

(١) ينظر: بحوث في الصحيفة السجادية: ٣/ ٣١.

(٢) العين (سخط): ٤/ ١٩٢-١٩٣، ينظر: لسان العرب: ٧/ ٣١٢-٣١٣، ينظر: القاموس المحيط: ٢/ ٣٦٣.

(رَضِي عنه، ورَضِي عليه يَرْضى رضاً، ورضواناً: ضد السخط، واسترضيته: طلبت رضاه)[١].

السخط والرضا من المفردات التي ورد استعمالهما في لغة العرب، كما وردت في نهج البلاغة في سياقات دلالية وتأثراً بما ورد فيهما ورد التقابل بين اللفظين في الصحيفة السجادية لتأدية معانٍ ومقاصد دلالية متعددة، منها قول الإمام السجاد عليه السلام في دعائه عند الاعتراف بالتقصير وطلب التوبة في سياق النداء:

«يا من رضاهُ أَوفرُ من سخطه ويامن تحمَّدَ إلى خلقه بحُسنِ التجاوز... ما انا بأَعصى من عصاك فغفرت له وما أنا بألوم من اعتذر اليك فقبلت منهُ...»[٢].

ويتضح من التقابل عقد مقارنة بين ما يرضي الله تعالى ومايسخطه، واعتبار الفضيلة فيما يرضيه جل وعلا فالله تعالى واسع المغفرة والعطاء ورحمته سابقةٌ لغضبه، واسهم تكرار حرف النداء في اكتمال الدلالة التقابلية، ففي نداء الموصول في قوله (يامن عفوه...) اتخذت هذه السمة ثبوتاً ورسوخاً ملازماً لمقتضيات الالوهية[٣].

وفي هذا الفقرة ميزة دلالية هي العدول من الغياب إلى الحضور، إذ تمثل الغياب بالضمير المتصل العائد على (المعبود)، فيما تمثل الحضور بالضمير المنفصل (أنا) والضمير المتصل (الكاف) العائد على الله تعالى،

---

(١) العين (رضا): ٧/٥٧، ينظر: لسان العرب: ١٤/٣٢٣، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ٣٣٤.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٣٧، ينظر: ٢٢٤،٦٩.

(٣) ينظر: الصحيفة السجادية (دراسة اسلوبية): ٦٩.

وإن اعتماد اسلوب الغياب بابعاد نفسه عن ذلك تأدباً وتذللاً، ثم اعتماد اسلوب احضار المخاطب يعكس الحالة النفسية لصاحب النص الذي يرمي إلى التعبير عن حرصه على الاقتراب من المخاطب، معرباً - بتلك الثنائية - عن افتقار العبد إلى خالقه واحتياجه الدائم اليه(١).

فأفاد التعريف باضافته إلى ضمير الغائب إلى بيان كثرة رحمة الله تعالى على العباد واتساعها، لأنه - سبحانه - يشكر بالقليل، ويجازي بالجليل وجاء تقديم (الرضا) على (السخط) في محله، مراعاة للاصل في انه سبحانه سبقت رحمته غضبه(٢).

واضافة اللفظتين إلى الضمير الغائب لا إلى غيره، لان الإمام هدف إلى تذكير بني آدم إلى كريم لطف الله وسعة رحمته بالعباد، ليتوجهوا إلى طريق الحق، ورفض الباطل، لذلك قيل في الحق هو الحق لان حقيقة كل شيء خصوصية وجوده الثابت، فلا أحق بالحقيقة من نفس وجوده(٣) لذلك إن في اتباع الحق رضى الله ورضوانه، وفي الركض وراء الباطل سخطه وغضبه سبحانه.

والملاحظ من خلال قراءة المواضع التي وردت في الصحيفة، انه عليه السلام قد قابل بينهما بصيغة التعريف لبيان اختصاص هذين اللفظين لله سبحانه وتعالى، لان الرضا والسخط هما من الصفات الذاتية لله تعالى، والمبينة لقدرته المطلقة على العباد فمن رضي الله عنى أعزه ونجاه في الدارين، ومن سخط عليه أخسره في الدنيا والاخرة.

---

(١) م.ن: ١٠٠.
(٢) ينظر: لوامع الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: ٣/ ٣٥.
(٣) ينظر: لوامع الانوار العرشية: ٢/ ٣٨٨.

وقابل الإمام السجاد بين اللفظين في معرض الحديث عن الاستجارة بالله تعالى من الكفر: «**وأعصمنا به من هوة الكفر حتى يكون لنا في القيامة إلى رضوانك وجنانك قائداً ولنا في الدنيا عن سخطك وتعدي حدودك ذايداً**»(١).

يرد التقابل بين لفظتي (الرضا) و(السخط) في هذا النص بصيغة (فعلان) فقال (رضوانك)، لأن الإمام عليه السلام اراد الحديث عن رضا الآخرة، ولهذا احتاج إلى (رضوان) لزيادة المبالغة، ورضا الآخرة هو احوج للمرء من رضا الدنيا، لذ ساقه على زنة (فعلان) للدلالة على سعة الرضا وكثرته في تلك الدار، وانه لا عاصم يوم القيامة من سخطه الا رضاه وحده، لذلك طلب الإمام السجاد عليه السلام العصمة من الكفر، فقد شبه الكفر بالحفرة بجامع الضيق والظلمة وعسر الخلاص منها، وهي استعارة مكنية، مقدماً طلب (الرضوان) على (السخط)، مراعاة لطبيعة الإنسان المحبة للخير قبل الشر وللسراء قبل الضراء.

والجدير بالذكر ان الإمام عليه السلام في معظم ادعيته يأتي في سياق العبد المذنب العاصي، المثقل بالخطايا مع انه عليه السلام امام معصوم من الخطأ، وانما جاء ذلك في منهج تأديبي اخلاقي يعلّم به العبد كيفية دعاء الباري سبحانه وبيان عظمته، بدليل التعريف باضافة (الكاف) الدالة على التعظيم، فالله سبحانه هو المالك لكل النعم والالاء وبرضاه وحده يكون فوزهم وبسخطه يكون خسرانهم.

٤ - النفع والضرّ:

قال الإمام السجاد عليه السلام في سياق اسلوب القصر في الحديث عن

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٢٧، ينظر: ١٤٠-١٤١.

قدرة الله تعالى: «**إلهِي أَصْبَحْتُ وَأَمْسَيْتُ عَبْداً دَاخِراً لَكَ، لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا بِكَ**»(١).

النفع والضر من الألفاظ السلوكية التي يستشعر الإنسان لها أثراً في نفسه اتجاه موقف معين، والنفع في الاصل: (ضدُّ الضر، نفعه نفعاً، وانتفعت بكذا، وهو كل ما يتوصل به الإنسان إلى غايته)(٢).

اما الضَّرُّ: (هو الفاقة وسوء الحال في النفس أو المال أو الجاه)(٣) (والضَّرُّ ضَدُّ النفع، والضَّرَرُ: النقصان يدخل في الشيء، والضَّرَّاءُ: الزَّمانَةُ، والشَّدَّةُ، والنَّقْصُ في الأموال والأَنْفسُ)(٤).

وجاء التقابل بين لفظتي (النفع) و(الضَّرُّ) في (ستة) مواضع من الصحيفة السجادية لبيان مقاصد شتى واغراض متنوعة.

ويرد التقابل بين اللفظتين في هذا النص في سياق الحديث عن قدرة الله تعالى، فقد وردا منكرين افادة للعموم والشمول في بيان عجز الإنسان وضعفه، وانه لا يستطيع ان يجلب لنفسه النفع أو يدفع عنها الضر من دون الله تعالى، لإن كل ما يعبد من دون الله ليس بنافع.

وجاء سياق الدعاء في معرض الاعتراف بهذا العجز الكامل امام قدرة البارئ المطلقة في ذكر وقتين من اوقات عبادة الله تعالى (الصباح والمساء)، وقصد بهما كل الأوقات.

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٦٨.

(٢) العين (نفع): ٢/ ١٥٨، ينظر: لسان العرب (نفع): ٣٥٨، ينظر: القاموس المحيط: ٣/ ٨٩.

(٣) المفردات (ضر): ٥٠٢.

(٤) العين (ضر): ٧/ ٦-٧، ينظر: لسان العرب: ٤/ ٤٨٢، ينظر: القاموس المحيط: ٢/ ٧٥.

فقد اراد الإمام عليه السلام في اعترافه هذا بالعجز تنزيه الله سبحانه والثناء عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته، لان فيهما دلالة الاستمرار والديمومة من خلال حركة تعاقب الليل والنهار.

والجدير بالذكر شدة تأثر الإمام السجاد عليه السلام بالنص القرآني، اما بالتضمين أو الاقتباس، وقد اخذ من الثاني، في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقابل الإمام عليه السلام بين اللفظين في سياق الحديث عند الشدَّة والجهد وتعَسَّر الامور: «**أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد وَارْزُقْنِي الْحَقَّ عِنْدَ تَقْصِيرِي فِي الشُّكْرِ لَكَ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فِي الْيُسـرِ وَالْعُسْرِ وَالصِّحَّـةِ وَالسَّقَمِ حَتَّى أَتَعَرَّفَ مِنْ نَفْسِي رَوْحَ الرِّضَا وَطُمَأْنِينَةَ النَّفْسِ مِنِّي بِمَا يَجبُ لَكَ فِيمَا يَحْدُثُ فِي حَالِ... الرِّضَا وَالسُّخْطِ، وَالضَّرِّ وَالنَّفْعِ**»(١).

فالمراد من التقابل في هذا الموضع خصوص اداء الشكر من العبد على هذه النعم، لان شكر المنعم حق واجب، كأنه قال: وفقني لاداء الشكر لك إذا وقع التقصير في ادائه. ولذا عبر عن الشكر بالحق، لان شكر الله تعالى على نعمه وآلائه واجب على العبد وهو حق من حقوق البارئ على العباد، إذ لا يستطيع احد ان يرد ضر الله سبحانه من المصائب والبلاء سواء بالنفس ام البدن أو المال، ولا ان يدفع نفع الله تعالى للعباد بالصحة والسعة والخصب، لان الله تعالى هو وحده النافع والضار.

ويلاحظ من خلال النظر في النص احتواء الدعاء على سلسلة من المتقابلات كالتقابل بين (اليسر) و(العسر)، وبين (الصحة) و(السقم)، وبين (الرضا) و(السخط)، لبيان عظيم نعم الباري على العباد، ووجوب شكره على هذه النعم.

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٧٣، ينظر: ١١٢.

وهذا يعني ان النص بني على طائفة من المتقابلات التي تشير إلى عظمة الله عز وجل وقدرته في رعاية الإنسان وحمايته.

ويلاحظ انه قدم (الضَّر) على (النفع)، ربما لإنه عليه السلام أراد بيان قدرة الله وعظمته، فجاء بما تخافه النفس وتهابه، وهو الضر على ما ترغبه النفس وتشتهيه[١] وهذا يدل على ضعف الإنسان واحتياجه الدائم لله سبحانه في مختلف الاحوال.

وكما قوبل بين (النفع) و(الضُّرّ)، قوبل بين (السراء) و(الضراء)، وهما من الألفاظ التي كثر استعمالها في القرآن الكريم وكلام العرب، وقد تكرر ورودهما في النص القرآني للتعبير عن طبيعة الإنسان وتصرفاته في كلتا الحالين، وقد استعمل الإمام عليه السلام المفردتين متأثراً بما ورد في النص القرآني ونهج البلاغة في اسلوب الدعاء والتعبير عن النوازع الإنسانية في حالة السراء والضراء بقوله عليه السلام في سياق الدعاء: «**أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَلَا تَجْعَلْنِي نَاسِياً لِذِكْرِكَ فِيمَا أَوْلَيْتَنِي.... وَلا آيِسَاً مِنْ إجَابَتِكَ لِي وَإِنْ أَبْطَأَتَ عَنِّي فِي سَرَّاءَ كُنْتُ أَوْ ضَرَّاءَ**»[٢].

والسراء في اللغة تعني: (النعمة والرخاء والمسَّرة، وهي تقابل الضرَّاء، والسراء والضرَّاء والبأساء اسماء مؤنثة دون تذكير)[٣].

والمعنى: أن يرزقه الله تعالى الايمان والثقة في كل الاحوال في السعة أو الشدة في الضيق أو الرخاء وهذا يعني طلب دوام العطاء على العبد واستمراره.

---

(١) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٦٣.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٦٨، ينظر: ٢٣٩.

(٣) ينظر العين (سرر): ٧/ ١٨٩، ينظر: القاموس المحيط: ٢/ ٤٦، ينظر: لسان العرب: ٤/ ٣٦١.

وهدف الإمام من وراء الدعاء هنا هو بيان ان تعرض الإنسان لانواع البلاء والضراء والبأساء تكسر شدة النفس وتلّطف القلب وتكشف حجب صفات النفس، ليدرك القدرة الالهية المطلقة التي تتصرف في شؤون البشر وتدبر امورهم[١].

ويلاحظ ان الإمام عليه السلام قد قدم (السراء) على (الضراء) في هذا الدعاء مشيراً إلى خصوصية الفطرة البشرية التي جبلت على محبة الخير والسرور، وكره الضراء وضيق العيش.

وقابل الإمام السجاد عليه السلام في سياق الدعاء بين (اليسر) و(العسر): «**أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد وَارْزُقْنِي الْحَقَّ عِنْدَ تَقْصِيرِي فِي الشُّكْرِ لَكَ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فِي الْيُسرِ وَالْعُسْرِ**»[٢].

اليسر والعسر من المفردات التي وردت كثيراً في كلام العرب واستعملها القرآن الكريم، وهما مصدران يعبران عن دلالة محددة، فالعُسُر في اللغة: (ضُّد اليُسْر، وهو الضيقُ والشدَّةُ، والصعوبة)[٣].

اما اليسر: (فهو ليِّن الانقياد، واليسر السهولة، واليسر: اليسار، أي: الغني والسَّعة)[٤].

---

(١) ينظر: رياض السالكين في شرح الصحيفة السجادية: السيد علي خان الحسيني الشيرازي، تح: السيد محسن الاميني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط٥، ١٤٢٧هـ.ق: ٣/ ٤٧١.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٧٣.

(٣) العين (عسر): ١/ ٣٢٦، ينظر: لسان العرب (عسر): ٤/ ٥٦٣، ينظر: القاموس المحيط: ٢/ ٨٨.

(٤) العين (يسر): ٧/ ٢٩٥-٢٩٦، ينظر: لسان العرب: ٥/ ٢٩٥، ينظر: القاموس المحيط: ٢/ ١٦٣.

ورد التقابل بين لفظتي (اليسر) و(العسر) في موضعين من الصحيفة، ومنها التقابل في هذا النص في سياق الاعتراف بالتقصير والدعاء لله تعالى عند الشدة وتعسر الامور، وقد ورد اللفظان بصيغة التعريف لافادة التخصيص، لان الحديث عن نفسه عليه السلام ولهذا استعمل صيغة التعريف، ليكون مخصصاً به، لانه يرى ان كل ما جاء من الله تعالى هو نعمة في يسره وعسره، لذا نلاحظ ان الإمام عبر عن الاعتراف بالتقصير بكلمة (الحقَّ)، لان من واجب المقصرالاعتراف بتقصير في جنب الله تعالى وهذا حق واجب عليه.

ويلاحظ ان الإمام عليه السلام قد قدم لفظة (اليسر) على (العسر) ليشير إلى فطرة الإنسان المحبة لتقديم السراء على الضراء والخير على الشر كما ذكرنا سابقاً.

وقابل الإمام علي بن الحسين عليه السلام بين اللفظين في سياق الدعاء عند رؤية الهلال: «**فَأَسْأَلُ اللهَ رَبِّي وَرَبَّكَ... أَنْ يَجْعَلَكَ هِلَالَ بَرَكَةٍ لَا تَمْحَقُهَا الايَّامُ... هِلَالَ أَمْنٍ مِنَ الافاتِ، وَسَلَامَةٍ مِنَ السَّيِّئاتِ، هِلَالَ سَعْدٍ لَا نَحْسَ فِيْهِ... وَيُسْرٍ لَا يُمَازِجُهُ عُسْرٌ**»(١).

يرد التقابل بين اللفظين في هذا النص بصيغة التنكير في سياق الحديث عن مخلوقات الله تعالى (الهلال) بأن يجعل ذهابه ومجيئه بركة وخيراً على العباد ويُيسر فيه احوالهم.

وأفاد التقابل طلب (الامن) في الدعاء مرتين: إحداهما على طريق الاطلاق والآخر على طريق التقييد، وكذلك طلب السلامة مرة بكونها من السيئات، وأخرى مطلقة وهي السلامة من التعلّق بغير الحق، واما الامن

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٣١.

المطلق فيحتمل أنه أراد به: طمأنينة النفس بحصول راحة الأنس وسكنة الوثوق، فانّ السالك ما دام في سيره إلى الحق يكون مضطرباً وغير مستقر الخاطر لخوف العاقبة، فإذا ارتفعت الحجب الظلمانية تنور القلب وحصلت الراحة والاطمئنان، ولعل (السعد) الذي (لا نحس فيه) و(اليسر) الذي (لا عسر فيه) من لوازم هذين المقامين (الامن والسلامة)(١).

وقابل الإمام عليه السلام بين اللفظين في سياق الاستفهام: «**أَيْنَ إذاً يَا إلهِيْ طُولُ شُغْلِهِمَا بِتَرْبِيَتِي؟ وَأَيْنَ شِدَّةُ تَعَبِهِمَا فِي حِرَاسَتِيْ؟ وَأَيْنَ إقْتَارُهُمَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا لِلتَّوْسِعَةِ عَلَيَّ؟ هَيْهَاتَ مَا يَسْتَوْفِيَانِ مِنِّي حَقَّهُمَا**»(٢).

يرد التقابل في هذا النص بين المصدرين (الاقتار) معبراً به عن (العسر) فهو في الاصل من «**القُتْر: الرُّمْقَةُ في النَّفقة، ويقال: فلان لا ينفق عليهم إلَّا رُمْقَةَ، واقتر الرجل، فهو مُقْتِرٌ إذا أَقلَّ فهو مُقِلٌّ**»(٣).

وبين (السعة) معبراً بها عن (اليسر) في سياق الدعاء للوالدين وبيان فضلهما، وأنه لا يوفي حقهما في التربية إلّا الله تعالى.

وأورد اللفظين بصيغة التعريف، لبيان خصوصية الوالدين، اللذين تحملا الضّيق والشدَّة، ليعيش الأولاد في دعة وراحة ويحصدان هما التعب والألم، فجاء الاستفهام في الدعاء ليس على وجه الحقيقة، بل المراد به استعظامه لحقهما، أو اعتذاره بإحسانهما إليه، بدليل استعمال

---

(١) ينظر: الحديقة الهلالية شرح دعاء الهلال في الصحيفة السجادية: الشيخ محمد حسين العاملي، تح: علي الموسوي الخراساني، دار احياء التراث العربي، قم - ايران، ١٤١٠هـ: ١٣٣.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٧٩، ينظر: حيث قابل بين (الاقتار) و(اليسر): ٦٥.

(٣) العين (قتر): ٥/ ١٢٤-١٢٥، ينظر: لسان العرب: ٥/ ٧٠-٧١، ينظر: القاموس المحيط: ٢/ ١١٣.

اسم الفعل (هيهات)، لما له من دلالة الاقرار بالعجز عن الوفاء مهما اجتهد وبالغ، لإنه فضل جسيم وعظيم[١].

٥ - الرهبة والرغبة:

قال الإمام السجاد عليه السلام في سؤال المغفرة والاعتراف بالذنب يوم اللقاء: «**فَتَلَقَّاكَ بِنَفْسٍ خَاشِعَة، وَرَقَبَة خَاضِعَة، وَظَهْرٍ مُثْقَلٍ مِنَ الْخَطَايَا وَاقِفاً بَيْنَ الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ وَالرَّهْبَةِ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ رَجَاهُ**»[٢].

الرغبة والرهبة مصدران يدخلان في سياقات مختلفة من الكلام يراد بهما مقاصد دلالية مختلفة من الدلالات الحقيقية والمجازية بحسب ما يقتضيه السياق، فدلالة الرغبة في اللغة: (رَغِبَ فيه، رَغْباً، ورَغبةً: أراده، ورَغِبَ عنه: لم يُردهُ، ورغب إليه. وأرغبه غيره ورَغَّبَة والرَّغيبة: لأمر المرغُوبُ فيه، ورَغِبَ بنفسه عنه، بالكسر: رأى لنفسه عليه فضلاً)[٣].

أما الرهبة من (رَهْبَ رَهْبةً ورُهْباً: خاف، والاسم: الرَّهبى، وأرْهَبَهُ: أخافه، وتَرَهَّبَهُ: تَوَعَّدَهُ)[٤].

وهما من الألفاظ التي يحدث بينهما تقابل دلالي في بعض السياقات، وقد وردت طائفة من التقابلات في الصحيفة السجادية بين هاتين المفردتين بانواع واستعمالات مختلفة، فقد قابل الإمام بينهما بصيغة التعريف أو التنكير والافراد أو الجمع، ولكل منهما دلالة يحددها السياق الذي ترد فيه

(١) ينظر: لوامع الانوار العرشية: ٣/ ٥٣٩، ينظر: في ظلال الصحيفة السجادية: ٣٢٣.
(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٠٤، ينظر: ٢٠، ١٩٤.
(٣) العين (رغب): ٤/ ٤١٣، ينظر: لسان العرب: ١/ ٤٢٢، ينظر: القاموس المحيط: ١/ ٧٤.
(٤) العين (رهب): ٤/ ٤٧، ينظر: لسان العرب: ١/ ٤٣٦، ينظر: القاموس المحيط: ١/ ٧٦.

هذه المفردات، وقد وردت في (اربعة) مواضع من الصحيفة السجادية، ومن ذلك ما ورد في الدعاء المذكور آنفاً، فقد قابل الإمام عليه السلام بين لفظتي (الرهبة) و(الرغبة) بصيغة التعريف، في سياق الاعتراف بالتقصير واقتراف الذنوب، وقد افاد التقابل بيان حال الإنسان حين يكون العبد متوقفا بين الرجاء والخوف بحيث لا يزيد هذا على ذلك، ولا ذلك على هذا، لذلك قال بعض العارفين: ان الرجاء والخوف كجناحي الطائر، إذا استويا استوى فتم طيرانه، واذا نقص احدهما كان جاذبا له فسقط على رأسه[١].

وكثيراً ما يؤثر الايقاع في اكمال صورة التقابل الدلالي فصورة ذلك العبد الذي يقابل ربه بـ(نفسٍ خاشعة ورقبة خاضعة) يبين حال الاستكانة والذل التي يكون عليهما العبد المثقل ظهره بالذنوب والخطايا ينتظر رغبة في الرحمة وخوفه الشديد من عدل البارئ، والذي يؤدي إلى شيوع جو من القلق والانتظار الطويل في ذلك الموقف المهول.

ويلحظ ان الإمام قد قدم لفظ (الرغبة) على (الرهبة)، لان الإمام راعي فيه فطرة الإنسان التي تحب تقديم (الخير) على (الشر) و(السراء) على (الضراء) كما ان النص قد اقتضى ذلك، لان العبد المذنب يميل إلى الرغبة في المغفرة والرحمة والخوف والوجل من عدل البارئ سبحانه وحكمه، يوضح الصورة الحسية التي رسمتها العبارة في وصف النفس الخاشعة بوصف الرقبة أنها خاضعة مما يوحي إلى منتهى الخضوع والتذلل لله سبحانه.

ويرد التقابل بين (الرهبة) و(الرغبة) في دعائه يوم الجمعة في سياق الدعاء: «**اللَّهُمَّ هذا يوم مبارك ميمون المسلمون فيه مجتمعون في اقطار**

---

(١) ينظر: لوامع الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: ٤/ ٢٤٤.

ارضك يشهد السائل منهم والطالب والراغب والراهب وانت الناظر في حوائجهم»[١].

ورد التقابل بين اللفظتين على زنة اسم الفاعل (الراغب) و(الراهب) في سياق بيان رحمة الله تعالى وانه يساله المؤمن والكافر والعاصي والمذنب فينظر في حوائجهم.

وقد افاد التعريف العموم، لبيان منزلة هذا اليوم، لان فيه نماء الاعمال والافعال وزيادة الثواب، ويدل على ذلك مجيء التقابل بين اللفظين بزنة اسم الفاعل ودلالته على الثبوت والاستمرار في الرغبة للعمل فيه والطمع في رحمته ومغفرته، والرهبة من المعصية منه والوجل من عدله وقضائه، لذلك روي ان في يوم الجمعة ساعة ما دعا فيها مؤمن الا واستجيب له[٢].

ولا شك في ان تصوير الموقف في مثل يوم الجمعة حيث يقف الناس صفوفاً في اقطار الأرض المختلفة لأداء هذه الفريضة ودعاء الله والتماسه ان يتجاوز عن كل اخطائهم وسيئاتهم وهو الغفور الرحيم الذي يفتح ابواب رحمته في مثل هذا اليوم يمثل عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته على كل شيء هذا من جانب، ومن جانب آخر يرسم لنا صورة الذي يحضر هذا الحشر وفي نفسه نوازع شتى فهو راغب وطالب وراج رحمة الله وراهب وخائف من عذابه، لذا جاء استعمال صيغة اسم الفاعل منسجماً تماماً مع الغرض الذي قصده الإمام.

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٧٢.

(٢) ينظر الكافي: لابي جعفر بن محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني ت(٣٢٨-٣٢٩)هـ صححه وقابله وعلق عليه: علي اكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، حيدري، ط٢٣، ١٣٨٨هـ: ٣/ ٤١٤، ج٤.

٦ - الحب والبغض:

قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام في سياق الدعاء لولده بالصلاح والتوفيق: «**واجعلهم أبراراً اتقياء بُصَراءَ سامعين مطيعين لاوليائِك مُحبِّين مناصحين ولجميع اعدائك معاندين ومبغضين**»[١].

الحب والكره من أكثر الألفاظ النفسية تأثيراً في النفس البشرية، فهي مما يستشعره الإنسان في نفسه اتجاه المواقف والاشخاص[٢].

ورد هذان اللفظان في أربعة مواضع في الصحيفة السجادية في سياقات مختلفة، وقد تنوع استعماله لهما، فقد يرد ان بصيغ مختلفة كـ (اسم الفاعل أو المصدر أو اسم المفعول، لاداء دلالات ومقاصد شتى).

الحبُّ في المعجمات يعني: (الودادُ، وأحبَّهُ، فهو محبوب والجمع: أَحْبَابٌ وحُبُوب وحَبَبهُ، وهو نقيض البغض)[٣] و(يقال فَعَلْتُه على كُرُهٍ وفَعَلْتهُ كرْهَاً) و(الكره: المكروه، وأكرهته: حملته على أمرٍ وهو كاره)[٤].

والملاحظ من النص المذكور آنفاً ان الإمام قد عبر عن (الكره) بـ (البغض).

فقابل بين (محبين) و(مبغضين) على زنة اسم الفاعل في سياق التضرع لله سبحانه ودعوته لترسيخ تلك الصفات في ابناء المسلمين واثباتها،

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٨١، ينظر: ٢٠٧،٣١.

(٢) التقابل الدلالي في القران الكريم: ٦١.

(٣) العين (بعض): ٤/ ٣٦٩، ينظر لسان العرب: ٧/ ١٢١، ينظر القاموس المحيط: ٢/ ٣٢٥.

(٤) العين (كره): ٣/ ٣٧٦، ينظر لبيان العرب: ١٣/ ٥٣٤، ينظر القاموس المحيط: ٤/ ٢٩١.

لأنه عليه السلام اراد ان يتحلى الشباب بهذه الصفات (البر والتقوى والبصيرة والطاعة والمحبة للاولياء)، و(المعاندة والبغض) للاعداء لان في صفاتهم العزة وامل الأمة في التقدم والاصلاح، وحتى يكونوا قدوة لغيرهم، مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وجيء بالتقابل نكرة بصيغة الجمع لإفادةِ العموم وشمول هذه الصفات لابناء الامة، لا لولده فحسب، والذي يلاحظ انه عليه السلام قد قدم اسم الفاعل (محب) على (مبغض)، مراعاة لفطرة الإنسان الذي يقدم الخير على الشر، فميله للحب اكثر من البغض.

ويقابل الإمام زين العابدين عليه السلام بين (البغض) و(المحبة) في سياق الدعاء: «**أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد وَأَبْدِلْنِي مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَئَانِ الْمَحَبَّةَ**»(١) يلاحظ في هذا النص أن الإمام السجاد عليه السلام، قد قابل بين مصدري (البغض) و(الحب) في سياق الدعاء لتعظيم نعم الله تعالى على العباد، يبين من خلالها اخلاق الإسلام السمحة، لذا اورد الإمام التقابل بين المصدرين (البغضة) و(المحبة) مع فعل الامر الذي خرج مجازاً إلى الدعاء ليؤكد على اهم اخلاق الإسلام وهي طلب (المحبة) وترك (البغضة) على وجه الاستمرار، لان من دعا لهذه الأخلاق والأفعال نال خير الدنيا وسعادة الاخرة.

وبهذا افاد التقابل بين المصدرين بيان الحال الشعورية التي يكون عليها من تحلى بهذه الصفات والراحة والاطمئنان النفسي الذي يعم حياته وآخرته، وهو بهذا يؤكد عليه السلام مبدأ تربوي اجتماعي وهو أخذ المحبة وترك

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٦٠، ينظر: ٣١، ٢٠٧.

البغض، وقد منح بذلك المفردتين (البغضة والمحبة) قيمة دلالية عالية، وذلك لإن في انتشار الحب وانحسار البغض بناء المجتمع وصلاحه.

٧ - العز والذل:

قال الإمام سيد العارفين عليه السلام حين يذكر التوبة ويطلبها من الله تعالى باسلوب ترتعد له الفرائص: «**فَمَثَّلَ بَيْنَ يَدَيْكَ مُتَضَرِّعاً، وَغَمَّضَ بَصَرَهُ إِلَى الارْضِ مُتَخَشِّعاً، وَطَأطَأَ رَأسَهُ لِعِزَّتِكَ مُتَذَلِّلاً... وَعَدَّدَ مِنْ ذُنُوبِهِ مَا أَنْتَ أَحْصَى لَهَا خُشُوعاً**»[١].

العزُّ والذُّلّ مفردتان كثر استعمالهما في سياق الكلام العربي للدلالة على معانٍ مختلفة يحددها السياق، فالعز في الاصل: (عَزَّ يَعِزُّ عِزّاً وعِزةً، يقال: عزَّ الشيء، إذا قلَّ حتى لا يكادُ يوجد من قِلتِّه، وقيل هي الشدَّةُ والعِزُّ خلاف الذُّلُّ، والجمع عزازٌ وأَعزّةٌ وأعزَّاءٌ)[٢].

اما الذَّلَّ فهو: (مصدر الذّلول أي المنقاد من الدواب، وذَّلَّ يَذِلُّ، والذُّلُّ مصدر الذَّليل، والجمع ذلالٌ وأذلّاءُ وأَذّلةٌ، والذُّلُّ نقيض العِزُّ)[٣].

ورد التقابل بين (العُز) و(الذُّلُّ) في اربعة مواضع من الصحيفة السجادية، وقد استعمل الإمام السجاد عليه السلام هاتين المفردتين في هيآت مختلفة فقد يردان بصيغة المفرد أو الجمع، التنكير أو التعريف، وكل ذلك أمر يتطلبه السياق الذي تستعمل فيه هذه المفردات ويلاحظ التنوع الدلالي

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٩٦، ينظر: ٢٥-٢٦، ٩٩، ٨٣.

(٢) العين (عز): ١/ ٧٦، ينظر: لسان العرب: ٥/ ٣٧٤، ينظر: القاموس المحيط: ٢/ ٧٥.

(٣) العين (ذل): ٨/ ١٧٦، ينظر: لسان العرب: ١١/ ٢٥٦، ينظر: القاموس المحيط (ذل): ٣/ ٣٧٩.

الذي جاء به التقابل، حيث قابل بين اللفظتين بِأن جعل الأولى معرفة بإضافة (الكاف) في قوله (لِعزَّتِك)، افادة الخصوص من أن طاطأة الرأس هي لله والتعظيم، لأنه اراد بيان عظيم ذاته تعالى، في حين جاء باللفظة المتقابلة نكرةً (متذللاً) افادة للاطلاق في حديثه عن حال الإنسان، لذلك جاءت اللفظة بزنة اسم الفاعل ودلالتها على الثبوت والرسوخ، وانه يجب ان يكون دائم التذلل لله تعالى.

ويلاحظ أنه ﷺ قد قدم لفظة (العزَّ) على (الذَّلُّ)، لأنه أراد بيان قدرة الله تعالى وعظمته وعجز الإنسان واستكانتهِ وخضوعه، ولما كان التذلل من لوازم الطامع الخائف، جاءت مرتبة على ما قبلها من قصر طمعه وخوفه عليه تعالى.

وكذلك من اسباب التقديم، هو الدعاء بيان كمال الايمان بعظمة الله وقدرته، إذ من ايقن بعظمته وكمال قدرته كان في مقام الخوف والدهشة والتذلل.

والذي يبدو واضحاً للباحثة من خلال التقابل بين لفظتي (العز) و(الذل) انهما وردتا في مقام بيان كمال عظمة الله تعالى وقدرته مقابل عجز الإنسان وضعفه، ليبين للداعي ان العزة لله تعالى ولرسوله والمؤمنين لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، لما في الاعزاز - كما ذكرنا سابقاً - معنى التنزيه عما ينافيه من الذلة، وانه هو المحتاج دائماً إلى عز الله وقوته لذلك وردت صيغة التعريف بدلالتها على الخصوص في معظم المواضع التي وردت في الصحيفة السجادية لتأكيد دلالة خصوص العزة لله تعالى، وخصوص الذلة لغيره سبحانه.

٨ - السر والعلن:

قال الإمام السجاد عليه السلام في سؤال التوبة الخالصة لله تعالى، مستخدماً اسلوب النفي: «**وَتُبْ عَلَيَّ تَوْبَةً نَصُوحاً لَا تُبْقِ مَعَهَا ذُنُوباً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً، وَلَا تَذَرْ مَعَهَا عَلَانِيَةً وَلَا سَرِيرَةً**»[١].

السر في اللغة من الفعل (سرر) يقال: (أسر الحديث، وأستسر الامر: خفي، والسر ما يكتم، والسريرة عمل السر خير وشر، واسررته: كتمته، والجمع أسرار وسرائر)[٢].

اما العلن: (علن الامر يعلن علوناً وعلانية، أي: شاع وظهر، وأعلنته، إعلاناً وأعلن الامر، أي: اشتهر، والعلانية خلاف السر، والاعلان: المجاهرة)[٣].

الاسرار والاعلان من المفردات التي ترد في سياقات كلام العرب منفردة أو متقابلة، ويبدو من خلال المعنى اللغوي لكل منهما ان المفردتين احداهما ضد الأخرى، ومن هنا يجري بينهما التقابل بصيغة المصدر وذلك في سياق الحديث عن العبد التائب إلى ربه وخص هذه التوبة بالنصوح، أي: التي لا تدع مع هذه التوبة الخالصة لوجهك الكريم سوءاً أو أثراً يظهر للخلق أو يخفى عليهم، أو سوءاً في ظاهر عملي واخلاقي وباطنها لذا قيل المقصود بالسر ما خفي، وبالعلن ما ظهر[٤].

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٧٠، ينظر: ٢٣٩.

(٢) العين (سرر): ٧/١٨٦-١٩٠، ينظر: لسان العرب: ٤/ ٣٥٦-٣٥٧، ينظر: القاموس المحيط: ٢/ ٤٦.

(٣) العين (علن): ٢/ ١٤١، ينظر: لسان العرب (علن): ١٣/ ٢٨٨، ينظر: القاموس المحيط (علن): ٤/ ٢٤٩.

(٤) الجامع لاحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي =

ويلحظ ان الإمام السجاد عليه السلام قد قدم (الإعلان) على (الإسرار) وذلك لان اكثر ماورد من ذكر العلن والسر في الصحيفة السجادية هو في موضع الاعتراف بالذنب وطلب التوبة وطلب الاستمرار في ذكر الباري سبحانه، فالذي يستشعر من هذه التعبير التقابلي، الايحاء بأولوية اظهار هذا الاعتراف وافضليته واظهار ذكر الذنب على اخفائه وهو ما يتسق مع اخلاقيات الإسلام وحرصه على ان يكون هناك منهج هداية يتبعه غيره من العاصين.

والذي يبدو للباحثة ان في هذا الايحاء هدفاً قصد به الإمام عليه السلام تعليم المؤمنين هذا السلوك العبادي عن طريق هذه الأولوية التي اوصى بها السياق وما فيه من منهج تعليمي يهدف إلى هداية المذنب وارجاعه إلى الطريق القويم، ومن الألفاظ النفسية الاخرى، مقابلة (السعة) بـ(الضيق) فالسعة نقيض الضيق[1] في سياق الحديث عن الصلاة على اتباع الرسل ومصدقيهم: «**وَاشكُرْهُمْ عَلَى هَجْرِهِمْ فِيْكَ دِيَارَ قَوْمِهِمْ، وَخُرُوجِهِمْ مِنْ سَعَةِ الْمَعَاشِ إِلَى ضِيْقِهِ**»[2].

افاد التعريف الاختصاص في بيان حال اتباع الرسل، لذلك ورد الفعل (اشكرهم)، أي: اجزهم الجزاء الاكمل على تركهم لاجلك ديار قومهم، فجاء تقديم (السعة) على (الضيق) ملائماً لسياق الدعاء لبيان حالهم، ولما كان - سبحانه - مجازياً للمطيع بجزيل الثواب جعل مجازاته شكراً لهم

= (٦٧١)هـ، اعتنى به وصححه: الشيخ هشام سمير النجاري، ط١، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م: ٩/ ٢٤٥.

(١) العين (وسع): ٣/ ٩٣، ينظر: لسان العرب: ٨/ ٣٩٢، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ٢٧٨.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٩.

على سبيل المجاز، وإلَّا فالشكر هو الاعتراف بالاحسان، لذا قيل ان معنى شكره - تعالى - لعبده: ثناؤه عليه إذا اطاعه[١].

ومن الألفاظ النفسية الاخرى، التقابل بين (الفرج) و(الشدة)[٢]، وبين (الحسد) و(المودة)[٣] والتقابل (بين الامن والخوف)[٤] و(الحمد والذم)[٥] و(الريب واليقين)[٦].



(١) ينظر: لوامع الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: ٢/ ٢٢١.
(٢) ينظر: الصحيفة السجادية الكاملة: ٦٠.
(٣) ينظر: م.ن: ٢٩.
(٤) ينظر: م.ن: ٦٠، ٢١٠، ٧٣.
(٥) ينظر: م.ن: ٦٥، ٢٥.
(٦) ينظر: م.ن: ١٠٨.

المبحث الخامس

التقابل الدلالي بين ألفاظ الغيب

وتقصد به تقابل ماغاب عن الحس، فالإنسان لم يفطر اساساً على امكانية ادراك عالم الغيب، الذي لا يعرف بالطرق الحسية المتعارفة كالرؤية واللمس والسمع، حيث ينتقل بالعقل البشري إلى عوالم لم يشاهدها أو يتصورها كالموت والحياة، والجنة والنار، لذا ان ألفاظ الغيب تعرض عالماً اكبر بكثير مما يعيش فيه الإنسان، ولعل فائدة الايمان بالغيب هو جعل الإنسان يتأكد من: (ان وراء الكون ظاهره وخافيه حقيقة أكبر من الكون هي التي لا تدركها الابصار ولا تحيط بها العقول)[١].

فالإمام السجاد عليه السلام اراد توضيح مسائل الغيب، لأنه كان يعيش حقبة سياسية عصيبة بعد واقعة كربلاء، خلّفت فيه نفساً جاشت بحزن لن ينقضي وبالرغم من التزام سياسة الصمت ظاهراً، فإنه استطاع أن يعرض مناحٍ فكرية في دعائه تنطوي على أبعاداً مشرقة جديدة[٢] وكان لورود ألفاظ الغيب والتذكرة بعالم الجنة والنار، والموت والحياة، أثر كبير في بيان

---

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب، ط٧، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧١: ١/ ٤٠.

(٢) ينظر: الإمام زين العابدين عليه السلام القائد، الداعية، الإنسان: د. محمد حسين الصغير، الغدير للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٩: ١٨-١٩.

عظيم ما ارتُكِب في حق آل محمد ﷺ ومما ورد في الصحيفة السجادية من ألفاظ الغيب:

١ - الحياة والوفاة:

الحياة في الاصل: (حي، حياةً وحيواناً: كان ذا نماء، يقال: حي يحيى، فهو حي. والحِيُّ، بكسر الحاء: نقيض الموت، والحي: ضد الميت، والجمع احياءٌ)[١].

اما الوفاة: (فتعني الموت، وتوفَّاه الله إذا قبضَ نفسه)[٢].

ويرد التقابل بين لفظتي (الحياة) و(الوفاة) في سياق دعاء البارئ في المعونة على قضاء الدين: «**اسْتَجيرُ بك ياربِّ من ذِلَّتِهِ في الحياة ومن تَبِعته بعد الوفاة**»[٣].

وقد ورد التقابل في النص بين (الحياة) و(الوفاة) بصيغة التعريف لبيان خطورة الدين واثره في عاقبة الإنسان، فجاءت الاستجارة بالله تعالى للنجاة من الدّين واثاره في الدنيا من الهم والذّل والاستحياء، وفي الاخرة من السؤال والحساب، لذلك جاء تقديم (الحياة) على (الوفاة) ملائماً لسياق الدعاء، لان الحياة مكان الدين وفيها يتحمل الإنسان تبعات ذلك امام الدائن فالحياة مرحلة عمل بلا حساب، وبعد الوفاة مرحلة حساب العبد على أعماله وأفعاله.

---

(١) العين (حي): ٣/ ٣١٧، ينظر: لسان العرب: ١٤/ ٢١١، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ٣٢١.

(٢) العين (وفي): ٨/ ٤١٠، ينظر: لسان العرب: ١٥/ ٤٠٠، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ٤٠١.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ٩٤.

والذي يتبين من الدعاء ان (الحياة) و(الوفاة) متقابلان دلالياً في النص، لانهما يمثلان مرحلتين زمنيتين من عمر الإنسان، المرحلة الأولى حياة الإنسان في الحياة الدنيا وعمله فيها، والمرحلة الثانية الاخرة وحسابه فيها.

وقد قابل الإمام السجاد عليه السلام بين اللفظين في سياق الامر الذي خرج مجازاً إلى الدعاء: «**واجعل الحياة زيادة لي في كُلِّ خير، والوفاة راحةً لي من كُلِّ شرٍّ**»(١).

والذي بدا من النص ان التقابل فيه جرى في معادلة يحمل كل طرف منها جانباً من جوانب التقابل حياة + خير، وفاة + شر.

وجاء التقابل بين اللفظين في سياق التنبيه على قدرة الله تعالى وحكمته العظيمة في استمرار حياة الإنسان وعدمها.

لذا جاء تقديم (الحياة) على (الوفاة) بياناً لتلك الحكمة الالهية وهي أن البارئ للطفه يحيى المؤمن مادامت الحياة خيراً له، فإذا علم منه ارتكاب المعاصي لو بقي؛ قبضه إليه(٢).

٢ - الجنة والنار:

الجنة والنار من الالفاظ الغيبية التي استعملت كثيراً في المقابلات القرآنية ومن المفردات التي وردت متقابلة في نهج البلاغة ليعبر بلفظ (الجنة، عن المكان الذي اعده الله سبحانه جزاء لعباده المتقين في الاخرة، ويعبر بـ (النار) عن المكان الذي اعده لعذاب الكافرين)(٣).

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٠٧.

(٢) ينظر: نور الانوار في شرح الصحيفة السجادية: ٤٠٠، ينظر: شرح الصحيفة السجادية: ٢٠٨.

(٣) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٧٠، ينظر: التقابل الدلالي في نهج البلاغة: ٤٥.

والجنة في الاصل من (جنن، وجَنَّ، واجَنَّهُ: سَتَره، وكُلٌّ ماستر عنك فقد جن عنك، والجنة: الحديقة ذات النخل والشجر وهي دار النعيم في الاخرة، وجمعها جنان)(١).

اما النار في اللغة من: (نور - نار وانار واستنار، والنور: الضياء، والنار اسم العذاب يعذب الله به الكفار في الاخرة)(٢).

ورد التقابل بين لفظتي (الجنة) و(النار) في الصحيفة السجادية، وقد استعملها الإمام السجاد عليه السلام تأثراً بما تقدم في الاسلوب القرآني، في سياق الدعاء للتابعين: «**وصل على التابعين... صلاةً... تفسح لهم في رياض جنتك وتمنعهم... كبة النار وحلول الخلود فيها وتصيرهم إلى امن مقيل المتقين**»(٣).

ومن خلال النظر في سياق النص نجد ان الإمام قد قابل بين لفظتي (الجنة) و(النار) بصيغة التعريف، وذلك باضافة (الجنة) إلى ضمير الخطاب (الكاف) تعظيماً للجنة وبيان العدل الالهي في تقسيم ثوابه وعقابه، (فالجنة) في النص تمثل الثواب والخلود الابدي للاعمال الحسنة في جعل الجنة المكان الذي اعده الرحمن لعبادة المتقين من الانبياء والأولياء والتابعين، و(النار) تمثل العقاب والخلود الابدي فيه للمنكرات وذلك بجعل النار المكان الذي اعده الله لعذاب الكافرين.

ويتضح من خلال التقابل الهدف الدلالي للدعاء وهو بيان ارادة الله

---

(١) العين (جنن): ٦/ ٢٠، ينظر: لسان العرب: ١٣/ ٩٢-٩٣، ينظر: القاموس المحيط: ٢١١/٤.

(٢) ينظر: لسان العرب (نور): ٥/ ٢٤٠، القاموس المحيط (نور): ٢/ ١٤٩.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٠.

سبحانه وتعالى في وضع قوانين الحق ومكافأة كل انسان بما يقدم من عمل في الحياة الأولى (الدنيا).

ويلاحظ أن الإمام قد جمع (الجنة) من خلال اضافتها إلى كلمة (رياض) جمع (روضة)، في حين ذكر (النار) مفردة، مقدماً ذكرها - الجنة - على النار، وعلل صاحب البرهان ايراد الجنة تارة مجموعة واخرى مفردة، بأن النار تأتي مفردة لوجهين:

الأول: (لما كانت الجنات مختلفة الانواع، حسن جمعها وافرادها، ولما كانت النار واحدة افردت باعتبار الجنس، نظير قوله تعالى: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٨]، ولم يقل (كؤوس).

الثاني: انه لما كانت النار تعذيباً، والجنة رحمة ناسب جمع الرحمة، وافراد العذاب، نظير جمع الريح في الرحمة، وافرادها في العذاب.

وأيضاً النار دار حبس والغاضب يجمع جماعة من المحبوسين في موضع واحد، انكد لعيشهم، والكريم لا يترك ضيفه، ولاسيما ان كان للدوام، الا في دار مفردة مهيأة له وحده، فالنار لكل مذنب، ولكل مطيع جنة، فجمع الجنان ولم يجمع النار)[١].

والراجح أنه جمع الرياض وافرد النار، لأن رحمته سبحانه اوسع من غضبه، لهذا زاد في اكرام المؤمنين بالجمع، على حين افرد في ذكرعقاب المذنبين زيادة في اهانتهم، لذلك لم يضف النار إلى ذاته تعالى لكراهتها على خلاف الجنة المرغوب فيها.

(١) البرهان في علوم القرآن: للإمام بدر الدين أبي عبد الله الزركشي ت(٧٩٤هـ) قدم له وعلق عليه وخرج احاديثه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ٢٠٠٧: ١٢/٤.

والذي تبين من البحث ان الإمام عليه السلام لم يورد التقابل في الصحيفة السجادية بين لفظتي (الجنة) و(النار) بشكل صريح إلا في هذا الموضع(١).



(١) ينظر: الصحيفة السجادية الكاملة: فقد اورد ذكر الجنة والنار في عدة مواضع منها، بشكل معنوي كقوله عليه السلام: «**حمداً نُعْتَقُ به من اليم نار الله إلى كريم جوار الله**» قابل بين (نار الله) و(جوار الله): ٩.
و«**طريقاً إلى جنته وخفيراً من نقمته**» قابل بين (الجنة) و(النقمة): ١١.
و«**وكبة النار وطول الخلود فيها وتصيرهم إلى امن من مقيل المتقين**» قابل بين (النار) و(مقيل المتقين): ٢٠.

المبحث السادس

التقابل الدلالي بين ألفاظ الأجناس

ويقصد به تقابل بين لفظين، اما من جنس واحد متعاكس كالذكر والانثى، أو من جنسين مختلفين كالجن والانس[١].

وجاء التقابل الدلالي بين الفاظ الاجناس في الصحيفة السجادية يحمل دلالات متغايره ومتنوعة منها:

١ - الالفاظ التي تكون من جنسين مختلفين في الشكل والهيئة:

أ - الجن والانس:

جاء في المعجمات الانسُ: (جماعة من الناس، تقول: رأيت بمكان كذا أَنَساً كثيراً، أي: ناساً، والانس: البشر، والواحد إِنْسيٌّ وأَنْسيٌّ، والجمع أَناسيُّ)[٢].

أما الجن فهو في الاصل من: (أَجنَّ عنه واستجنَّ: استتر، والِجِّنيَّ،

---

(١) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٧٥، ينظر: التقابل الدلالي في نهج البلاغة: ٥٧.

(٢) العين (انس): ٧/ ٣٠٨، ينظر: لسان العرب: ٦/ ١٠-١١، ينظر: القاموس المحيط: ٢/ ١٩٨.

بالكسر: نسبةٌ إلى الجن، والجِنَّةُ بالكسر: طائفة من الجِنِّ، والجِنَّ خلاف الإنس)[١].

قابل الإمام السجاد عليه السلام بين لفظتي (الانس) و(الجن) في موضعين من الصحيفة السجادية، في مقام الاستعاذة والاستجارة بالله من الشيطان الرجيم، إذ قال: «**وَأَعِذْنِي وَذُرِّيَّتِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم... وَمِنْ شَرِّ كُلِّ مَنْ نَصَبَ لِرَسُولِكَ وَلاهْلِ بَيْتِهِ حَرْبَاً مِنَ الْجِنِّ وَالانْسِ**»[٢].

والملاحظ مجيء التقابل بين اللفظين في صيغة التعريف، افادة لعموم الاستعاذة من شر كل ممن نصب العداء والكراهية للرسول وآل بيته من الجن والانس.

وقد جاء التقابل بتقديم (الجن) على (الانس)، ويبدو ان التقديم هنا يعود إلى ان المقام مقام استعاذة واستجارة بالله سبحانه، لان منهم ممن هو من الشياطين، لان الشيطان كما ورد في الحديث يتمشى في بدن الإنسان تمشي الدماء في صدره فإذا ذكر الله خنس[٣] ولذلك قال تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤].

إن في هذه الفقرة اضاءة لجانب مهم من خصوصيات حياة السجاد عليه السلام ويتضح ذلك من خلال تلميحه إلى الناصبي لاثبات حق الولاية، فالناصبي من دان ببغض الإمام علي واهل بيته عليهم السلام، وهو كافر وجاحد لما ثبت بضرورة الدين[٤].

---

(١) العين (جنن): ٦/ ٢٠، ينظر: لسان العرب: ١٣/ ٩٢-٩٣، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ٢١٠.
(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٧٦.
(٣) الجامع لاحكام القرآن: ٢٠/ ١٨٨-١٨٩، ينظر: المفردات (خنس): ١٥٩.
(٤) ينظر: في ظلال الصحيفة السجادية: ٣١٤.

وقابل الإمام زين العابدين عليه السلام بين اللفظين في سياق الحديث عن منزلة الرسول الاعظم وآله الطاهرين، إذ قال: «**رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ صَلاَةً تَنْتَظِمُ صَلَوَاتِ مَلائِكَتِكَ وَأَنْبِيآئِكَ وَرُسُلِكَ وَأَهْلِ طَاعَتِكَ. وَتَشْتَمِلُ عَلَى صَلَوَاتِ عِبَادِكَ مِنْ جِنّكَ وَإنْسِكَ وَأَهْلِ إجَابَتِكَ**»[1].

قابل الإمام عليه السلام بين (الجن) و(الانس) بصيغة التعريف بالاضافة إلى الكاف لتعظيم مخلوقاته وبيان ان ما في هذا الكون من (جن، وانس) هم من خلقه سبحانه وتعالى مما يدل على سعة القدرة الالهية وعظمتها، ويشير إلى ان الصلاة على النبي تستوعب كل الموجودات وتتضح من خلالها عظمة المنزلة التي اختارها الله لرسوله واهل بيته.

وقد كشف بهذه العبارات عن نفس مطمئنة لقدر الله راضية بقضائه إذ سخر التراكيب المتقابلة في التعبير عن المنزلة الشريفة التي كرم بها الرسول وآله عليهم السلام، واستخدام الصيغة المضارعة (يتصل، وتشتمل) بدلالتها على الاستمرار، ديمومة هذه المنزلة وبقاءها متصل بالله تعالى ودوام عزه ورحمته.

وقد قدم الإمام عليه السلام ذكر الجن على الانس في الدعاء، وربما كان سبب التقديم مراعاة لاولوية الخلق لان الجن خلقوا قبل الانس لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر: ٢٦-٢٧].

٢ - التقابل بين اللفظ ونقيضه:

ورد في الصحيفة السجادية تقابل بين طائفة من الالفاظ المتضادة في دلالتها مثل:

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٥٧.

أ - الأولياء والاعداء

الأولياء: (جمع وليٌّ، وهو الناصر، وقيل المتولي لامور العالم، والخلائق القائم بها، وهو من اسمائه عز وجل، فالوالي هو المالك للاشياء جميعها المتصرف فيها)[١]. وهي نقيض الاعداء: (يقال عدا فلان عدواً وعدوناً وعداءً أي ظلم ظلماً جاوز فيه الغدر)[٢].

وقد قابل الإمام السجاد عليه السلام بين لفظتي (الوليّ، والعدو) في المواضع الثمانية من الصحيفة السجادية بصيغة التعريف بانواعه المختلفة مجموعة لتأدية دلالات ومقاصد متعددة يقتضيها السياق، ومن اهم صور التعريف التي جاءت مستخدمة في التقابل التعريف بالالف واللام في سياق التضرع لله: «**عَامِلاً بِطَاعَتِكَ مُؤْثِراً لِرِضَاكَ عَلَى مَا سِوَاهُمَا فِي الاَوْلِياءِ وَالاعْدَاءِ حَتّى يَأْمَنَ عَدُوّي مِنْ ظُلْمِي وَجَوْرِي، وَيَيْأَسَ وَلِيّي مِنْ مَيْلِي وَانْحِطَاطِ هَوَايَ**»[٣].

فجاء التقابل بين (الأولياء) و(الاعداء) بصيغة الجمع، ويرد التقابل بين (ولي) و(عدوي) بصيغة المفرد في النص نفسه، في سياق دعاء الإمام من الاحتراس من الخطايا والزلل من خلال التسليم الكامل لطاعة الله تعالى وارادته وايثارها على غيرها.

فأفاد التعريف وضع طريق محدد وسديد للمؤمن، هو كونه مقدماً لرضى الله تعالى وطاعته على ما سواهما في معاملة الأولياء والاعداء،

---

(١) العين (ولي): ٨/ ٣٦٥، ينظر: لسان العرب: ١٥/ ٤٠٧.
(٢) العين (عدو): ٢/ ٢١٣، ينظر: لسان العرب: ١٥/ ٣٣، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ٣٦٠.
(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ٧٤.

وذلك بأن يكون حبه لله وبغضه لله، لذلك جاء بقوله: «**حتى يأمن عدوي...**»(١) تعليلاً لطلب كونه مؤثراً لرضا الله على غيره، لأن من اتبع رضا البارئ لا يظلم حتى العدو ولا يميل إلى نصرة الباطل.

وقابل بين (الأولياء) و(الاعداء) في سياق التذلل لله سبحانه، إذ قال: «**الْحَمْد للهِ بِكُلِّ مَا حَمِدَهُ بِهِ أدْنَى مَلائِكَتِهِ إلَيْهِ... حَمْداً لَا مُنْتَهَى لِحَدِّهِ... حَمْدَاً يَكُونُ وُصْلَةً إلَى طَاعَتِهِ وَعَفْوِهِ... حَمْداً نَسْعَدُ بِهِ فِي السُّعَدَاءِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَنَصِيرُ بِهِ فِي نَظْمِ الشُّهَدَاءِ بِسُيُوفِ أَعْدَائِهِ إنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيدٌ**»(٢).

ورد التقابل بين اللفظين في صورة اخرى من صور التعريف، وهو التعريف بالاضافة إلى ضمير الغائب (الهاء) العائد على الله تعالى، افادة العموم، لأنه جمع مضاف، أي كل أوليائه وكل اعدائه، غير أن ورود الهاء المضافة هنا تدل على ان كثرة الحمد توجب التوفيق، في جعل العبد من احباء الله تعالى واوليائه، ويكون من الشهداء الذين قتلوا في سبيل محاربة اعدائه، حتى ينتظم مع الشهداء فيكون كمن قتل بسيوف الاعداء ويكون له من الاجر مالهم(٣).

فإفاد التقابل بيان حال من زكى نفسه بطاعة الله وشكر نعمه والآئه وترك الاخلاق الدنيئة والرذائل مؤثراً الخير على الشر والحلال على الحرام فيكون بذلك ولياً من اولياء الله وهو السعيد الذي فاز بقرب الله ورحمته، وحال من خاب بخذلانه بأرتكاب المعاصي والمآثم، فهو الشقي الذي آثر الشر على الخير والحرام على الحلال والذي استحق العداوة من الله

---

(١) ينظر: م. ن: ٧٤.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ١١، ينظر: ٨١، ١٥٩.

(٣) ينظر: في ظلال الصحيفة السجادية: ٧٢، ينظر: شرح الصحيفة السجادية: ٣٠.

تعالى[١] وقد اورد الإمام التقابل بين لفظي (الأولياء) و(الاعداء) مع الفعل المضارع ليؤكد السير في طريق الحق والخير على وجه الاستمرار، حتى لا يكون ذلك انزلاقاً في طريق الرذيلة والخسران.

ويلاحظ ان تكرار لفظة (الحمد) في هذه الفقرة من الدعاء جعل منها نقطة تحول في الاداء النصي، فقد انبثت عنه صور عديدة؛ لاحوال العبد وما يترتب على فعل الثناء من اصناف الثواب والجزاء، فالحمد (يكون وصلة إلى الطاعة)، ويكون من الأولياء وصوره للطمأنينة والراحة النفسية للوصول إلى هذه المنزلة، وقد رافق هذا التكرار الصوري تلون موسيقي متناغم مع التنوع الدلالي لتلك العبارات وما تحدثه من ارتياح نفسي ناشئ عن الاطمئنان بالقبول والاجابة[٢].

وقابل بين لفظتي (الأولياء) و(الاعداء) في سياق الدعاء، إذ قال: **«اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا فِي نَظْم أَعْدَآئِهِ وَاعْزِلْنَا عَنْ عِدَادِ أَوْلِيَائِهِ، لا نُطِيعُ لَهُ إذَا اسْتَهْوَانَا، وَلا نَسْتَجِيبُ لَهُ إذَا دَعَانَا»**[٣].

وورد التقابل بين اللفظين بصيغة التعريف - بالاضافة - في مقام الاستعاذة والاستجارة من عداوة الشيطان وكيده، وهنا يتضح هدف الإمام من التقابل في بيان حالين صار بينهما بني آدم، الحال الأولى هي حال اليقين والعزيمة والفرح في الانتظام في صفوف اعداد الشيطان، والحال الثانية هي حالة الاستجارة من الشك والوهن والوجل التي تعزله عن عداد أوليائه.

---

(١) ينظر: التقابل الدلالي في نهج البلاغة: ٧٢.

(٢) الصحيفة السجادية (دراسة اسلوبية): ٥٦.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ٥٤، ينظر: ١٦٧، ١٦١.

وبهذا خصّ التعريف انتظام العبد في سلك اعداء الشيطان، والاجتناب من ان يُعد من اوليائه، مشيراً إلى تلك العداوة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]، ولذا اشعر السياق بان الموضوع كله متصل بسلوك الإنسان وعمله، لان من اتبع الشيطان ضل ومن تركه هُدي ولورود الاسلوب الشرطي في نص الدعاء بعد ذكر اللفظين ودلالته على المستقبل، بيان حال الاستمرار والمداومة في عمل الشيطان في اضلال بني آدم، لذلك نلاحظ ان الإمام عليه السلام قدّم لفظ (الأولياء) على (الاعداء) في جميع المواضع، عدا هذا الموضع، لانه في مقام الحديث عن عداوة الشيطان وكيده الصريح في اضلال بني آدم.

ب - النساء والرجال:

الرَّجُل: (بضم الجيم وسكونه: انما هو إذا احتلم وشبَّ، والجمع: رجالٌ ورجلات ورَجْلَةٌ)[١].

اما النساء فهي: (من نسا، والنِّسْوةُ، والنُّسْوة، بالكسر والضم، والنِّساء والنِّسْوان والنُّسْوان: جميع المرأة، والنساء جمع نسوة إذا كثرت)[٢].

وردت لفظتا (الرجال) و(النساء) في الصحيفة السجادية في موضع واحد معرفة وعلى صيغة الجمع، وجاءت في سياق الدعاء على اعداء الإسلام، إذ قال: «**أَللَّهُمَّ عَقِّمْ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ، وَيَبِّسْ أَصْلَابَ رِجَالِهِمْ**

(١) العين (رجل): ٦/ ١٠١، ينظر: لسان العرب (رجل): ١١/ ٢٦٥، ينظر: القاموس المحيط: ٣/ ٣٨١.

(٢) العين (نسا): ٧/ ٣٠٥، ينظر: لسان العرب: ١٥/ ٣٢١، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ٣٩٥.

وَاقْطَعْ نَسْلَ دَوَابِّهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ، لَا تَأْذَنْ لِسَمَائِهِمْ فِي قَطْر وَلَا لارْضِهِمْ فِي نَبَات»[١].

وقد افاد التعريف الاشارة إلى معناهما الظاهر من اللفظ، وهو بيان النوع أو الجنس، أي: جنس الرجال وجنس النساء، في بيان انه لا يجوز الدعاء الا على الذين يسعون في الأرض فساداً سواء اكانوا ملحدين ام ينطقون باسم الله الكريم.

فقصد الإمام من تقابل اصلاب الرجال، وارحام النساء الدعاء على اعداء الإسلام بانطفاء نسلهم بياناً إلى استمرار اعداء الإسلام ومن يكيدون له، فدلّ التقابل على انهم يمتدون ويخرجون من آبائهم إلى الوجود، وان النساء سوف يلدن الكثير من امثالهم يمرقون في الدين[٢].

ت - المسلم والمشرك:

المسلم في الاصل: (سلم يسلم، والسَّلامُ والسَّلامَةُ: البراءة وتّسلَّم منه: تبرأه والإسلام والاستلام: الانقياد، وفي المسلم قولان: المستلمُ لامر الله، والثاني: هو المُخْلِصُ لله العبادة)[٣].

اما المشرك من: (شرك، وأشرك بالله: جعل له شريكاً في ملكة تعالى الله عن ذلك، والشرك: الكفر، وقد اشرك بالله، فهو مُشْرِك)[٤].

وهما من الالفاظ التي اكتسبت معنى خاصاً في ضوء مفاهيم الدين

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٨٧.

(٢) التقابل الدلالي في نهج البلاغة: ٥٨.

(٣) العين (سلم): ٧/ ٢٦٥، ينظر: لسان العرب: ١٢/ ٢٨٩، ينظر: القاموس المحيط: ١٢٩/٤.

(٤) العين (شرك): ٥/ ٢٩٣، ينظر: لسان العرب: ١٠/ ٤٤٨، ينظر: القاموس المحيط: ٣٠٨/٣.

الإسلامي، ويمكن القول المسلم هو من أسلم وجهه لله وآمن، والمشرك من لم يكن كذلك، وورد التقابل بين لفظتي (المسلم) و(المشرك) في موضع واحد من الصحيفة السجادية بصيغة الجمع في قول الإمام: «**أَللَّهُمَّ اشْغَلِ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُشْرِكِينَ عَنْ تَنَاوُلِ أَطْرَافِ الْمُسْلِمِينَ، وَخُذْهُمْ بِالنَّقْصِ عَنْ تَنَقُّصِهِمْ، وَثَبِّطْهُمْ بِالْفُرْقَةِ عَنِ الاحْتِشَادِ عَلَيْهِمْ**»(١).

قوبل بين اللفظين بصيغة التعريف بالالف واللام لافادة عموم الدعاء على المشركين، لما يشكلونه من خطورة بالغة على الإسلام والمسلمين، لذا فقد اختلف في لفظ (المشركين) فيما كان يتناول الكفّار من أهل الكتاب ام لا؟ قال الاكثرون: نعم لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣٠-٣١].

واحتج المخالفون بأنه - تعالى - فصل بين المشركين واهل الكتاب لقوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٠٥].

والعطف يقتضي المغايرة، ويتضح ان كفرالوثني اغلظ، وهذا القدر يكفي في العطف، أو لعله خصّ أولاً ثم عم، لانه نقل عن الرسول ﷺ: (ان كل من كان كافراً يسمى مشركاً)(٢).

ويلاحظ انه عليه السلام قدم لفظ (المشركين) على (المسلمين)، لانه في

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٨٨.

(٢) الكافي: ٢/ ٣٨٧، ١٤٤.

معرض الحديث عن المشركين والدعاء عليهم، وبهذا دلّ التقابل على بيان خطر المشركين على الإسلام والمسلمين، لانهم عموا عن الحق وحادوا عن الهدى وهم بذلك لا دين لهم فكانت مواجهتهم بشركهم والدعاء عليهم مسموحاً.

ث - الاب والام:

(الاباء: جمع أبٍ وهو الوالد، وقيل ان اصله أبوت الصبي، إذا كانت له أباً)[1].

(اما الامهات: جمع أمٍّ وهي الوالدة، وقيل ان اصلها امهه، لذلك تجمع على امهات)[2].

وقد سيق التقابل بين لفظتي (الاباء) و(الامهات) بصيغة الجمع، في موضع واحد من الصحيفة في سياق الدعاء للابوين، والتضرع لله تعالى بأن لا يُجعل من أهل العقوق، لانها من اكبر الكبائر، في سياق النفي: «**لَا تَجْعَلْنِي فِي أَهْلِ الْعُقُوقِ لِلاباَءِ وَالْامَّهاتِ يَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْس بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ. أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِـهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَاخْصُصْ أَبَوَيَّ بِأَفْضَلِ مَا خَصَصْتَ بِهِ آبَاءَ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَأُمَّهَاتِهِمْ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ**»[3].

يلاحظ من النص ورود اللفظين في موضعين من الدعاء، الأول بصيغة

---

(١) العين (اب): ٨/ ٤١٩، ينظر: لسان العرب (اب): ١٤/ ٣-٥، ينظر: القاموس المحيط (اب): ٤/ ٢٩٧.

(٢) العين (أمه): ٨/ ٤٣٣، ينظر: لسان العرب: ١٣/ ٤٧٢، ينظر: القاموس المحيط (أمه): ٤/ ٢٨٠.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ٧٩.

المعرف بـ (ال) في سياق النفي في عدم جعله من أهل العقوق، اما الثاني، فقد افاد التعريف بالاضافة إلى اختصاص الثواب للوالدين، بان يجعل ثوابهما افضل شيء خص به عباده المؤمنين.

وجاء التقابل بتقديم (الاباء) على (الامهات)، مراعاة لتقديم الرجل على المرأة لتقديمهم في امور تشريعية كالميراث والشهادة وحق الاقامة[1].



(١) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٨١-٨٢.

المبحث السابع

التقابل الدلالي بين الفاظ أخرى

هناك ألفاظ أخرى وردت في الصحيفة السجادية تعبر عن معان ودلالات متعددة منها:

١ - الفاظ على زنة احد المشتقات:

أ - الفاظ المقادير:

١. الصغير والكبير:

قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام في سياق سؤال التوبة من الله: «**وتُبْ علي توبة نصوحاً لاتبق معها ذنوباً صغيرةً ولا كبيرة**»[1] الصغير في الاصل: (الصغر ضد الكبر، والصغارة بالفتح: خلاف العظم أو الأولى في الجرم الثانية في الغدر، وصغر صغار، فهو صغير والجمع صغار وصغراء)[2].

اما الكبير من: (كبر الصبي وغيرهُ يكبرُ وكبُر فهو كبير، وجمعه كبار، والانثى كبيرة، وكبر، كبراً بالضم، وكباره بالفتح نقيض صغر، والكبر

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٧٠، ينظر: ٧٦، ٢٥.

(٢) العين (صغر): ٤/ ٣٧٢، ينظر: لسان العرب: ٤/ ٤٥٨، ينظر: القاموس المحيط: ٢/ ٧٠.

بالكسر العظمة، والكبرياء: اسم للتكبر)[١].

يرد التقابل بين (الصغير) و(الكبير) في (خمسة) مواضع من الصحيفة السجادية، فترد تارة بصيغة المفرد، كما ورد في النص، واخرى بصيغة الجمع، وورد اللفظان على زنة الصفة المشبهة (فعيل)، الدالة على الاوصاف الخلقية أو المكتسبة، فإن (فَعُل) في الاغلب للغرائز، أي الاوصاف المخلوقة كالحسن والقبح والصغر والكبر[٢] في سياق حديث الإمام عند الاستجارة من الذنوب وسؤال التوبة من الله سبحانه.

ويلاحظ أن ورود التقابل بين اللفظتين وهما على التنكير قد افاد، افادة العموم والشمول لان الإمام لم يعبِّر بالعدد، عن القليل أو الكثير المعدود، بل عبر عنه بمعنى عام عرفيّ مجمل هو صغير وكبير، وبأسلوب تقابلي، وهو ما يقتضيه المقام، فالله سبحانه وتعالى يقبل توبة العبد حين يخلص في طلبها ويعمل بشروطها، فيغفر له كل ما يتعلق بالذنوب من صغير أو كبير[٣].

ويلحظ ان اللفظين وردا مؤنثين مع انهما يرجعان في الظاهر إلى الذنوب ومفردها مذكر كما هو معلوم. وقد علل ذلك بأنه انما (أنث الصغيرة والكبيرة بمعنى الفِعْلَة والخِصْلَة)[٤].

وقابل الإمام السجاد عليه السلام بين اللفظين بصيغة الجمع، إذ قال: «**هَرَبْتُ اليك من صغائر ذنوبٍ مُوبقةٍ وكبائر اعمال مُرْديةٍ**»[٥].

---

(١) العين (كبر): ٥/ ٣٦٢، ينظر: لسان العرب: ٥/ ١٢٥، ينظر: القاموس المحيط: ٢/ ١٢٤.

(٢) ينظر: معاني الابنية: فاضل السامرائي، ط١، الكويت، ١٩٨١م، ٩٤.

(٣) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ٩٣.

(٤) مجمع البيان: ٦/ ٢٧٤.

(٥) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٠٢، ينظر: ٩٧.

فقد عبر في هذا الموضع من التقابل عن احاطة علمهِ سبحانه بكل صغير وكبير من الذنوب التي يقترفونها مهما دق وصغر، أو عظم وكبر، والصغير منها ارصد الله له غفرانه كالنظرة بشهوة ونحوها، والكبير منها اوعد عليه نيرانه كالزنا وقتل النفس(١).

وكما اسلفنا ان الإمام عليه السلام يدعو بالمغفرة لنفسه مع انه معصوم، لان الغرض من الدعاء هو تعليم العبد التأدب مع الله تعالى وكيفية التخلص من الذنوب.

ويلاحظ ان الإمام يقدم ذكر الصغير على الكبير كلما وردا متقابلين، وربما كان ذلك مراعاة للتسلسل المنطقي الذي يبدأ بالصغير ثم يصعد إلى الكبير.

٢. القليل والكثير:

قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام في سياق النداء: «**يا من رضي من فِعلهم باليَسير ويامن كافئ قليلهم بالكثير**»(٢).

الكثرة في اللغة من: (كَثَرَ، والكثيرةُ، والكُثْرةُ، والكُثْر: نقيض القلة، يقال: كَثُر الشيء يكْثُر كثْرةً، فهو كثير، وكَثْرُ الشيء: أكْثُرُ)(٣) اما القلة فهو من: (قلل، والقلَّةُ: خلاف الكثرة، والقُلُّ: خلاف الكُثْر، وقَلَّ الشيء فهو قليل)»(٤).

---

(١) ينظر: في ظلال الصحيفة السجادية: ٣٩١.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٣٧، ينظر: ٥٦.

(٣) العين (كثر): ٥/ ٣٤٨، ينظر: لسان العرب: ٥/ ١٣١، ينظر: القاموس المحيط: ٢/ ١٢٤.

(٤) العين (قل): ٥/ ٢٥، ينظر: لسان العرب: ١١/ ٥٦٣، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ٤٠.

ورد التقابل بين اللفظتين في (خمسة) مواضع من الصحيفة السجادية، وعلى صور مختلفة، لبيان دلالات ومعانٍ مختلفة يقتضيها السياق.

ومن خلال النص الوارد نجد أن اللفظين قد وردا بزنة الصفة المشبهة (فعيل)، التي تدل على ثبوت الصفات الخلقية أو المكتسبة في سياق الحديث عن سعة رحمة الله تعالى في مجازاة العمل القليل بالثواب الجليل، لان عطاء الله تعالى من غير منّ.

وبهذا افاد التعريف اختصاص هذا العطاء لله تعالى وحده، لان عطاء العظيم عظيم، فهو يجازي الفعل القليل بالجزاء الجليل.

وقدم لفظ (القليل) على (الكثير) لانه في مقام الحديث عن تقصير الإنسان واعترافه بذنبه وقابل الإمام عليه السلام بين اللفظين، إذا استغفر من ذنوبه وطلب العفو: «**بَلْ أَنَا يَا إِلهِي أَكْثَرُ ذُنُوباً وَأَقْبَحُ آثاراً وَأَشْنَعُ أَفْعَالاً وَأَشَدُّ فِي الْباطِلِ تَهَوُّراً وَأَضْعَفُ عِنْدَ طَاعَتِكَ تَيَقُّظاً، وَأَقَلُّ لِوَعِيْدِكَ انْتِبَاهاً وَارْتِقَاباً مِنْ أَنْ أُحْصِيَ لَكَ عُيُوبِي**»[١].

سيق التقابل في هذا الدعاء بين لفظتي (الكثرة) و(القلة) على زنة اسم التفضيل في مقام الاعتراف بالذنب والتقصير في جنب الله تعالى ويبدو ان الإمام عليه السلام استعمل الصفتين بصورة التنكير وحذف المضاف اليه، لغرض مقصود، وربما هو الاتساع والشمول فلم يقل (أكثر الناس) مثلاً ولم يقل (أكثر ذنوباً من الناس)، وهذا الحذف له دلالته في ان الغرض ليس تعداد ذنوبه، فهي اكثر من ان تحصى، وانما الغرض هو توبيخ النفس وتعييرها لأجل الطمع في رحمته - تعالى - التي يكون فيها صلاح المذنبين[٢]، لذا

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٤٩، ينظر: ٣٠،١٥١.

(٢) ينظر: لوامع الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: ٣/ ١٧٢.

فأن حذف المفضول عليه يفيد الاطلاق، أي انّا اكثر ذنوباً مطلقاً وفي هذا اعتراف صريح ودلالة كاشفة عن التواضع والتذلل لله سبحانه.

ويتضح من خلال النص هدف الإمام الاخلاقي والتربوي في آن واحد، فهو لم يكن في مقام التعداد أو الاعتراض، فذنوب العبد اكثر من ان تعد أو تحصى، بل هو في مقام توبيخ النفس ولومها على خطاياها لاجل اصلاحها وتقويمها، ليُبعد العبد بذلك عن صفة المذنبين.

ت - الظاهر والباطن:

قال الإمام زين العابدين عليه السلام في سياق حمد الباري وذكر مناجاته: **«لَكَ الْحَمْدُ... حَمْداً ظَاهِرُهُ وَفْقٌ لِبَاطِنِهِ، وَبَاطِنُهُ وَفْقٌ لِصِدْقِ النِّيَّةِ فِيهِ، حَمْداً لَمْ يَحْمَدْكَ خَلْقٌ مِثْلَهُ، وَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ سِوَاكَ فَضْلَهُ»**[1].

الظَّهْرُ: (خلاف البطن من كل شيء، وهو ماغاب عنك والجمع اظهر وظهور)[2].

اما الباطن فهي: (خلاف الظَّهْر، وبَطَنَ: خفي، فهو باطن والجمع بواطن، ويقال لمدّبر الامر: قلبت الأمر ظهراً لبطن)[3].

سيق التقابل بين (الظاهر) و(الباطن) بزنة اسم الفاعل في موضعين من الصحيفة السجادية بصيغة المفرد في التضرع لله سبحانه وشكر نعمه وآلائه من خلال تكرار كلمة (الحمد)، فقد افاد التعريف بالاضافة اختصاص

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٥٦، ينظر: ٩٧.

(٢) العين (ظهر): ٤/ ٣٧، ينظر: لسان العرب: ٤/ ٥٢٠، ينظر: القاموس المحيط: ٢/ ٨٢.

(٣) العين (بطن): ٧/ ٤٤٠-٤٤١، ينظر: لسان العرب: ١٣/ ٥٢-٥٣، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ٢٠٢.

الحمد لله تعالى، إذ قرن ظاهر الحمد وفقاً لباطنه، لانه لما كان العمل الخالص لله تعالى سليم في الغالب، عن الرياء والسمعة طلب ان يكون ظاهر حمده موافقاً لباطنه، وقرن باطن الحمد وفقاً لصدق النية، لانه لما كان الباطن من العمل قد لا يخلو من حسن النية، وهو الاقبال على العمل من صميم القلب أو تزكيتها عن جميع النقائص وتصفيتها من غير وجه، سأل ان يكون باطن حمده موافقاً لصدق النية(١) يتبين في مقابلة الوصفين (ظاهره - وباطنه) ان القصد منه ان يتساوي فيه ما ظهر من الحمد وما خفي وان لم يصرح به.

ويلاحظ ان الإمام عليه السلام قد قدم في الأول (الظاهر) على (الباطن) ربما كان مراعاة للترتيب المنطقي بين المدركات، فالحواس كلها تدرك الظاهر الجلي قبل ادراكها الباطن الخفّي(٢).

ومن ثم عطف بتقديم الباطن، فلعله اراد ان يلفت النظر إلى ماورد في الاحاديث، من انه قد يؤاخذ على مايوجد في القلب وان لم يقترن به عمل(٣).

وتزخر الصحيفة السجادية بالفاظ اخرى كثيرة منها على زنة اسم الفاعل كالتقابل بين (الشريف والوضيع، والعارف والمنابذ، المتأخر والمتقدم، الغني والفقير والحاضر والغائب والقوي والضعيف)(٤) ومنه ماكان على زنة اسم المفعول (كالمعروف والمنكر، والمجامعة والمفارقة، والمناوءة والمتابعة)(٥).

---

(١) ينظر: رياض الساكنين: ٦/ ٣٥١.

(٢) التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٠٧.

(٣) ينظر: لوامع الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: ٤/ ١٥٩.

(٤) ينظر: الصحيفة السجادية الكاملة: ٦٢، ١٥٩، ٨٤، ٧٦.

(٥) ينظر: م.ن: ٧، ٥٤، ٢٦.

٢ - التقابل الاسمي (تقابل المصادر):

جاءت الصحيفة السجادية بألفاظ اخرى تحمل دلالات متنوعة ومتعددة، وجاء التقابل فيها تقابل اسمي - مصدري - واصل المصدر عند اصحاب المعجمات من (صدر، والصدر: اعلى مقدم كل شيء واوله، وصدر الامر: اوله، والمصدر اصل الكلمة التي تصدر عنها صوادر الافعال، وتفسيره ان المصادر كانت اول الكلام، كقولك: الذهاب، والسمع، والحفظ)[١].

وبهذا فالمصدر عندهم أصل الكلام والى هذا يشير الخليل (ت١٧٥هـ): (انما صدر الافعال منها، فيقال: ذهب ذهاباً، وحفظ حفظاً)[٢] في حين ان بعض كتب اللغة الحديثة لم تنظر إليه من حيث كونه اصلاً أم فرعاً: (المصدر نفسه هو الاسم الذي يدل على الحدث مجرداً من الزمن والشخص والمكان)[٣].

ومما جاء من الفاظ مصدرية في الصحيفة السجادية:

أ - النعمة والنقمة:

قال الإمام زين العابدين عليه السلام في سياق النداء: «**يَا مَنْ يَدعُو إلَى نَفْسِهِ مَنْ أَدْبَرَ عَنْهُ، وَيَا مَنْ لا يُغَيِّرُ النِّعْمَةَ، وَلا يُبَادِرُ بِالنَّقِمَةِ**»[٤].

---

(١) لسان العرب: ٤/ ٤٤٥ ومابعدها.

(٢) العين (صدر): ٧/ ٩٧.

(٣) ابنية الصرف في كتاب سيبويه: د. خديجة الحديثي، مكتبة لبنان - بيروت، ط١، ٢٠٠٣: ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٤) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٤٨، ينظر: ٢٢٦-٢٢٧، وقابل بين (الرحمة) و(النقمة): ٢٢٤-٢٢٥، ينظر: ٢٢٢.

النعمة هي الحال الحسنة التي يكون عليها الإنسان من لين عيشٍ وخصب[١] فالنعمة مصدر للفعل (نَعِمَ الشيءُ نعماً ونعمةً ونعيماً: لأن ملمسه، ونَعم عيشه وباله: هدأ واستراح، والنعم: الخفض والدعة، والنعمة: ما انعم به من رزقٍ ومالٍ وغيره، والنعمة: المسرة)[٢].

اما النقمة هي وقوع العقوبة جزاءً، وذلك بسلب النعمة بالعذاب[٣] فهي مصدر للفعل (نقم)، ويقال: (نقم منه نقماً ونقوماً: عاقبه، ونقم الشيء: انكره وعابه، والنقمة العقوبة، وجمعها نقمٌ)[٤].

ورد التقابل بين المصدرين (النعمة) و(النقمة) في موضعين من الصحيفة السجادية، ومن خلال النظر في النص الوارد نجد ان الإمام قد قابل بينهما في سياق نفي تغير النعمة والاتيان بالنقمة، لاختصاص البارئ بفيض الرحمة والعطاء بأن يدعو إلى نفسه لمن اعرض عنه تحنناً على عباده، فهو لا يغير النعمة بلا سبب لكثير من الناس، كما لا يسرع في النقمة على المذنبين من عباده بل يمهلهم لعل هناك رجوعاً إلى باب التوبة.

والذي بدا واضحاً ان هدف الإمام من الدعاءهو بيان ان تغير النعمة والاتيان بالنقمة يتوقف على افعال الإنسان وعمله في الدنيا، لان البارئ لم يخلق الإنسان ليعذبه بل كرمه وجعله سيد المخلوقات وهذا ما توضحه

---

(١) ينظر: الفروق: ٢٣٥.

(٢) العين (نعم): ٢/ ١٦١-١٦٢، ينظر: لسان العرب: ١٢/ ٥٧٩، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ١٨١.

(٣) ينظر: الفروق: ٢٣٥.

(٤) العين (نقم): ٥/ ١٨١، ينظر: لسان العرب: ١٢/ ٥٩٠، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ١٨٣.

دلالة النفي في بيان سعة رحمة الله على العباد وانه يمهلهم حتى حين لكي يرجعوا إلى طريق الحق والصواب، مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

ب - فناء وبقاء:

قال الإمام السجاد عليه السلام في سياق الدعاء: «**أللَّهُمَّ وَمَتَى وَقَفْنَا بَيْنَ نَقْصَيْنِ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا فَأَوْقِعِ النَّقْصَ بِأَسْرَعِهِمَا فَنَاءً، وَاجْعَلِ التَّوْبَةَ(*) فِي أَطْوَلِهِمَا بَقَاءً**»(١).

ورد التقابل في الصحيفة السجادية بين المصدرين (بقاء) و(فناء) في موضعين، والبقاء في اللغة من: (بقي الشيء يبقى بقاءً، وهو ضد الفناء)(٢) اما الفناء فهي العدم(٣).

وسيق التقابل بين اللفظين بصيغة التنكير، لافادة العموم والشمول في سياق الاشتياق وطلب المغفرة من الله جل جلاله وذلك بجعل البلاء في الدنيا وليس في الاخرة.

(*) اختلف في معنى التوبة في هذا الموضع، قيل: هي بمعناها المشهور، أي: إذ أقصرنا في أمر ديني وأمر دينوي فوقفنا للتوبة عن الأول وحده، وقيل: بمعنى الرجوع وهو المعنى اللغوي، ويعني أرجعنا عنه حتى لا نفعله، وقيل: المراد بالتوبة هي لازمها وهو الرحمة والمغفرة، وقيل هو النقص بالدين لا الدنيا والمراد بالنقص رفعه بالكلية فإن الناقص يأتي بمعنى الساقط والزائل، ينظر: نور الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: ١٤٣.

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٣١، ينظر: ٢٦، وقابل بين (الاحياء) و(البقاء): ٢١١.

(٢) العين (بقي): ٥/ ٢٣٠، ينظر لسان العرب: ١٤/ ٧٩، ينظر القاموس المحيط: ٤/ ٣٠٤.

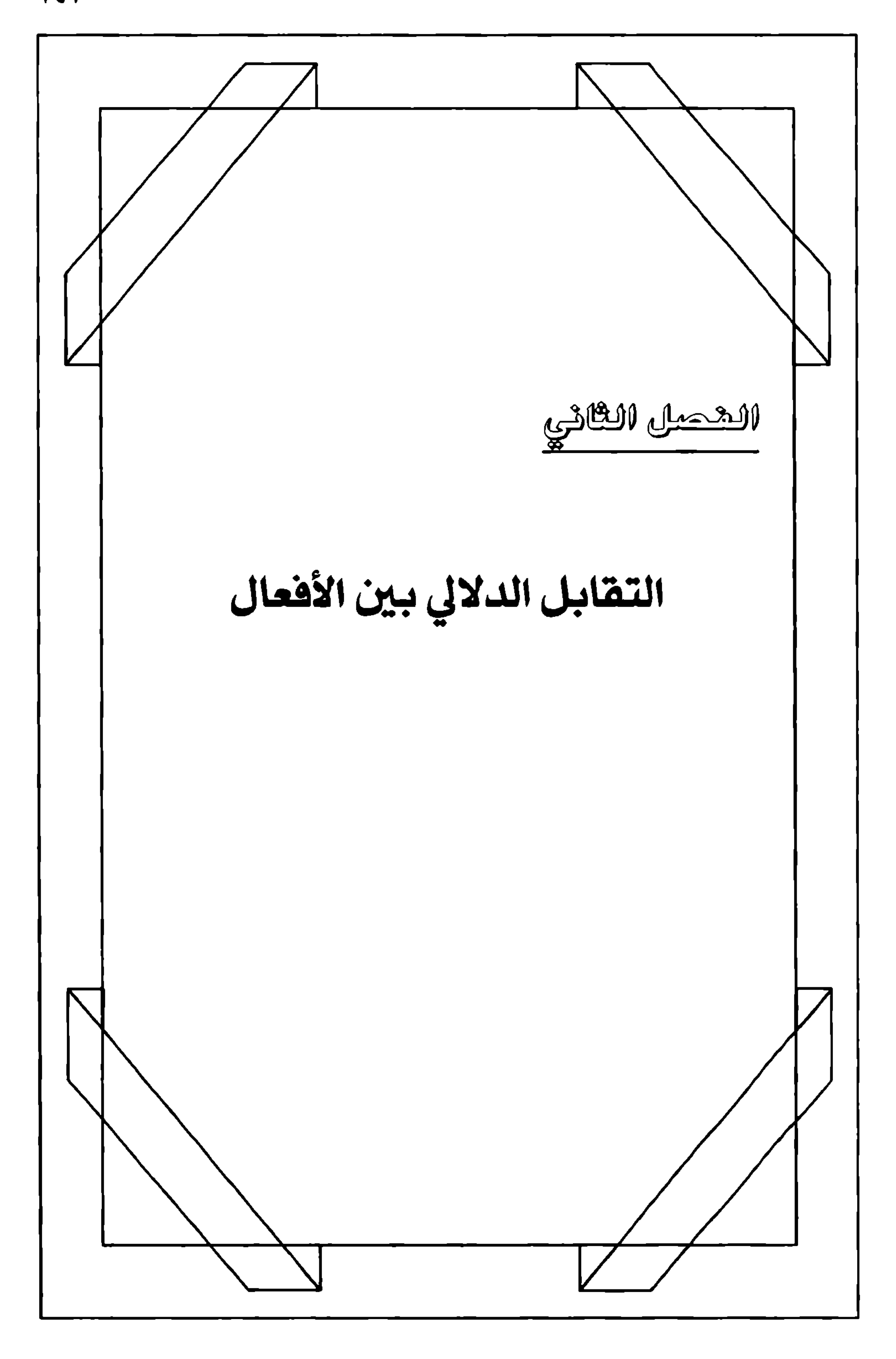
(٣) ينظر: لسان العرب (فني): ١٥/ ١٦٤.

والذي يتضح من التقابل انه لايمكن الجمع بين الدنيا والاخرة الا بإسخاط الاخرى وبكفتي الميزان فان احدهما لا يرتفع الا بوضع الاخرى.

وردت الفاظ اخرى كثيرة قابل بها الإمام عليه السلام لتادية معانٍ اخرى متعددة منها المقابلة بين (المرارة والحلاوة، وبين التقديم والتاخير، والسلامة والعلة، الاعطاء والمنع، وبين الدفع والقبض، واليقظة والنوم)[١].



(١) ينظر الصحيفة السجادية الكاملة: ٦٠، ٧، ٤٤، ٤٦، ٦٣، ٢٠٢.



الفصل الثاني

التقابل الدلالي بين الأفعال

التقابل الدلالي بين الأفعال

توطئة

يعدّ القدماء والمحدثون الفعل أحد أقسام الكلمة الرئيسة التي يتألف منها الكلام، مع اختلاف وجهة نظر كل من الطرفين في عمله.

فقد أهتمَّ النحاة القدامى بمسألة الفعل، إذ يرون أن الفعل صاحب العمل وهو يرفع فاعلاً وينصب مفعولاً، كما ينصب سائر ما أسموه بـ (الفضلات) كالمفاعيل والحال ونحو ذلك، وانه يعمل أينما كان متقدماً أم متأخراً ظاهراً أم مقدراً.

أما المحدثون فينكرون هذه المعرفة القديمة ويرون أن الفعل مادة لغوية مهمة في بناء الجملة، وهو لا يعدو أن يكون حدثاً يجري على أزمنة مختلفة تختلف في المضي كما تختلف في الحال والاستقبال، كما يعرب عن اتفاق وتركيب هذه الأزمنة ببعضها(١).

وكانت مسألة الأصل في الاشتقاق الأكثر خلافاً عند القدماء، فهي موضع جدال بين البصريين والكوفيين، فالبصريون يرون أن الاسم هو الأصل، والفعل فرع عليه مقدمين في ذلك حججاً احتجوا بها منها، بأن قالوا: (الدليلُ على أن المصدر أصل الفعل أن المصدر يدل على زمان مُطْلقٍ، والفعل يدل على زمان معين، فكما أن المطلق أصل للمقيد فكذلك المصدر أصل للفعل).

---

(١) ينظر: الفعل زمانه وأبنيته: د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م: ١٥.

وقالوا: (الدليل على أن المصدر هو الأصل إن الفعل بصيغته يدل على شيئين الحدَث والزمان المحصَّل والمصدر يدل بصيغته على شيء واحد وهو الحدث وكما أن الواحد أصل الاثنين فكذلك المصدر أصل الفعل)[١].

وكما قدم البصريون حججاً في مسألتهم، قدّم الكوفيون حججاً في قولهم: إنما قلنا إنَ المصدر مشتق من الفعل، وفرع عليه، بأن قالوا: (إنما قلنا إنَ المصدر مشتق من الفعل لأن المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله، ألَا ترى أنك تقول قَاومَ قِواماً فيصح لصحة الفعل، وتقول أقَامَ قِياماً فيعتل لاعتلاله، فلما صحّ لصحته، واعتل لاعتلاله دّل على أنه فرع عليه)[٢]، وقالوا أيضاً: (الدليلُ على أن المصدر فرع على الفعل، أن الفعل يعمل في المصدر، ألَا ترى أنك تقول ضَرَبتُ ضرْباً فتنصب ضرباً؟ فوجب أن يكون فرعاً له، لأن رتبة العامل قبل رتبة المعمول؛ فوجب أن يكون المصدر فرعاً على الفعل)[٣].

ويرى الدكتور مهدي المخزومي، إن احتجاج كلا الفريقين لا صلة له بهذه الدراسة، فالبصريون يصدرون في رأيهم هذا عن رأي سيبويه في قوله: (أما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصرّيين والكوفيّين: كمال الدين أبي بركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الانباري النحوي، ومعه كتاب الإنتصاف من الإنصاف: لمحمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت - لبنان، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م: ١/ ١٩١، ينظر: الإيضاح في علل النحو: لأبي القاسم الزجاجي، تح: د. مازن المبارك، ط٢، أمير - قم - إيران، ١٣٦٣هـ: ٥٦-٥٩.

(٢) م. ن: ١/١٩٠.

(٣) الأنصاف: ١/ ١٩٠، ينظر: مسائل خلافية في النحو: لأبي بقاء العكبري ت(٦١٦)هـ حققه وقدم له: محمد خير الحلواني، د. ت، د. ط: ٧٨.

ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع، فأما ما مضى فذهب سمع. . . وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك آمراً اذهب. . . ومخبراً يقتل ويذهبُ. . . وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن)[١].

والكوفيون يصدرون عن مأخذ تشبه مأخذ البصريين، في حين يرى الدكتور إبراهيم السامرائي، إن سبيل الاحتجاج بين الفريقين لا يؤدي إلى نتيجة، لأنها لم تكن مسألة خلاف أصلاً، لأن المصدر والفعل مادة واحدة، هي المادة الفعلية التي لابد أن تبحث بالقياس إلى الاسم المنقطع الاسمية[٢] ويذكر عبد الله أمين (أن أصل المشتقات جميعاً شيء آخر لا هو المصدر، ولا هو الفعل وأنّ الفعل مقدم على المصدر، وعلى جميع المشتقات في النشأة، وأنَ هذه المشتقات جميعها، ومعها المصدر، مشتقة من الفعل، بعد اشتقاق الفعل من أصل المشتقات، وهي أسماء المعاني من غير المصادر وأسماء الأعيان والأصوات)[٣].

وتعدّ هذه المسألة من المسائل التي لا ناقة للمتلقي فيها ولا جمل وإنما جاءت نتيجة تعقيد النحو ودخول الفلسفة والتأويلات في مضمار النحو.

وهذا ما يؤكده الدكتور مهدي المخزومي بقوله: (من العسير جداً أن تظفر بالدليل القاطع على ترجيح أحد الرأيين على الآخر، لأن ذلك يستلزم الإلمام الكافي بتاريخ الفعل في لغة من اللغات، أو بتاريخه في العربية،

---

(١) الكتاب: ١/ ١٢.

(٢) في النحو العربي - نقد وتوجيه - : د. مهدي المخزومي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٩٦٤م: ١٠٤.

(٣) الاشتقاق: عبد الله أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م: ١٤.

وهو مطلب عسير جداً، فلم يبق أمام الدارس إلّا القرائن، والقرائن مما ذكرناه ومما لم تذكره إنما تدل على أن الفعل هو مصدر اشتقاق اغلب الكلمات)[١].

فجاء الفصل الثاني بدراسة التقابل الدلالي بين الأفعال في الصحيفة السجادية بحسب دلالتها على الزمن:

(١) في النحو العربي - نقد وتوجيه - : ١٠٦.

المبحث الأول

التقابل الدلالي بين الأفعال

١ - التقابل الدلالي بين الأفعال الدالة على الماضي:

ويقصد به تقابل بين لفظتين يكون طرفاها فعلين دلًّا على زمن ماضٍ، فالفعل الماضي هو أحد أركان النظرية الثلاثية للزمان، وقد عرّفه الجمهور: بأنه ما دل على حدث وقع في الزمن الماضي(١).

ويعرف الماضي (بأنه ما دل على اقتران حدث بزمان قبل زمانك وهو مبني على الفتح إلَا أن يعترضه ما يوجب سكونه أو ضمه فالسكون عند الإعلال ولحوق بعض الضمائر والضم مع واو الضمير)(٢).

---

(١) ينظر: الكافية الكبرى في علم النحو: خليل بن الملا حسين الاسعردي الشافعي، تح: إلياس قبلان التركي، دار صادر - بيروت، مكتبة الإرشاد - استانبول، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م: ٢٥٥.
ينظر: التعريف بالتصريف: د. علي أبو المكارم، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م: ٥٣، ينظر شذا العرف في فن الصرف: أستاذ أحمد الحملاوي، ط٢، مؤسسة أنوار الهدى للطباعة والنشر، قم - إيران، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م: ١٥.

(٢) الفعل في نحو ابن هشام: د. عصام نور الدين، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ١٩٧١: ١٢٦، ينظر: الزمن في النحو العربي: د. كمال إبراهيم بدري، ط١، دار أمية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٤: ١٠٨.

(فالماضي ما عدم بعد وجوده فيقع الأخبار عنه في زمان بعد زمان وجوده وهو المراد بقوله الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك أي قبل زمان أخبارك ويريد بالاقتران وقت وجود الحدث لا وقت الحديث عنه ولولا ذلك لكان الحد فاسداً)(١).

ويقسم الدكتور فاضل السامرائي الماضي على أزمنة:

أولهما: المطلق وهو الذي يصلح لجميع الأزمنة: (وذلك أنك تقول (قام) فيصلح لجميع ما تقدمك من الأزمنة)(٢).

ثانيهما: المنقطع: وهو الذي يصلح مرة واحدة ولم يتكرر إذا وقع خبراً لكان نحو (كان كذب) أي حصل منه مرة واحدة، أما المجرد (فهو الذي يفيد الانقطاع، ولم يقع خبراً لكان نحو: (مات فلان)(٣).

ثالثهما: الماضي القريب إذا صّدر بقد، لإن قد مع الماضي تفيد التقريب، (وذلك أنك تقول (قام زيد) فتخبر بقيامه فيما مضى من الزمن إلَا إن ذلك الزمان قد يكون بعيداً، وقد يكون قريباً من الزمان الذي أنت فيه فإذا قرنته بـ(قد) فقد قربته مما أنت فيه ولذلك قال المؤذن: قد قامت الصلاة، أي: قد حان وقتها في هذا الزمان)(٤).

وقد ردّ على ما عرف: (الفعل الماضي: ما حسن فيه أمس)(٥).

---

(١) شرح المفصل: ٧/ ٤.

(٢) م. ن: ٧/ ٤.

(٣) ينظر: معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٩٩١: ٣/ ٢٩٩ - ٣٠٠.

(٤) شرح المفصل: ٨/ ١٤٧، ينظر: الأنصاف: ١/ ٢٠٥.

(٥) م. ن: ٨/ ١٤٧، ينظر: م. ن: ١/ ٢٠٥.

أنّه تقريب، لأنه (إنما يصح في الأفعال التي لم يعرض لها عارض يخرجها عن موضوعها الذي وضعت عليه، وما وضع الشيء عليه في أصل وضعه هو المعتمد بالتحديد، ولكن الأشياء قد تعرض لها عوارض تخرجها عن أصولها. . . ألَا ترى أن حروف الشرط تدخل على الأفعال الماضية فتصير بمنزلة المستقبلية فتقول: «إن جاءني زيد أكرمته» وكذلك تدخل حروف الجزم على الأفعال المستقبلية فتصيرها بمعنى الماضي فتقول: لم يجئني زيد أمس)(١).

لذلك يفضل تقسيم الفعل الماضي على ثلاثة أقسام:

ماضٍ في اللفظ والمعنى، كقولك: قام زيدٌ أمس، وماض في اللفظ لا في المعنى: إن قام زيد أكرمته، وماضٍ في المعنى لا في اللفظ: لم يقم زيد أمس(٢) وقد وردت في الصحيفة السجادية طائفة كبيرة من الأفعال الماضية وقد جاءت في سبعة وعشرين موضعاً من الصحيفة، وهي تحمل معاني متقابلة، عبر فيها الإمام من خلال هذه التقابلات عن كثير من الأغراض والدلالات تدخل معظمها في باب الوعظ والإرشاد والزهد والتوجيه والنصح والتوسل، وكل هذه المتقابلات تصور لنا حال من الأحوال التي يريد الإمام عليه السلام التعبير عنها فقد استعمل الإمام هذه المتقابلات في التعبير عن عدد من الأغراض المتناقضة مثل (الحب والكره والكرم والبخل والرفض والقبول والقرب والبعد والأمر والنهي وغيرها).

---

(١) الجمل: لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تح: الشيخ ابن أبي شنب، مطبعة كلنسكيك، باريس: ٢١ - ٢٢.

(٢) ينظر: كتاب الحلل في أصلاح الخلل من كتاب الجمل: لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ت(٥٢١)هـ، تح: سعيد عبد الكريم سعودي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠: ٩٠.

ومن هنا نجد في كثير من النصوص استعمال أفعال ماضية جرى بينها التقابل في السياق الذي استعملت فيه، إذ نجد (أمر ونهي، وأحب وابغض، وحفظ ونسي، وغيرها كثير)[١].

وسنقف فيما يأتي عند طائفة من النصوص التي استعمل فيها الإمام التقابل بين الأفعال الماضية:

أ - قال عليه السلام: «**أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَلَا تَفْتِنِّي بِمَا أَعْطَيْتَهُمْ وَلا تَفْتِنْهُمْ بِمَا مَنَعْتَنِي فَأَحْسُدَ خَلْقَكَ، وَأَغْمِطَ حُكْمَكَ**»[٢]، قابل الإمام عليه السلام بين الفعلين (أعطى، منع) في سياق الحديث عن نعم الخالق وعطاياه، فالإعطاء في اللغة: (التناول، ويقال رجلٌ وامرأةٌ معطاء: كثير العطاء)[٣].

أما المنع، فيقال منه: (مَنعَهُ يَمْنَعُهُ، بفتح نونهما، ضدَ أعطاهُ، ومَنَعْتُهُ، امْنُعه منعاً فامتنع، اي حُلتُ بينه وبين إرادته)[٤].

ويبدو من خلال السياق أن الإمام يريد أن يشير إلى أن الله سبحانه وتعالى يقسم الرزق والعطاء كيف يشاء فيعطي من يشاء ويمنع من يشاء، وهذه حكمة السماء وتُطبق على الأرض.

ونلمح من خلال ذلك إشارة إلى ضرورة الإيمان بما قسم الله وأعطى فلا يفتن الإنسان بما وهبه الله لغيره فتتحول هذه الفتنة إلى حسد مذموم

---

(١) ينظر: الصحيفة السجادية الكاملة: ١٣٨، ١١١، ٧٥، ٤٢، ٥٦.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ١١١.

(٣) العين (عطا): ٢/٢٠٨، ينظر لسان العرب: ١٥/٦٨، ينظر القاموس المحيط: ٤/ ٣٦٣ - ٣٦٤.

(٤) العين (منع): ٢/ ١٦٣، ينظر لسان العرب: ٨/ ٣٤٣، ينظر القاموس المحيط: ٣/ ٨٦.

وهو حسد النعمة، ومن جانب آخر فان ما منعه الله منه، له حكمة على الإنسان أن يقنع بها، وحين ننظر إلى بناء التركيب في هذا النص نجد أن الفعلين قد وقعا بعد الاسم الموصول فهما في موقع الصلة الذي لا محل له من الإعراب، ويبدو من خلال السياق، أن هذا التقابل قد يتسع ليشمل كل التركيب إذ يبدو التقابل بين ضمير الغائب وضمير المتكلم.

أما الدلالة الزمانية للفعلين فجاءت دالة على زمن الماضي وهذا واضح من خلال السياق، لأن عطاء الله تعالى ومنعه قديم بقدم صفاته سبحانه.

ومن ذلك ايضاً قوله عليه السلام: «**مِنَّتُكَ ابْتِدَاءٌ وَعَفْوُكَ تَفَضُّلٌ وَعُقُوبَتُكَ عَـدْلٌ وَقَضَاؤُكَ خِيَرَةٌ إنْ أَعْطَيْتَ لَمْ تَشُبْ عَطَآءَكَ بِمَنٍّ وَإنْ مَنَعْتَ لَمْ يَكُنْ مَنْعُكَ تَعَدِّيا**»(١).

وقد عبر الإمام عليه السلام عن عطايا الله تعالى ونعمه على العباد بالفعل الماضي (أعطى)، وعن حجب تلك النعم والعطايا بالفعل الماضي (منعَ)، وهما من الأفعال المسندة إلى ذات الله سبحانه فهو المعطي والمانع. لذا جاء التقابل مسبوقاً بهذه النعم والمنن لله تعالى من خلال التمدح بصفات البارئ بقوله: «**مِنَّتُكَ ابْتِدَاءٌ، وَعَفْوُكَ تَفَضُّلٌ، وَعُقُوبَتُكَ عَـدْلٌ، وَقَضَاؤُكَ خِيَرَةٌ**»(٢) مشيراً إلى أن الله تعالى يمن على العبد رحمةً منه وان كان من العاصين، ويعفو تفضلاً منه لا استحقاقاً للعفو عن العبد وهذا ما دلت عليه صيغة القول الماضي، فقد دل على زمن الماضي العام، وكما يشير إلى أجمل صفة من صفات البارئ وهي (عدله)، ويلحظ أن الإمام عليه السلام قد أخر صفة العدل بعد المنة والعفو، لأن العبد لا يطالب الله تعالى بعدله

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٣٨.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٣٨.

وإنما برحمته وعفوه، إذ البارئ لو جازى العبد بعدله لاستحق العقاب وإنما يجازيه بعفوه ليدخله في رحمته.

ومن هنا نجد في هذا النص إيحاءً معنوياً بالدلالة على الرضا بما أعطى الله - تعالى - وما منع، وهذا الرضا جاء من يقين راسخ عند العبد العارف، أن الله تعالى إن أعطى لم ينتظر مقابلاً منه، وإن منع فلم يكن منعه تجاوزاً على حقوقه - حاشاه - بل لحكمة هو يدركها سبحانه.

ويلاحظ من خلال النص أن هذا المنهج في الأدعية دأب عليه الإمام السجاد عليه السلام، وهو منهج تأديبي أخلاقي حرص على إبرازه في كثير من نصوص الصحيفة السجادية وقد أراد أن يبين من خلال السياق أن الإنسان عليه أن لا يفتن بما وهب الله لغيره فتحول هذه الظاهرة إلى الحسد الذي نهى عنه.

ويلحظ أن الإمام عليه السلام قدم الفعل الماضي (أعطى) على الفعل الماضي (منع)، ولعل تقديم الإعطاء على المنع قائم على الأصل، إذ هو سبحانه الكريم وعطاؤهُ سابق لمنعه، فإعطاؤه ومنعه عن العباد لحكمه يعلمها - سبحانه - ، لأنه اعلم بأحوال العباد وكان لأسلوب الشرط الذي ورد فيه سياق الدعاء بأحوال العباد دلالة على أن عطايا الله - سبحانه - مستمرة على هذا النهج لا تتحدد بزمن، بل تستوعب الأزمنة الماضية والأزمنة الحاضرة والمستقبلة[١]

ب - قال الإمام السجاد عليه السلام : «**أَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي فَتَرَكْتُ وَنَهَيْتَنِي فَرَكِبْتُ وَسَوَّلَ لِيَ الْخَطَأَ خَاطِرُ السُّوءِ فَفَرَّطْتُ**»[٢] ورد التقابل بين الفعلين

---

(١) ينظر: التقابل الدلالي في نهج البلاغة: ١٠٧.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٠٣، ينظر: ٧٥، ١٦١، ١٠، ٣٥، ٩٥، ٨١.

(أمر) و(نهي) في هذا النص من الصحيفة السجادية على صيغة الزمن الماضي (فَعلَ)، ليعبر بهما الإمام عليه السلام عن الاعتراف بالذنب، بترك أوامر الله تعالى وإرتكابه نواهيه.

والذي يبدو من خلال النص أن الإمام لم يشر إلى المأمور به والمنهي عنه وهذا العموم يفيد العموم الاستفراقي لكل أوامر الله تعالى وكل نواهيه - الأوامر يجب أن تطاع والنواهي يجب أن تجتنب - .

وعلى الرغم من أن الفعلين على صيغة (فَعلَ) الماضية، إلَا أن الإمام عليه السلام قصد من المقابلة بين الفعلين زمن المستقبل لورود الفعلين بعد (إن)، لبيان إن عدم الأخذ بأوامر الله تعالى ونواهيه حال استمرارية للإنسان صاحب النفس الأمارة بالسوء، مشيراً بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]، لكونها محبةً للدنيا وزخرفها، وأراد الإمام عليه السلام أن يشير إلى أن طريق الحق صعب الوصول إليه، والأصعب البقاء عليه من خلال الالتزام بأوامر البارئ واجتناب نواهيه، ولعل سبب تقديم فعل الأمر على النهي، من باب تقديم اداء الحق على ترك الباطل، إذ إن جميع أوامر الله تعالى هي حق واجب، والأخذ بنواهي الله تعالى هو باطل لذلك عبر عن النهي بالركوب، أي بيان حال التعمد في الأخذ بنواهي الله تعالى وقصد العمل به.

ت - قال الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه إذا اعتدي عليه فلا يستجير إلَا بالله: «**يَا مَنْ قَرُبَتْ نُصْرَتُهُ مِنَ الْمَظْلُومِينَ وَيَا مَنْ بَعُدَ عَوْنُهُ عَنِ الظَّالِمِينَ**»[١]، في هذا النص نجد أن الإمام عليه السلام يقابل بين القرب والبعد، في سياق الحديث عن قدرة الله - سبحانه - وعدله، فقد ورد

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٤٢، ينظر: ١٠٨.

الفعلان بالصيغة الماضية المجردة للتعبير عن دلالة قصد إليها الإمام السجاد في حديثه، هي أن الله تعالى هو المطلع على عباده، فهو يسمع دعاء المظلوم والمتعرض للأذى والمقهور في مقام الاستضعاف ويهيء أسباب التخفيف عنه، ويمنع نصره ويحجبه عن الظالم، لذلك جاءت الدلالة الزمانية لكلا الفعلين دالة على الماضي العام، إذ نصر الله للمظلوم في كل آن وحين، وبعد عونه عن الظالم والمتجبر كذلك.

ونلمح أن الإمام عليه السلام قد وظف أسلوب النداء - الذي شغل مساحة واضحة في النصوص السجادية - توظيفاً ينم عن وعي المستخدم، ففي استخدام أداة النداء وتكرارها دلالة توحي بالإعلان عن الخضوع والتضرع والتوسع والاعتراف بالعجز والضعف دون مساندة البارئ سبحانه مما يوحي للمتلقي - مستثمراً المد الزمني الذي يوفره حرف النداء (يا) من جهة، وما يقدمه التكرار من تواصل شعوري متناغم في استمرار عون الله تعالى للعباد من خلال قربه ونصرته للمظلومين، وبعد عونه وفضله عن الظالمين(١).

وإن اختيار الإمام للفعل (قرب) و(بعد) الماضي اللازم ودلالة هذا الوزن على السجايا والصفات كان مقصوداً يريد به التوسل والخضوع للبارئ، وهذا التضرع دليل بيان قدرة الله تعالى وتمكنه من تلبية حاجات عباده، وفيه بيان (ضمني) لرحمته - سبحانه - التي تبعث الأمل عند صاحب الدعاء في الاستزادة منه.

ث - قال الإمام سيد العارفين عليه السلام في دعائه إذا دُفع عنه ما يَحْذر أو عجّل له مطلبه: «**وَإنْ يَكُنْ مَا ظَلِلْتُ فِيهِ أَوْ بِتُّ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْعَافِيَةِ بَيْنَ يَدَيْ**

(١) ينظر الصحيفة السجادية (دراسة أسلوبية): ٦٩.

بَلاء لَا يَنْقَطِعُ، وَوِزْر لَا يَرْتَفِعُ فَقَدِّمْ لِي مَا أَخَّرْتَ وَأَخِّرْ عَنّي مَا قَدَّمْتَ»[١]
يبدو من خلال النظر في النص أن التقابل جاء بين فعلين من الأفعال التي تدل على الحركة أو السير، بأن يكون احدهما يدل على حركة من نوع ما، وباتجاه معين، في حين يدل الآخر على النقيض من تلك الحركة أو ذلك الاتجاه.

فقد جاء التقابل بين (قدّمت) و(أخّرت) بالصيغة الماضية المضعفة للدلالة على المبالغة والتكثير[٢] في بيان حكمة الله تعالى وعدله، وورود الفعلين في سياق جواب فعل الأمر، لبيان أن سبب تأخير السلامة والعافية في الدنيا إلى يوم امتحانه طويل، ومكروهه عسير وأثقاله لا تُطاق إلَا بحول الله سبحانه وقدرته[٣].

فإن مدلول الفعلين في هذا السياق يشير إلى حركة تقابلية، فالفعل (قدّم) يدل على الحركة والسير، ومدلول الفعل (آخر) يدل على السكون وعدم الحركة، وقد جسد الإمام زين العابدين عليه السلام الحالة الحسية، المتمثلة في الحركة والسكون، قاصداً دلالة معنوية أخرى، هي أن تأخير الخير ليوم طويل وحسابه عسير على العبد، ولعلمه لحاجته لهذا الخير في ذلك اليوم المهول لذلك جاءت الدلالة الزمانية للفعلين دالة على المستقبل إذ إن تقديم الأمور وتأخيرها تتم على وفق إرادة الله - سبحانه - وحكمته لمعرفته المطلقة في تصريف أحوال العباد وأرزاقهم.

ج - قال الإمام السجاد عليه السلام عند التضرع لله تعالى بأن يوفقه للتسليم

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٥٦، ينظر: ٧، ١٠٩.
(٢) ينظر: ابنية الأفعال: ٤٨.
(٣) ينظر: بحوث في الصحيفة السجادية: ١٦٦/٢.

المطلق له - تعالى - في أموره جميعاً حتى يكون حبه لله وكرهه لله سبحانه:

«وَلَا تَجْعَلْ حَظِّي مِنْ رَحْمَتِكَ مَا عَجَّلْتَ لِي مِنْ عَافِيَتِكَ فَأَكُونَ قَدْ شَقِيتُ بِمَا أَحْبَبْتُ وَسَعِدَ غَيْرِي بِمَا كَرِهْتُ»[(١)].

الحب والكره من أكثر الأمور ارتباطا بالنفس الإنسانية، فالحب في الأصل يعني (الوداد، يقال أحبَهُ، فهو محبوب)[(٢)]، ليقابله بالكره و(هو المكروه، يقال أكرهته، أي: حملته على أمر وهو كاره)[(٣)]، وحين ننظر إلى ما ورد في هذا النص نجد أن الإمام قد استعمل الفعلين (أحب، وكره) معبراً بهما عن موقفه تجاه البارئ تعالى.

وقد وظف الإمام التقابل بين هذين الفعلين للدلالة على الدعاء والطلب، والذي يتضح من خلال السياق الذي ورد فيه الفعلان المتقابلان، أن النهي قد خرج إلى أسلوب الدعاء (لا تجعل...) فالإمام عليه السلام لم يكن يقصد عند مقابلته بين الفعلين (أحب، وكره) الدلالة النفسية التي تفهم من اللفظين، وإنما قصد أن لا يجعل حظه من الدنيا بدفع ما يجب أن يدفع عنه من البلاء فيشقى هو في الآخرة، ويسعد غيره ممن بقي في البلاء في الدنيا فلم يفته حظ الآخرة الذي هو موجب السعادة الأبديه[(٤)].

والذي بدا لي واضحا من خلال النص أن الإمام السجاد عليه السلام أراد أن يشير إلى النفس الإنسانية في ميلها لأشياء وكرهها لأشياء أخرى وهو

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٥٦، ينظر: ١٠٩.

(٢) العين (حب): ٣/ ٣١.

(٣) العين (كره): ٣/ ٣٧٦.

(٤) ينظر: شرح الصحيفة السجادية: ١٤٥.

جاهل لعاقبتها، بدليل قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ولذلك يجب أن يكون حب الإنسان في كل ما حوله هو حب بما يرضي الله والكره لما يسخط الله، وهذا لا يكون إلا بسعي الإنسان في إدراك ما يحبه البارئ ويكرهه سبحانه، لذا نرى الإمام (سلام الله عليه) يركز على محور يدور حوله التقابل وهو أن لا يكون شقاؤه فيما أحب وسعادة غيره فيما كره.

ح - قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام في دعائه لنفسه: «**وَامْنُنْ عَلَيَّ بِكُلِّ مَا يُصْلِحُنِيْ فِيْ دُنْيَايَ وَآخِرَتِي... أَظْهَرتُ أَوْ أَخْفَيْتُ أَوْ أَعْلَنْتُ أَوْ أَسْرَرْتُ وَاجْعَلْنِي فِي جَمِيعِ ذلِكَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ بِسُؤَالِي إِيَّاكَ**»[1].

يتبين أن هذه الأفعال المتقابلة وردت في سياق الأخبار بإحاطة علمه سبحانه وشموله بما يسر ويُعلن، فهو يعلم ما يخفى وما يظهر من أحوال النفوس وما تكسبه الجوارح من خيرٍ أو شرٍ.

ويلحظ أنه عليه السلام في الدعاء قدم (الإظهار) على (الإخفاء) و(العلن) على (السر)، والمراد الإشارة إلى سعة رحمة الله تعالى، والتي دل عليها حذف المتعلق من كل الأفعال وهو (المفعول به)، فقد افاد هذا الحذف معنى الاطلاق في سعة علمه تعالى، وأنه يعلم كل صغيرة وكبيرة.

ويلحظ مجيء التقابل بين (اظهر) و(أخفى) و(أعلن) و(اسر)، وربما جاء هذا التكرار من باب تأكيد سعة علم الله تعالى وقدرته على معرفة ما يختلج في الصدور، لأنه ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [طه: ٧]، فالإمام السجاد عليه السلام لما سأل البارئ ما سأل استشعر بأن حوائج العباد كثيرة لا يحصيها البيان فاستدرك بقوله «فامْنُنْ علي... إلى آخره»، لأن الله تعالى

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٨٢، ينظر: ١٤٦.

يعلم ما ينفع الإنسان في دنياه وآخرته سواء ذكره في دعائه أو نسيه، أظهرهُ أو أخفاه، أعلنهُ أو أسره، أو في كل ذلك للتنويع[١]

والذي يتضح أن الإمام قد أورد التقابل بين الفعلين (اظهر، وأخفى) والفعلين (أعلن واسر) ليعبر من خلال هذا التقابل عن نوازع النفس الإنسانية التي تحاول من خلال أعمالها إظهار ما تريد إظهاره، وإخفاء ما تريد اخفاءه وهي جاهلة أو متجاهلة بأن الله يعلم ما في نفس الإنسان من دواخل أظهرها أو أخفاها - أعلنها أو أسرها - وتتضح النزعة الوعظية في هذا السياق فضلاً عن النزعة التعليمية بأن الإنسان عليه أن لا يكون جاهلاً بإرادة الله وقدرته.

خ - قال الإمام سيد العارفين عليه السلام في دعائه لمكارم الأخلاق: **«أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَحَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ... وَالقَوْلِ بِالْحَقِّ وَإنْ عَزَّ وَاسْتِقْلَالِ الخَيْرِ وَإنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَاسْتِكْثَارِ الشَّرِّ وَإنْ قَلَّ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي»**[٢]، نلمح في هذا النص ورود التقابل بين الفعلين (كَثُرَ) و(قلَّ) بالصيغة الماضية المجردة للدلالة على مقدارٍ من الكمية، يقال الكثرة نقيض القلّة[٣] وهو معظم الشيء، مقدماً فيها الفعل (كَثُر) على الفعل (قلَّ)، وذلك مما أوجبه سياق الدعاء، لبيان أهمية القول، إذ لما

---

(١) قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ أي ما أسررته إلى غيرك، وشيئاً اخفى من ذلك، وهو ما خطر ببالك من غير أن تتفوه به أصلاً، فلا يبعد أن يكون قصد الإمام السجاد عليه السلام في قوله: (أظهرت أو احفيتُ) أي ما أظهرته على لساني وتفوهّت به أو ما اخفيته مخطراً له ببالك من غير أن تتفوه به أصلاً.
ينظر: لوامع الانوار العرشية: ٣/ ٥٧٥، ينظر: رياض السالكين: ٤/ ١٢٧.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٦١، ينظر: ٧٧ - ٧٨.

(٣) ينظر: العين (كثر): ٥/ ٣٤٨.

كان القول أعظم تأثيراً من الفعل لبلوغه ما لا يبلغ الفعل ولعمومه من كلّ وجه. لأن آلته التي هي اللسان لها تصرف في كل موجود ومعدوم بخلاف الفعل، فإن كل جارحة سوى اللسان لها فعل مخصوص، فهو أقل من القول لذلك ذُكر الفعل دون القول(١).

لذلك كان القول هو الرابط بين العبد وربه، من خلال دعائه للباري والتضرع إليه، وحتى عند قيامه بالعمل يحتاج إلى القول لما له من اثر واضح، مشيراً لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧].

ومن الجدير بالذكر أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قد يورد في نص من نصوص الصحيفة السجادية ثنائيات تقابلية بين الأفعال بصيغة الماضي للدلالة على معانٍ متعددة تدل على سعة المعنى، منها قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ في سياق الدعاء: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أنْ خَلَقْتَ فَسَوَّيْتْ وقدَّرتَ وقَضَيت وأمت وأحييت وأمرضْتَ وشفيت وعافيت وأبليت، وعلى العرش استويت، وعلى الملك احتويت**»(٢) يتضح من خلال النص أن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ يقابل بين عدة أفعال:

---

(١) يناسب هذا المعنى قول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذّب به شيئاً من الجوارح، فيقول: أي ربَ عذبتني بعذابٍ لم تعذب به شيئاً! فيقال له: خرجت منك كلمةٌ فبلغت مشارق الارض ومغاربها، فسفك بها الدم الحرام، وانتهب بها الفرج الحرام وعزتي لأعذبنك بعذابٍ لا أُعذب به شيئاً» ينظر: بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار: للشيخ محمد باقر المجلسي، ط٢، مؤسسة الوفاء للطباعة، بيروت-لبنان، ١٤٠٣هـ. ١٩٨٣م: ٦٨/ ٣٠٤:، ينظر: رياض السالكين: ٣/ ٣٥٣.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة ٢٠٨.

أمتَّ، أحييت، أمرضت، شفيت، عافيت، أبليت

وجاءت المقابلة بين هذه الأفعال في سياق بيان شمول قدرة البارئ تعالى وتصرفه في شؤون العباد، فهذه الأفعال لا تصدر إلَا عنه، فهو وحده الذي يخلق ويحيي ويميت ويمرض ويشفي، لأن قدرته - سبحانه - مطلقة، لذا جاءت الأفعال المتقابلة لتبين عظيم القدرة الإلهية وشمول العلم الإلهي.

ويلاحظ من خلال النص تقديم الفعل الماضي (امت) على (احييت) و(أمرضت) على (شفيت) و(عافيت) على (أبليت) والذي جاء ملائماً لسياق النص، فتقديم الموت على الحياة فيه دلالة على عظمة قدرة الله وهو أن يخلق من الميت أشياء حيه، لأن الله تعالى خلق الإنسان من عدم، واختلف في المقصود: فقيل كونهم أمواتاً في أصلاب آبائهم ثم أحياهم، وقيل لأنهم ماتوا في الدنيا، ثم أحياهم في القبر للمسائلة[١].

وقدم المرض على الشفاء وما فيه من دلالة على قدرة الله في انزال الرحمة على عبده بعد ان يبتليه بالمرض كما فعل مع سيدنا أيوب ﵇ ومع الإمام السجاد نفسه، وكذلك تقديم العافية على البلاء وما فيه من دلالة على أن العافية هي محل الاختبار، لأن الله تعالى حين يعافي شخصاً ما يجعلهُ محط اختبار، لذا جاء تقديم العافية في هذا السياق لبيان قدرة الله المطلقة، لأن البارئ خلق الإنسان في أحسن صورة وفق إحكام واتساق، دلالة على أنه صنعهُ حكيم وبذلك دلت الأفعال على دلالة زمانية مجردة من الزمن تماماً، لأنها افعال مطلقة لأنها ثوابت (صفات) في الذات الالهية، ولما كانت الذات الالهية مطلقة الوجود كانت صفاتها مطلقة أيضاً.

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥/ ١٩٢.

ومن هنا يتضح ان الافعال المسندة إلى الله تعالى مهما كانت بنيتها الصياغية صارفة إلىززمن الماضي فهي مصروفة في حقيقتها من أي زمن ومجردة للاطلاق في كل الازمنة عموماً بلا استثناء، لأنها جاءت مبينة قدرة الله وواسع علمه الذي يتجاوز الماضي والحاضر ليمتدا إلى أبعد من ذلك، وإلى المستقبل(١).

٢ - التقابل الدلالي بين الأفعال الدالة على الحال والاستقبال:

ويراد به تقابل بين فعلين يكون طرف كل منهما مضارعاً، ويعرف الفعل المضارع (بأنه ما يعقب في صورة الهمزة والنون والتاء والياء وذلك قولك للمخاطب أو الغائبة تفعل وللغائب يفعل وللمتكلم أفعل وله إذا كان معه غيره واحداً أو جماعة نفعل وتسمى الزوائد الأربع ويشترك فيه الحاضر والمستقبل واللام في قولك إن زيداً ليفعل مخلصة للحال كالسين أو سوف للاستقبال وبدخولهما عليه قد ضارع الاسم فأعرب بالرفع والنصب والجزم مكان الجر)(٢).

ومعنى المضارع في اللغة - المشابه - والمراد أنه ضارع الأسماء أي شابهها فسمي فعلاً مضارعاً، لمضارعته الاسم في حركاته وسكناته ودخول لام الابتداء(٣)، ويدل الفعل المضارع على الحال عند تجرده من القرائن،

---

(١) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٢١.

(٢) شرح المفصل: ٦/٧، ينظر: المقتضب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ت (٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، لجنة احياء التراث العربي، القاهرة، ١٣٨٦هـ: ٢/ ٢-٣، ينظر: المفصل في علم العربية: للإمام أبي القاسم الزمخشري، وبذيله كتاب المفضل في شرح أبيات المفصل: للسيد محمد النعساني، ط١، المكتبة المصرية، صيدا - بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م: ٢١٠.

(٣) (المضارع) مصطلح استعمله علماء البصرة لشبه بالاسم من حيث قبوله علامات =

لأنه ليس للحال صيغة تخصه كما أنه يتعين زمنه للحال إذا اقترن بكلمة تفيد ذلك مثل: كلمة (الآن) و(الحين) و(الساعة) و(الحال) أو نفي (بليس) أو ما أو إن[١] أو دخلتهُ لام الابتداء[٢] لذا قيل المضارع: (ما دل على حدث في زمن التكلم في المستقبل، وذلك لإن الاصل فيه ان يكون دالاً على الحال، لكن لحظة الحال قصيرة جداً وممتدة في المستقبل، بحيث يَعدُّ المستقبل امتداداً له، الأمر الذي رأوا معه امتداد زمن المضارع فيه)[٣]، وينصرف إلى المستقبل إذا اقترن بأدوات النصب (لن وإذن وأن أو بظرف من الظروف مثل إذا)[٤] أو اسند إلى شيء متوقع حصوله في المستقبل كقولك: يدخل الشهداء الجنة مع السابقين[٥] أو اتصلت به مثل السين وسوف وغير وغداً وغيرها.

= الإعراب، في حين أن الكوفيين أسموه (المستقبل) إشارة للدلالة الزمانية، كما استعملوا (يفعل) للإشارة إلى صيغته، ينظر: معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ت(٢٠٧)هـ، تح: محمد علي النجار وآخرون، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠١هـ - ١٩٨٣م: ١/ ٣٩، ٥٤، ٦٠، ٧٥، ينظر: الفعل وزمانه: ١٨.

(١) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع في علم العربية: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، عني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة، بيروت، لبنان ١/ ٨، ينظر: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: لجمال الدين ابن هشام الانصاري ت(٧٦١) هـ، حققه وعلق عليه: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الافغاني، قم، ط١، دمشق ١٩٦٤م، ط٢، بيروت، ١٩٦٩م، ط٥، بيروت، ١٩٧٩م: ١/ ٢٥١.

(٢) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٥-٦٦، ينظر شرح الكافية: لمحمد بن الحسن الرضي الاسترابادي، مطبعة استانبول: ٢/ ٨٥٦، ٢٣١.

(٣) ينظر: كتاب الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل: ٨٨.

(٤) ينظر شرح الكافية: ٢/ ٢١٨.

(٥) ينظر: إسناد الفعل (دراسة في النحو العربي): رسمية محمد المباح، رسالة ماجستير/ =

ومثلما وجدنا في المبحث السابق تقابلاً دلالياً بين الأفعال بصيغة الماضي في الصحيفة السجادية، نجد الإمام عليه السلام يقابل بين طائفة من الأفعال المضارعة مستفيداً مما تؤديه هذه الصيغ من دلالة زمانية في الحال والاستقبال فضلاً عما تحمله من شحنات دلالية في المعنى تستمدها من السياقات التي ترد فيها.

وقد استعمل الإمام طائفة من الأفعال المتقابلة بصيغة المضارع كـ (ينمي ويعفي، يقدم ويؤخر، يحب ويكره، يأمن ويخاف، يزيد وينقص. . . .)[١] للدلالة على دوام قدرة البارئ تعالى وشمول استمرارها على العباد.

وسوف نقف فيما يأتي عند طائفة من هذه الأفعال التي قابل فيها الإمام عليه السلام بين الصيغ المضارعة:

أ - قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «**وَأَمَرْتَ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَالانْتِهَآءِ عِنْدَ نَهْيِهِ، وَأَلَّا يَتَقَدَّمَهُ مُتَقَدِّمٌ، وَلَا يَتَأَخَّرَ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ**»[٢] الناظر في النص الذي تقدم ذكره، يجد أن الإمام عليه السلام استعمل الصيغة الدالة على الحال من خلال بناء الفعل المضارع على وزن (يتفعل) وهذه الصيغة فيها دلالة على حركة الزمن فالفعلان (تقدم وتأخر) ترتبط دلالتهما بالزمن، ومن هنا جاءت المقابلة بينهما لترسم لنا صورة القدرة الإلهية القاهرة التي رسمها الإمام عليه السلام من خلال هذا السياق في اثبات الإمامة وجل لكل زمان

= كلية الآداب/ جامعة بغداد م ساعد على نشره المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٥م - ١٣٨٤هـ: ٢٣.

(١) ينظر: الصحيفة السجادية الكاملة: ١٤٨، ١٥٨، ١٠٩، ٨١، ٩٨، ٧، ٢٢.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٥٨ - ١٥٩، ينظر: ١٣٣.

إماماً، لإن الكلام يعم النبي والوصي الذي يكون نفس النبي وباب الله الاعظم والحبل المتين الذي به يرتقى إلى الله تعالى والذي يتقدم عليه متقدم ولا يتأخر عنه متأخر.

ومن هنا يبدو واضحاً أن على الإنسان أن يكون ملتزماً باتساع أوامر الإمام وسلم طريقه، لإنه طريق الحق وأن تتمثل هذه الحالة بصورة مستمرة ودائمة وهذا ما يوحي به السياق الذي استعمل فيه الإمام الفعلين (يتقدم ويتأخر).

ب - قال الإمام عليه السلام: **«وَأَلْهِمْنَا الانْقِيَادَ لِمَا أَوْرَدْتَ عَلَيْنَا مِنْ مَشِيَّتِكَ حَتَّى لَا نُحِبَّ تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ، وَلَا تَعْجِيْلَ مَا أَخَّرْتَ، وَلا نَكْرَهَ مَا أَحْبَبْتَ»**[١].

الحب والكره من الصفات التي ترتبط بالشعور الإنساني وتتنازع في النفس الإنسانية، فالإنسان يحب ويكره على أساس عواطفه وأحاسيسه بعيداً عن النطاق العام للحياة، وعن مراعاة مواقف الآخرين.

ومن هنا نجد الإمام عليه السلام في هذا النص يؤكد أن الحب والكره، لابد من أن يرتكزا على أساس تراعى فيه المقامات الدلالية، فيحب الإنسان ما يريده الله تعالى وما فيه رضاه ويكره ما لا يرضاه سبحانه.

وأن يحب لغيره مثلما يحب لنفسه، ومن هنا تأتي المقابلة بين (نحب ونكره) في هذا السياق على وفق ما يرضاه الله، فالإمام عليه السلام يدعو الله أن يجعل حبنا مرتبطاً بما يحبه وأن يجعل كرهنا مرتبطاً بما يكرهه، فلا نحب تعجيل ما أمر الله بتأخيره ولا نكره ما أراده الله أن يحصل، لذا جاء التقابل بين الصيغتين (يَفْعَل) المضارعة المسبوق بلا النافية، الذي يدل على نفي

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٠٩.

الحال، ودلالة الصيغة على التجدد والحدوث ملائمة لطبيعة الإنسان النفسية، واختلافها في معالجة الأمور حسب الرغبة النفسية، ليتوحد هذا الاختلاف ليصير الحب والكره مرتبطاً بما يرضاه الله تعالى وما لا يرضاه.

ت - قال الإمام السجاد عليه السلام: «**يَا مَنْ يُثْمِرُ الْحَسَنَةَ حَتَّى يُنْمِيَهَا، وَيَتَجَاوَزُ عَنِ السَّيِّئَةِ حَتَّى يُعَفِّيَهَا. انْصَرَفَتِ الامَالُ دُونَ مَدى كَرَمِكَ بِالحَاجَاتِ**»[١] جاء التقابل بين الفعلين (ينمي ويعفي) بالصيغة المضارعة، وأصل الإنماء في اللغة: (نما الشيء ينمو نُموّاً، ونمى نماءاً أيضاً، وأنماه الله، رفعه وزاد فيه إنماء)[٢]، أما الفعل يعفي من (أعفاه من الأمر: برأه، وقد عفيته وأعفيته، وأعفى أثره عفاء: هلك)[٣] ويلاحظ أن ورود التقابل بين الفعلين بصيغة المضارع، لائم السياق في بيان سعة رحمة الله على عباده، وتجدد هذه الرحمة ودوامها حتى يوم القيامة.

ويلحظ أن الإمام عليه السلام قدم الفعل (ينمي) على الفعل (يعفي)، ولعل سبب التقديم جاء على الأصل، إذ هو سبحانه الكريم، وكرمه سابق لتضييقه ومن كرمه أنه يربي الصدقة كما يربي الإنسان الفصيل ويمحو الذنب، وإن اطلعت عليه الملائكة واثبت في الصحائف والألواح[٤].

ويلاحظ شدة تأثير الإمام عليه السلام بالقران الكريم في كل نفس من أنفاس الصحيفة السجادية، ومنه قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٤٨.

(٢) العين (نما): ٨/ ٣٨٥، ينظر: لسان العرب: ١٥/ ٣٤١، ينظر: القاموس المحيط(نما): ٤/ ٣٩٧.

(٣) العين (عفا): ٢/ ٢٥٨، لسان العرب: ١٥/ ٧٢، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ٣٦٤.

(٤) ينظر: نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية: ٣١٨.

ث - قال الإمام زين العباد عليه السلام في سياق الحديث عن الشيطان وكرهه بني آدم: «**وَأَعِذْنِي وَذُرِّيَّتِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.... لَا يَغْفُلُ إِنْ غَفَلْنَا وَلَا يَنْسَى إِنْ نَسِينَا يُؤْمِنُنَا عِقَابَكَ وَيَخَوِّفُنَا بِغَيْرِكَ**»[(١)].

وقال عليه السلام عند دعائه في ذكر التوبة إلى الله «**أللَّهُمَّ وَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ مَا خَالَفَ إِرَادَتَكَ أَوْ زَالَ عَنْ مَحَبَّتِكَ مِنْ خَطَرَاتِ قَلْبِي وَلَحَظَاتِ عَيْنِي وَحِكَايَاتِ لِسَانِي، تَوْبَةً تَسْلَمُ بِهَا كُلُّ جَارِحَة عَلَى حِيَالِهَا مِنْ تَبِعَاتِكَ، وَتَأْمَنُ مِمَّا يَخَافُ الْمُعْتَدُونَ مِنْ أَلِيْمِ سَطَوَاتِكَ**»[(٢)].

الأمن والخوف من الأفعال النفسية التي تدل على الصفات الإنسانية، ويلحظ في الدعاء الأول قابل الإمام عليه السلام بين الفعلين (يؤمن، يخوف) بالصيغة المضارعة دلالتها على التجدد والدوام، لبيان كثرة وجوه الشيطان وتعدد أساليبه في إضلال الإنسان منها، ما يوهم به من الأمن والأمان عند إغضاب الله، وتخويف الإنسان الفقر عند إطاعة الله والإنفاق في سبيله[(٣)].

في حين نلمح إن التقابل في الدعاء الثاني جاء بالصيغة المضارعة بين الفعل (تأمن) المبدوء بتاء المضارع، لأنه خاطب به كل جارحة يمكنه أن يأمن عذاب الله تعالى بالتوبة الخالصة، وقابله بالفعل المضارع (يخاف) المبدوء بياء الغائب، لأنه خص به المعتدين لأنهم المتجاوزون حدود الله وأوامره، فجاء التقابل ملائما للسياق، لأنه يصور سعة رحمة الله في قبول التوبة حتى وإن كان من المعتدين[(٤)].

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٨١ - ٨٢.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٩٨ - ٩٩.

(٣) ينظر: في ظلال الصحيفة السجادية: ٣٣٣.

(٤) ينظر: بحوث في الصحيفة السجادية: ٤/ ٢٥٦.

ج - قال الإمام السجاد عليه السلام: «**وَجَعَلَ لِكُلِّ رُوْحٍ مِنْهُمْ قُوتاً مَعْلُوماً مَقْسُوماً مِنْ رِزْقِهِ لَا يَنْقُصُ مَنْ زادَهُ نَاقِصٌ، وَلَا يَزِيدُ مَنْ نَقَصَ مِنْهُمْ زَائِدٌ**»(١).

في هذا النص نجد الإمام عليه السلام يشير إلى إرادة السماء في تقسيم الأرزاق على أهل الأرض والسماء، فهي تقسم بطريقة لا مثيل لها في عدالتها ودقتها وهذا هو مبدأ السماء الذي أشار إليه القرآن الكريم في أكثر من آية فالله يقسم الرزق بين عباده.

وقد جرى التقابل في هذا النص بين الفعلين (يزيد وينقص) وهما بصيغة المضارع الدالة على الاطلاق والثبات على مر الزمان وقابل بين اسمي الفاعل (ناقص × زائد) وهذه المقابلة تجعل النص كله يحمل دلالة التقابل في مسألة تقسيم الرزق، فقد جعل الله لكل فرد رزقا معلوما لا ينقص عما قدره الله تعالى له ولا يزيد عنه ولا يمكن لأحد أن يزيد فيه أو ينقص إلا بإرادة الله ومن هنا تتضح الدلالة العامة التي أرادها الإمام عليه السلام من هذا النص وهي الإيمان بعدالة السماء في تقسيم الأرزاق وما من قوة في الكون تسلب رزقا قسمه الله لأحد - وهذا هو المبدأ القرآني الذي استمد منه الإمام عليه السلام هذه الفكرة، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾ [النحل: ٧١] وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦].

٣ - التقابل الدلالي بين الأفعال الدالة على الأمر:

ويراد به تقابل لفظتين يكون طرفاهما فعلي أمر، ويعرف - فعل الأمر - بأنه صيغة يطلب بها الفعل من الفاعل، نحو: اضرب... إلى

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٧، ينظر: ١٤٦ المقابلة بين (تفيض) و(تغيض).

آخره[١]، فإن كان الطلب من الأعلى إلى من دونه سمي عند الأصوليين أمرا[٢] وعلامة فعل الأمر هي مجموعة علاقتين معا، لا تستقل إحداهما بالدلالة على نوع الفعل، بل تتضافران معا للدلالة عليه، وهما:

١ - الدلالة على الطلب، اي الرغبة في وقوع شيء ما بعد لحظة المتكلم سواءً كان هذا الوقوع على الفور أم على التراخي.

٢ - صلاحية الكلمة لقبول بعض اللواصق المميزة، وهي ياء المؤنثة للمخاطبة، ونون التوكيد خفيفة أو ثقيلة[٣].

والمميز لهذه المجموعة هو عدم خلو فعل الأمر من علامتيهما معا، إذ لابد من تضمنه معنى الطلب مع صلاحية الفعل - في الوقت ذاته - لاتصال ياء المؤنثة المخاطبة به، أو دخول نون التوكيد في آخره، وإذا لم يكن أي منهما فيه، أو توفر احد الطرفين في الفعل سواء دلالة الطلب أو قبوله ياء المؤنثة المخاطبة، لم يكن هذا من قبيل فعل الأمر.

وقد اختلف الكوفيون والبصريون في جعل فعل الأمر احد أطراف النظرية الثلاثية للزمان، فقد ذهب البصريون إلى إن الفعل ماضٍ ومستقبل وأمر[٤].

أما الكوفيون فقد ابعدوا الأمر من هذا التقسيم ولم يجعلوه قسيماً للماضي والمستقبل[٥].

---

(١) ينظر: شرح المراح في التصريف: ٩٥، ينظر: الكافية الكبرى في علم النحو: ٢٧٤، ينظر: شذا العرف في فن الصرف: ١٦.

(٢) شرح الكافية: ٢/ ١٤٨.

(٣) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ١/ ٧، ينظر: التعريف بالتصريف: ٥٧ - ٥٨، يتظر: معاني النحو: ٤/ ٤١٠ - ٤١١.

(٤) ينظر: الكتاب: ١/ ١٢، يَنظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ١/ ٧.

(٥) ينظر: شرح المفصل: ٧/ ٥٨ و٦١.

ويرى د. إبراهيم السامرائي أن الكوفيين على حق في أبعاد الأمر أن يكون قسيما للماضي والمستقبل وذلك أن (فعل الأمر) طلب وهو حدث كسائر الأفعال غير إن دلالته الزمنية غير واضحة ذلك إن الحدث في هذا (الطلب) غير واقع إلا بعد زمان المتكلم وربما لم يترتب على هذا الطلب أن يقع حدث من الأحداث، ويعلل ذلك في ذهاب النحويين القدامى إلى مسألة شبه النفي وحشروا في هذه المقالة كل أنواع الطلب، ولذا فإنهم رأوا العلاقة الوثيقة بين الحدث الواقع في حيز النفي والحدث الواقع في حيز الطلب وذلك أن كلا منهما غير حادث(١)، وقد تخرج صيغة الأمر من معناها الحقيقي (هو طلب الفعل من الأعلى للأدنى على وجه الإيجاب والإلزام). نحو قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] إلى معان مجازية تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال إذا لم يردها طلب الفعل، كالإباحة، والدعاء، والتهديد، والتوجيه والإرشاد، والتسوية، والالتماس وغيرها من المعاني المجازية(٢).

وقد وردت في الصحيفة السجادية طائفة من المتقابلات بين الصيغ الدالة على الأمر، واغلبها مما خرج عن معناه الحقيقي إلى معان أخرى مثل: الدعاء والرجاء ذلك، أن الصحيفة السجادية مناجاة مع الله سبحانه وتعالى واغلب ما ورد فيها يدخل في باب التوسل والتضرع إلى الله تعالى، ومن هنا فإن صيغ الأمر التي ترد على لسان الإمام عليه السلام في غالبيتها موجه

---

(١) ينظر: الفعل زمانه وأبنيته: ٢١ - ٢٢.

(٢) يتطرق إلى بيان هذه المعاني المجازية لفعل الأمر أكثر كتب البلاغة لشيوعها واستعمالها البلاغي، ينظر: جواهر البلاغة: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: تأليف أحمد بن إبراهيم الهاشمي ت(١٩٤٣)م، طبعة جديدة اعتنت بها: نحوى أنيس ضو، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان: ٥١ - ٥٢.

إلى الله تعالى، وفي هذا السياق لا يمكن أن تبقى على دلالتها الحقيقية بل تخرج إلى الدلالة على الدعاء والالتماس والرجاء وغيرها من المعاني الهامشية لأسلوب الأمر، فقد وردت في (تسعة عشر) موضعا من الصحيفة.

وقد وجدت في الصحيفة السجادية طائفة من الصيغ المتقابلة التي تدل على الأمر ومعانيه الهامشية (أزهق واثبت، انزل واصرف، اجزل واخل أعط وخذ، الهم وجنب) وغيرها[١]، وفيما يأتي أمثلة لما ورد من تقابلات دلالية بصيغة الأمر:

أ - قال الإمام عليه السلام في مناجاته المعروفة بمناجاة المطيعين: «**وأَزهِقْ الباطلِ عن ضمائرنا، وأثبت الحقَّ في سرائِرِنا فإِنَّ الشُّكوك وَالظنُون لواقِحُ الفتن، ومُكدِّرةٌ لصفو المنائح والمنن**»[٢] جاءت المقابلة بين الفعلين (أزهق) و(أثبت) بصيغة الأمر للدلالة على الطلب، والذي خرج من معناه الأصلي (الإلزام والوجوب) إلى معنى الدعاء أو الرجاء، فهو أشبه بالرجاء منه بالدعاء، لأن العبد لا يأمر البارئ تعالى بل يترجاه لهدايته سبيل الحق، من خلال استخدام أسلوب المجاز في التعبير عن الشبهات التي تكون كالمسبب في الانحراف عن جادة الحق، التي تزيل النعم والرحمة عن العباد.

ويلاحظ ملائمة الفعلين للسياق، في استخدام فعل الإزهاق مع الباطل، إذ الإزهاق يقطع على الباطل عودته، فهو في الأصل يعني الاضمحلال والهلاك[٣] في حين استخدم فعل الإثبات للحق، لصعوبة

(١) ينظر الصحيفة السجادية الكاملة ٧٠، ٦٤، ٢٢٧، ١١٢، ٢٥.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٢٧.

(٣) العين (زهق): ٣/٣٦٣، ينظر: لسان العرب: ١٠/١٤٧، ينظر: القاموس المحيط: ٣/٢٤٣.

الوصول إليه والاستمرار فيه. وجاء تقديم إزهاق الباطل على إثبات الحق، لبيان قدرة الباطل على التمثل بصورة الحق والتشبه به.

ويبدو من خلال استعمال الإمام لصيغة (الازهاق) إننا نلمح ظلالاً واضحة من معاني إهلاك الباطل ودحضه بصورة دائمة، وهذا ما توحي به الدلالة اللغوية للفعل (ازهق)، وهو ما ينسجم مع السياق ومع إرادة الله سبحانه وتعالى، لأن الله وبحسب إرادته لا يريد لهذا المسلك أن يتسع ويقوى، ومن هنا يأتي التماس الإمام ورجاؤه منسجماً مع الإرادة الإلهية في ازهاق الباطل واثبات الحق.

ويمكن أن نلمح مثل هذه الضلال في دلالة الفعل (اثبت)، وهو بمعناه اللغوي يدل على الثبات الدائم والاستمرار، وهذه هي إرادة السماء في الأرض أن يثبت فيها الحق ليستمر.

ب - قال الإمام سيد العارفين عليه السلام عند الشدة والجهد وتعسر الأمور: «**أَللَّهُمَّ إِنَّكَ كَلَّفْتَنِي مِنْ نَفْسِي مَا أَنْتَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي، وَقُدْرَتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَيَّ أَغْلَبُ مِنْ قُدْرَتِي، فَأَعْطِنِي مِنْ نَفْسِي مَا يُرْضِيْكَ عَنِّي، وَخُذْ لِنَفْسِكَ رِضَاهَا مِنْ نَفْسِي فِي عَافِيَةٍ**»(١).

العطاء والأخذ من الصيغ المتقابلة في اللغة ويجري التقابل بينهما بمختلف الصيغ الفعلية والاسمية لأداء أغراض دلالية مقصودة تتضح من خلال السياق، وفي الصحيفة السجادية نجد تقابلاً بين هاتين المفردتين بصيغة الماضي (أعطى وأخذ)، والمضارع (يعطي ويأخذ)، والأمر (أعط وخذ) وحين ندقق في النص نجد أن التقابل بين الإعطاء والأخذ قد جرى بصيغة الأمر في سياق الحديث عن النفس الإنسانية ونوازعها،

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٧٠، ينظر: ٦٤.

فالإمام عليه السلام يدعو الله سبحانه أن يعطيه من السيطرة على النفس والهوى ما يدخل في رضا الله تعالى وأن يأخذ ما يرضيه من نفس الإنسان.

ويبدو من خلال السياق أن دلالة هذه المقابلة هي دلالة تدخل في باب المجاز، فهما عطاء وأخذ مجازيان، وقد خرج الأمر هنا إلى صيغة الدعاء، وهو من المعاني التي يخرج إليها الأمر في مثل هذه السياقات، لذا نلاحظ أن الإمام عليه السلام قدم كلمة (اعطني) على كلمة (خُذْ) تأدباً، لإن الله تعالى يعطي ولا يأخذ، والمعنى منك يا الهي العون، والقدرة، ومنّي السمع والطاعة في صحة العمل وإخلاص النية والذي يتضح في السياق استعمال الإمام عليه السلام لفعلي (الأخذ) و(العطاء)، إن الإمام يركز على قدرة الله في عون الإنسان من اجل السيطرة على نوازع النفس الإنسانية الإمارة بالسوء، وقد سلك مسلك الخضوع لإرادة الله سبحانه وتعالى في أعماله، ويأتي تقديم (العطاء) على (الأخذ) لملمح دلالي هو أن الله سبحانه وتعالى أصل العطاء، فهو الذي أعطى كل شيء للإنسان ومكنه من كل شيء ولم يأخذ منه، سوى ما يترتب على هذه النعمة والعطاء من واجب الطاعة والخضوع والإيمان.

ت - قال الإمام السجاد عليه السلام في سياق الحديث عن نعم الله تعالى: **«أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا نَفْعَ هَذِهِ السَّحَائِبِ وَبَرَكَتَهَا، وَاصْرِفْ عَنَّا أَذَاهَا وَمَضَرَّتَهَا»**[1].

الإنزال والصرف من الأفعال الدالة على القدرة الإلهية، وإنه المتصرف الوحيد في هذا الكون، فالإنزال في الأصل: نقل الشيء من أعلى إلى أسفل[2]، ويستعمل في المعاني بوساطة استعماله في الذوات

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١١٢.
(٢) ينظر: العين (نزل): ٧/ ٣٦٧.

الحاملة لها، وعلى هذا فاستعماله في هذا المقام استعارة تصور الإيحاء بالنص في هيئة الإنزال المحسوس لتقرير نزولها من عند الله تعالى، أما الصرف فهو في اللغة: (الصَّرْف: فضلُ الدِّرْهَم في القيمة، والتصَّريف: اشتقاق بعضٍ وتصريف الرِّياحِ: تَصَرُّفُها من وجه إلى وجهٍ، ومن حال إلى حال)[١].

وقد ورد التقابل بين الفعلين (أنزل) و(اصرف) بصيغة الأمر والذي خرج مجازاً لمعنى الدعاء والترجي، إذ صدر من الأدنى إلى الأعلى، فهو يدعو البارئ ويترجاه لدفع أذى هذه الآيات ومضرتها عن العباد، وثبوت الخير الإلهي في نفع ما ينزل منها، لذلك خص نفع هذه السحاب بالبركة، إذ تطلق - البركة - على كل نماءٍ وزيادةٍ وناسب مجيء حر الجر (على) بدلالته على الاستعلاء، في انزال الخير والبركات من السماء، لكون الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصى[٢].

في استعمل حرف الجر (عن) بدلالته على المجاوزة في صرف الاذى والمضرة لما فيه من الحركة والانتقال في ابعاد شر السحائب واذاه عن العباد.

ويمكن أن نلمح من خلال السياق هدفاً قصد الإمام عليه السلام إلى بيانه، هو أن كل شيء خاضع لقدرته وطوع أمره وتصرفه، ومن هذه الأشياء السحاب والبرق، فهما آيتان من آيات القدرة الإلهية، لأنّهما دالتان على المطر، وعلى وحدانيته وقدرته - سبحانه كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الروم: ٢٤].

---

(١) العين (صرف): ٧/ ١٠٩.

(٢) ينظر: لوامع الانوار العرشية: ٤/ ٣٤١.

فقد جعلهما البارئ بين الرحمة تارة، والعقوبة أخرى، وهذا ما توحيه دلالة الفعلين (أنزل) و(أصرف)، إذ يتوقف الإنزال وعدمه على أعمال العباد، والصلة فيما بينهم وإتباعهم لأوامر البارئ ونواهيه، فإذا ما عملوا بما يرضاه تعالى انزل عليهم من الخيرات والبركة مما لا يحصى، أما إذا قابلوا رحمته بالمعصية صرف حالهم من حال الرخاء والنعمة إلى حال البؤس والشدّة فكانت هذه الآيات بمثابة النقمة عليهم إما بصرفه - تعالى - خير هذه الآيات عنهم أو أمطرها مطر السوء والبلاء ليريَهم من وراء ذلك، ضعف قدرتهم وعجزهم وبيان قدرته الإلهية في كل شيء.

ث - قال الإمام السجاد عليه السلام في سياق التذلل لله سبحانه وطلب الخير: «**وَأَجْزِلْ لَنَا فِيهِ مِنَ الْحَسَناتِ وَأَخْلِنَا فِيهِ مِنَ السَّيِّئاتِ. وَامْلأْ لَنَا مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ حَمْداً وَشُكْراً وَأَجْراً وَذُخْراً**»(١).

نجد أن الإمام السجاد عليه السلام يُلَمِحُ من خلال مقابلته بين الفعلين (اجزل) و(اخل) بصيغة الأمر، إلى طبيعة الإنسان فهو يحب الخير والاستزادة منه مشيراً بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨] بدليل ورود (الحسنات) و(السيئات) بصيغة الجمع متصلة بـ (ال) على الاطلاق ودلالتها.

فناسب استخدام الفعل (جزل) في السياق من الاستزادة من الحسنات، لأنه في الأصل: (إذا عظم وغلظ، ثم استعير في العطاء، فقيل: أجزل له في العطاء: إذا وسعه وأكثر منه)(٢)، في حين استخدام

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٥.

(٢) العين (جزل): ٦/ ٦٧، ينظر: لسان العرب (جزل): ١١/ ١٠٩، ينظر: القاموس المحيط (جزل): ٣/ ٣٤٥.

الفعل (اخل) في الخلاص من السيئات، أي: بجعلنا فارغين من السيئات بحسم أسبابها.

ويلاحظ أن الإمام عليه السلام يبين من خلال مقابلته بين الفعلين، تعليم الإنسان أسلوب الدعاء والتضرع لله تعالى في طلب خير الآخرة، وان لا ينسى حظه من الدنيا، فهي - الدنيا - الطريق إلى الجنة أو النار، لذلك أكمل فقرة الدعاء بملء طرفي الدنيا من أوله وآخره، وهو كناية عن جميعه، في الحمد والشكر والأجر، ويكون ذخراً ليوم الفاقة والموقف العظيم.

ومن خلال ما تقدم يتضح أن التقابل بين فعلي الأمر (أجزل) و(اخل) قد خرجا من دلالتها على المعنى الحقيقي (الإلزام والوجوب) إلى معنى الدعاء، إذ صدر من الأدنى إلى الأعلى، فقد اسند فعل الأمر إلى لفظ الجلالة - الضمير أنت - لبيان أن (الإجزال والإخلاء) هي من الله تعالى، فهو يفيض بهما على من يريد من عباده، ويخلي منهما من شاء على وفق إرادته وحكمته سبحانه لذلك اورد (الحسنات) و(السيئات) بصيغة الجمع معرفتين بـ (ال) ودلالتها على الاطلاق لقدرة الله تعالى ومشيئته.

ج - قال الإمام زين العابدين عليه السلام في مناجاته المعروفة بمناجاة المطيعين لله: «**اللَّهُمَّ أَلْهِمْنا طاعتك وجَنِّبْنَا مَعْصَيتك**»[1].

جاء التقابل بين الفعلين (أللهم) و(جَنب) بصيغة الأمر، في سياق التضرع لله تعالى، وبيان أن التوفيق أمرٌ يتوقف عليه سبحانه فهو بـ حسب إرادته وحده وفيض رحمته الواسعة.

ويلاحظ شدة تلاؤم الفعلين في السياق، فاستخدم الفعل (ألهم) في

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٢٧.

طلب الطاعة، إذ الإلهام في الأصل التلقين، يقال: (ألْهَمَهُ الله تعالى خيراً: لقنه إياهُ، واستلهمه إياَه: سأله أن يُلْهمَهُ)[١].

في حين استخدم الفعل (جنِّب) المضعف العين للمعصية، إذ أراد عليه السلام من خلال إيراد فعل المبالغة والتكثير في بيان تقصيره وعظيم فعله في معصيته للخالق، وإن كان ذنبه صغيراً، فهو يوحي بدلالة على الضغط على النفس حتى يمكنها من ترك الذنوب والمعاصي والابتعاد عنها، فحقق بذلك معنى دلالياً مكثفاً يوحي له السياق من خلال اتفاق المعنى اللغوي، لأن المجانبة في اللغة تعني المباعدة.

وبهذا يبدو واضحاً أهمية الرعاية الإلهية للعبد، لأن من لم يوفقه الجليل إلى طريق الحق ويهديه إليه - سبحانه - ، فهو كالضال الذي يتخبط في الضلال، لا يميز بين الجهات، مبتعداً بذلك عن الرحمة الإلهية وطريق الرشاد وتحديد المسالك الصحيحة، فخرجت الصيغة الامرية إلى معنى الدعاء[٢]، في هداية البارئ العبدَ إلى طريق الحق، وإبعاده عن طريق الرذيلة والخطأ، من خلال إسناد ضمير المتكلم (نا) الذي يعود على العبد.



(١) العين (لهم): ٤/ ٥٦، ينظر: لسان العرب: ١٢/ ٥٥٥، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ١٧٨.

(٢) إسناد الفعل (دراسة في النحو العربي): ٣٠.

المبحث الثاني

التقابل المتغاير

ويراد به التقابل بين لفظتين مختلفتي الصيغة، كأن يكون التقابل بين الفعل الماضي والمضارع، أو بين الماضي والأمر، أو أن يقابل بين اسم وفعل، أو بين فعل وتركيب، أو بين فعل ووصف، فيكون التقابل بهذه الحالة على أنواع:

١ - متغاير إفرادي

٢ - متغاير تركيبي إفرادي

٣ - متغاير مزدوج

١ - التغاير الإفرادي:

يقصد بالتغاير الإفرادي ان يقع في السياق تقابل بين صيغتين مختلفتين بين الفعلية والاسمية أو بين زمن الفعل الماضي والمضارع أو المضارع والامر، وقد ورد في الصحيفة السجادية طائفة من الالفاظ المتقابلة تقابلاً متغايراً على مستوى المفردات والتراكيب وسنفصل القول في وجوه هذه المتغايرات المتقابلة:

أ - قال الإمام زين العابدين عليه السلام في سياق الحديث عن رجاء العتق من النار: «**حَمْداً... تَبْيَضُّ بِهِ وُجُوهُنَا إذَا اسْوَدَّتِ الابْشَارُ، حَمْداً نُعْتَقُ بِهِ مِنْ أَلِيمِ نَارِ اللهِ إِلَى كَرِيمِ جِوَارِ اللهِ**»[١].

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٩، ينظر: ١٢٨، ١٠٨ - ١٠٩.

نجد أن الإمام ﷺ قابل بين الفعل المضارع (تَبْيَضُ)، والفعل (اسْوَدَّت)، في إسناد البياض إلى وجوه المؤمنين، والسواد إلى وجوه الكافرين.

واختلف المراد في التقابل بين الفعلين (تبيضُّ) و(اسوَّد)، في السواد والبياض فقد قيل: أنه ظاهر الجلد، أما الوجه خاصة - بقرينة المقابلة - أو جميع البدن، مشيراً بذلك إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

والمراد بالبياض يوم تبيضُّ وجوه الذين ابيضّت قلوبهم اليوم بنور الإيمان والوفاق مع الله، وتسودُّ وجوه الذين اسودّت قلوبهم بالكفر والتفرّق والاختلاف مع الله، وذلك لأنّ الوجوه تحشر بلون القلوب، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩]، أي: يجعل ما في الضمائر على الظاهر فحمل بياض الوجوه وسوادها هنا على الحقيقة(١).

وقيل: حمل بياض الوجوه واسودادها على المجاز، فهو من باب الكناية، إذ كنى عن البياض بالبهجة والسرور وعن السواد بالغم والكآبة(٢) وواضح ان الإمام استعمل السواد والبياض في هذا السياق بمعناهما الحقيقي لتأثر الإمام ﷺ بالسياق القرآني، فقد اجمع المفسرون على ان الوجه الأول وهو المراد وهو الأشهر(٣).

وبالرغم من الاختلاف في تحديد معنى البياض والسواد كانت الدلالة الزمانية لكلا الفعلين ملائمة لوصف ذلك المشهد العظيم، فإسناد صيغة

---

(١) ينظر: الكشاف: ١/ ٣٣٩، ينظر: مجمع البيان: ٢/ ٤٨٤ - ٤٨٥.

(٢) ينظر: المفردات (سود): ٢٤٦.

(٣) ينظر: الكشاف: ١/ ٣٣٩، ينظر: مجمع البيان: ٢/ ٤٨٤ - ٤٨٥، التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٢٦.

المضارع المضعف إلى المؤمنين، لوصف صورة ذلك البياض وتجدده واستمراره في المؤمنين، في حين اسند صيغة الماضي التي خرجت إلى زمن المستقبل لمجيء الفعل بعد الأداة (إذا) دلالة على الاسوداد القاتم في وجوه الكافرين بما كسبوا من أعمال.

ويبدو من خلال ما تقدم في نص الإمام أن التقابل يتسع ليشمل النص بأكمله ويرسم لنا تقابلاً بين صورتين واضحتين في ذلك اليوم، هما صورة البياض الذي يعلو وجوه المؤمنين ثواباً بما قدموه من عمل الحياة الدنيا وما اعتادوا عليه من شكر الله وحمده الدائم. وصورة السواد التي غطت وجوه الكافرين الذين لم يقدموا في دنياهم غير أعمال السوء التي أغضبت الله فأحَلَّ بهم نقمته وعذابه فجاءوا يوم القيامة بوجوه سوداء تصور أعمالهم التي ارتكبوها في الدنيا.

ب - قال الإمام السجاد عليه السلام إذا احزنهُ أمرٌ أو اهمَّتهُ الخطايا: «**أَللَّهُمَّ يَا كَافِيَ الْفَرْدِ الضَعِيْفِ، وَوَاقِيَ الامْرِ الْمَخُوْفِ، أَفْرَدَتْنِي الْخَطَايَا; فَلَا صَاحِبَ مَعِي، وَمَنْ يُؤْمِنُنِي مِنْكَ وَأَنْتَ أَخَفْتَنِي؟ وَمَنْ يُقَوِّيْنِي وَأَنْتَ أَضْعَفْتَنِي**»[(١)].

نجد في النص أن الإمام عليه السلام قد قابل بين ثنائيات دلالية توضح المغزى من الدعاء، فقد قابل بين الفعل المضارع (يؤمن)، والفعل الماضي المزيد (أخفت)، وبين الفعل المضارع (يقوَي) المضعف العين للدلالة على المبالغة والتكثير[(٢)] والفعل الماضي المزيد (اضعف) بصيغة (أفعل) للدلالة على الطلب حقيقة، ضمن أسلوب الاستفهام من خلال إسناد صيغة المضارع إلى اسم الاستفهام المتقدم للدلالة على استمرار حاجة الإنسان

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٦٧.
(٢) ينظر: أبنية الفعل: ٤٨.

إلى الله تعالى، في حين اسند صيغة الماضي (افعل) إلى الله تعالى بدلالته على الماضي المطلق، لبيان أن قدرته تعالى مطلقة وأنه هو الذي يقوي ويضعف وهو الذي يؤمن وهو الذي يخيف.

فجاءت الدلالة الزمانية بالرغم من اختلاف الصيغتين، دالة على الاطلاق، إذ كلا التقابلين يقود النفس الإنسانية إلى الاعتراف بقدرة الله المطلقة في كل جزيئة من جزيئات هذا الكون الفسيح.

يتضح من خلال هذه التقابلات الثنائية بهذه الصيغ المتغايرة

يؤمن ـــ أخاف

يقوي ـــ اضعف

أن طرفي المعادلة متغايران أيضاً فالفعلان الواردان بصيغة المضارع (يؤمن) و(يقوى) بنيا على سياق الاستفهام ذلك أن هذه الأمور مرتبطة بالله سبحانه وتعالى، فلا يمكن للشخص أن يكون في موضع الأمن إلَا بإرادة الله، ولا يمكن أن يكون في موضع القوة إلَا بإرادة الله، ومن هنا جاء استعمال صيغتي المضارع للدلالة على الاستمرار وبيان أن لا احد غير الله يستطيع أن يفعل ذلك.

أما الفعلان (أخاف، واضعف) فقد وردا بصيغة الماضي المزيد فقد اسندت إلى لفظ الجلالة، فهو الذي يخيف ولا أحد يؤمن من خوفه، وهو الذي يُضعف ولا أحد يمنح القوة غيره.

ويعبر الإمام في نص آخر من نصوص الصحيفة السجادية عن (الخوف) بـ(الوجل)، فالوجل في الأصل: (الخوف، يقال: رجلٌ وجلٌ، إذا قلق ولم يطمئن)[1] في مقابلته عليه السلام بين الفعلين (أوجل) الماضي

---

(١) العين (وجل): ٢/ ١٨٢، ينظر: لسان العرب: ١١/ ٧٢٢.

المزيد و(يؤمن) المضارع، في دعائه عند ذكر التوبة وسؤالها من البارئ جل وعلا: «**أَللَّهُمَّ لَا خَفِيرَ لِي مِنْكَ فَلْيَخْفُرْنِيْ عِزُّكَ، وَلا شَفِيعَ لِيْ إِلَيْكَ فَلْيَشْفَعْ لِي فَضْلُكَ، وَقَدْ أَوْجَلَتْنِي خَطَايَايَ فَلْيُؤْمِنِّي عَفْوُكَ**»[١].

قابل الإمام بين فعلين من الأفعال التي تمثل حال شعورية تنتاب الإنسان ويستشعر بها في موقف ما، قابل بين (اوجل) و(يؤمن)، ولأن الخوف والأمن هنا من الله تعالى، فهو يمثل أشرف أنواع الخوف، إذ هو عليه السلام يخاطب رب العزّة، مانح كل شيء في الحياة وبعد الممات، لذلك اسند الإمام عليه السلام الفعل الماضي إلى الخطايا ودلالته على الماضي القريب، لورود الفعل بعد (قد)، إذ يدل على علّمه بأنه لا يغفر الذنب إلّا الله تعالى، في حين اسند صيغة (يفعل) إلى عفو الله سبحانه ودلالته على الاستمرار والديمومة في شمول العفو منه، أبلغ في التعبير، إذ الله تعالى هو المجير الذي يسمع ويجيب القلب العابد، ويرى ارتعاد الفرائص لتوقع نزول العقاب لما اقترن بالعبد من الذنوب[٢].

ويتضح من خلال تغاير الصيغتين بيان صورة متكاملة، يتراءى فيها طرفان، الطرف الأول العبد العاجز المسكين الذليل الذي لا يجد من يؤمن روعه ويغفر ذنوبه إلّا خالقه ولذلك اسند الصيغة الماضية بدلالتها على الماضي القريب إلى الخطايا، لطول أمله وبعده في رحمة الله وإنها تدركه أينما كان وحيثما فعل.

أما الطرف الثاني هو الخالق الواهب الذي إن منح أحداً من البشر لا يستطيع أحد في هذه الدنيا أن يسلبه اياه، فهو الذي يؤمن عبده ويحفظه من

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٩٩.

(٢) ينظر: بحوث في الصحيفة السجادية: ٤/٢٦٢.

كل شر، وهكذا نجد الإمام في اغلب ادعيته ينهج هذا المنهج في التذلل والخضوع لله والاعتراف بالعجز والضعف إزاء آلاء الخالق ونعمه، ليعلم الداعي كيفية التحدث مع الله سبحانه وتعالى.

ت - قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام في مناجاة التائبين: «**إلهي إنْ كان قبحَ الذَّنبُ من عَبْدك فليحسن العفو من عِنْدك**»[(١)]، حين ننظر في هذا النص الذي بناه الإمام عليه السلام على أسلوب الشرط، نجد أنه يقابل بين الفعلين (قَبُحَ) بصيغة الماضي و(يحسن) بصيغة المضارع الذي دخل في معنى الطلب من خلال اقترانه بلام الطلب التي خرجت إلى معنى الدعاء.

ويلحظ ورود الفعل (قبح) الماضي في سياق (كان) التي تحمل دلالة على الزمن الماضي وقد وضعت فعلاً للشرط مما اكسبها دلالة جديدة منحتها إياها أداة الشرط وهي الدلالة على الاستقبال، وجاء الفعل (قبح) في دلالته على اقتران حياة الإنسان في كثير من مواردها على الأفعال السيئة، ومن هنا جاءت المقابلة بين القبح المستمر من عمل الإنسان وبين الدعاء للاحسان المستمر من جانب الرب، إذ هو - تعالى - واسع المغفرة دائم التوبة لعباده. ويبدو من خلال سياق هذا النص أن الإمام قصد من هذا التقابل بين صيغتي:

قبح = يحسن

وهما فعلان من أفعال السجايا التي تتصف باللزوم وكلاهما على وزن (فَعُلَ) في حال الماضي أن يبين بأسلوب تعليمي، أن الإنسان معرض لاقتراف الذنوب والافعال السيئة المخالفة بما يمارسه الشيطان من إغواء في الحياة الدنيا، ومن هنا فهو يلتمس بأسلوب الدعاء أن يحسن العفو من

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢١٦، ينظر: ٢٢٠، ٢١٩.

الله وهو الغفور الكريم مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

ث - قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَلا تَرْفَعْنِي فِيْ النَّاسِ دَرَجَةً إلّا حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا**»[١].

نلمح في هذا التقابل بين الفعل المضارع (ترفع) والفعل الماضي (حطّ)، أن الإمام عليه السلام قد خرج بهما من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي للتعبير عن حالة نفسية معينة، فالارتفاع والانحطاط هنا ليس على وجه الحقيقة، بل استعملت مجازاً ليعبر بهما عن المكانة والمنزلة في سياق حديثه عن مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال.

إذ الرفعة في الأصل: (رفَعْته رَفْعاً فارتفع وبرقٌ رافع، أي: ساطع، والرَّفْعُ نقيضُ الخَفْضِ، ثم صار يقال للمنزلة يقال: رَفُع الرّجلُ رفاعةً فهو رفيعٌ إذا شَرُف)[٢].

أما الحط فهو من: (وَضْعُ الأَحمال عن الدَّوالبِّ، والحَطّ: الحَدْرُ من العُلوِّ)[٣].

وقد ورد الفعلان في سياق الحصر من خلاله أراد الإمام عليه السلام التعبير عن فكرة واضحة هي الطلب من الله سبحانه وتعالى ان يمنحه التواضع بدلا من الكبر الذي يصيب الإنسان حين تكبر مكانته امام الناس، فجاءت الدلالة الزمنية لكلا الفعلين (ترفع) (وحططت) دالة على المستقبل لورود النهي والاستثناء، فالمراد من التقابل بيان تضرع الإمام أن لا يرفعه فيما بين الناس درجة في حال من الاحوال إلَا حال حطه - سبحانه - له في

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٥٩.

(٢) العين (رفع): ٢/ ١٢٥.

(٣) العين (حط): ٣/ ١٨.

نفسه حطا مثل تلك الدرجة في المقدار، حتى لا يكون معجبا بنفسه فيصير ذلك سببا لهلاكه، ويتضح لنا أن هذا هو المغزى الدلالي الاخلاقي الذي يؤكدهُ الإمام في كثير من ادعيته، لأنه اراد منها ان تتخذ منحى تعليميا يفيد منه المسلمون.

ويتبين من هذا الاختيار ان الإمام السجاد أراد إحداث أثر نفسي، واثارة مشاعر الذلة والتواضع في جنب الله تعالى، إذ التكبر هي صفة الجليل وحده فهو المتكبر الجبار، وليس للعبد العاجز ان يتخذ هذه الصفة لنفسه، ففاقد الشيء لا يعطيه.

ج - قال الإمام زين العابدين عليه السلام في سياق الدعاء «**وَأَقِمْ بِهِ كِتَابَكَ وَحُدُودَكَ، وَشَرَائِعَكَ وَسُنَنَ رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَحْيِ بِهِ مَا أَمَاتَهُ الظَّالِمُونَ مِنْ مَعَالِمِ دِينِكَ**»[1].

قابل الإمام عليه السلام في هذا النص بين فعل الامر(أحي) وبين الفعل الماضي (امات)، حيث لاءم مجيء الفعلين السياق للتعبير عن قصد الإمام الخفي، في خروج فعل الامر من دلالة الالزام إلى معنى مجازي هو الرجاء من خلال الدعاء بالاحياء لتكمل صيغة (افعل) الماضية الدلالة بعد انتشار الظلم والفساد في الدين لأن الفعل (مات) المجرد يأتي مسنداً إلى الفاعل من جهة وقوعه منه وليس على جهة قيامه به، يقال: مات الرجلُ، فيعرب الرجل فاعلاً مع أن الفاعل الحقيقي للحدث هو الله سبحانه، لذا تزاد همزة النقل (أمات) فينتقل الاسناد إلى الفاعل الحقيقي[2].

يلاحظ ان الإمام عليه السلام قد استعمل الصيغة الامرية الدالة على الدعاء في قوله و(أحْي) واسندها إلى البارئ سبحانه، ليبين ان الحفاظ على

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٥٩.

(٢) ينظر: أبنية الافعال: ١٣٦.

الكتاب واحياء الشرائع بأمر من الله تعالى، لذا اسند الفعل إليه سبحانه، فهو المحيي لكل شيء، وهو الحامي لكل شيء ومن هنا جاء توجه الإمام السجاد عليه السلام بصيغة الامر الخارجة إلى معنى الدعاء إلى الله، فالاحياء والاماتة هي من فعل الله تعالى وحده وطلب الإمام الحفاظ على الكتاب وسنته من المحو والاضمحلال، هو كالانقاذ من الموت، أو كالاحياء بعد الموت.

في حين استعمل الفعل (امات) بصيغة الماضي واسنده إلى الظالمين، وفيه دلالة على ما احدثه زعماء القوم، وامراؤهم الغاصبون للإمارة من تحريف في الكتاب والسنن والشرائع، إذ أزادوا فيه وانقصوا بما يلائم حكمهم وقيام دولتهم، ولهذا أسندت الاماتة إلى الظالمين مجازاً، إذ ان الاحياء والاماتة هي من فعل الله الواحد القهار، وصح اسنادها إلى غيره تعالى، لأنها خرجت من معناها الحقيقي إلى معنى آخر هو الزيادة في تطبيق احكام كتاب الله والنقصان.

ح - قال الإمام السجاد عليه السلام في دعائه إذا عرضت له مهمة أو نزل به كرب: «**وَقَدْ نَزَلَ بِي يا رَبِّ مَا قَدْ تَكَأَدَنيَّ ثِقْلُهُ، وَأَلَمَّ بِي مَا قَدْ بَهَظَنِي حَمْلُهُ، وَبِقُدْرَتِكَ أَوْرَدْتَهُ عَلَيَّ وَبِسُلْطَانِكَ وَجَّهْتَهُ إليَّ. فَلَا مُصْدِرَ لِمَا أَوْرَدْتَ، وَلَا صَارِفَ لِمَا وَجَّهْتَ، وَلَا فَاتِحَ لِمَا أَغْلَقْتَ، وَلَا مُغْلِقَ لِمَا فَتَحْتَ، وَلَا مُيَسِّرَ لِمَا عَسَّرْتَ، وَلَا نَاصِرَ لِمَنْ خَذَلْتَ**»[١].

نلمح في هذا النص تقابلاً متغايراً من نوع آخر فقد ورد التقابل بين فعل ووصف ويحمل هذا النص سلسلة من التقابلات المتغايرة في سياق النفي عند تضرع الإمام عليه السلام في حال نزلت به ملّمة عند الكرب، فقد قابل بين الفعل الماضي واسم الفاعل:

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٨.

مُصْـدِر ـــــ أَوْرَدْتَ

صارف ـــــ وجهت

فـاتـح ـــــ أغلقت

مـيَسّر ـــــ عسّرت

نـاصر ـــــ خَذَلْتَ

ويلحظ انه ﷺ قابل بين الفعل الماضي واسم الفاعل، ولم يقابله بالفعل المناظر له في الصيغة، وانما قابله بالوصف في قوله (صارف) و(فاتح) و(مغلق) إنما وردت على المشتق اسم الفاعل لتدخل عليها (لا) النافية للجنس لتفيد نفي العموم، أي تنفي كل صارف عما وجهه الله وكل فاتح عما اغلقه الله وهذا الوجه أقرب إلى غاية الإمام ﷺ وغرضه من التعبير، في ان اسم الفاعل أفاد دلالة الثبوت، فالمراد من التقابل بيان ان هذه الصفات راسخة في ذات الله تعالى، وهي تعني القدرة المطلقة له سبحانه، فليس كائن في الأرض أو السماء يملك العزم أو الفعل إلَا بمشيئة الله تعالى، إذ الاستجابة لإرادته تكون مطلقة في كل آن ومكان[١].

وجاء تقديم اسم الفاعل على الفعل الماضي، لإن سياق الحديث ورد عن الذات الإلهية المقدسة، وقدرته سبحانه في هذا الكون، لذلك وقوع الأفعال بالصيغة الماضية دل على الزمن المطلق.

والذي يبدو واضحا من بناء النص الذي هو عبارة عن مجموعة من المتقابلات المتغايرة، أراد الإمام ﷺ من خلالها التعبير عن فكرة محددة

(١) ينظر: لوامع الانوار العرشية: ٢/ ٤٢٠-٤٢١، ينظر: بحوث في الصحيفة السجادية: ٢/ ٨٩.

هي أن الله تعالى وقدرته فوق كل شيء فلا راد لما أمر ولا ناصر لمن خذل ولا ميسر لما عسر ولا صارف لما وجّه.

وللأسباب المذكور آنفاً يلحظ كثرة اقتباس الإمام السجاد عليه السلام من القرآن الكريم أو تضمين ادعيته الشريفة معنى من معانيه، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

٢ - التغاير الإفرادي التركيبي:

ويراد به تقابل بين طرفين احدهما قد يكون فعلاً أو اسماً والطرف الآخر يكون تركيباً ويلاحظ قلة ورود هذا النوع من التقابل المتغاير في الصحيفة السجادية، ومما ورد فيها:

أ - الفعل والمركب الإضافي:

يرد هذا النوع من التقابل المتغاير في الصحيفة السجادية في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في سياق التضرع لله تعالى: **«ونَبِّهنِي من رقدة الغافلين»**[1].

ويتضح من النص أن الإمام عليه السلام قد قابل بين فعل الأمر (نبَّه) والمركب الاضافي (رَقدة الغافلين)، فالتنبه في اللغة: (النُّبْهُ: الانتباه من النوم، تقول: نَبهتُهُ وانْبَهتُهُ من النَوم، ونبَّهتُهُ من الغفلة)[2] اما الرقدة في الأصل تعني (النوم بالليل، والرَقْدَةُ ايضاً: هَمْدَة ما بين الدنيا

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٦٤، ينظر: ٥٣، ٦٦.

(٢) العين (نبه): ٤/٥٩ - ٦٠.

والاخرة)[١] ولا يمكن الفصل بين المتضايفين (رقدة الغافلين)، لإنها كالكلمة الواحدة فهما يقابلان الفعل.

ويلاحظ اتخاذ صيغة الامر دلالة خاصة في الصحيفة السجادية بخروجه عن المعنى الحقيقي إلى معنى الدعاء. فقد قصد الإمام عليه السلام من وراء اسناد صيغة الامر إلى الله تعالى التعبير عن حال فريدة من التضرع والخضوع والاقتراب من الله تعالى، لأن صاحب الدعاء موقن بكرم الله تعالى ولطفه بعباده.

ويكشف الدعاء عن صورة مروعة من سهو العبد عن ذكر ربه بحيث يكون في نوم عميق، وهذا ما تؤكده دلالة اسم الفاعل على الثبوت في قوله (رقدة الغافلين) إذ يكون لاهياً بالحياة وزخرفها وملذاتها عن ذكر الله تعالى وخص (رقدة الغافلين) لأن العبادة انما تكون في الليل حين تهدأ الانفس وتنام الاعين وهذا يضفي على العبارات تركيزاً معنوياً ودلالياً ليتنبه العبد لربّه ويجعله حريصاً على العمل من اجل تجنب امثال تلك المهالك.

لذا قيل كما إن أول النوم النعاس، يغفل عن الأمر، فكذلك المسرف في أمر الله والمخذول عن نصرته في سنةٍ ونعاس لغفلتهما عن الآخرة والطاعة والحذر من العقاب والمعصية، فإضافة (الرقدة) إلى (الغافلين) من باب الاستعارة التبعية بتشبيه الحالة التي هم عليها من عدم التنبه والتيقظ - بالأحوال المذكورة بجامع الذهول والانقطاع عن معرفة ما يضّر وينفع[٢].

ب - الاسم وشبه الجملة (الجار والمجرور):

ورد تقابل المتغاير في الصحيفة السجادية بنمط آخر، هو التقابل بين

---

(١) العين (رقد): ٥/ ١١٥.

(٢) ينظر: لوامع الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: ٥/ ٣٣٢.

الاسم وشبه الجملة، وهو قليل الورود في الصحيفة السجادية منه، في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: «**فلولا سَتْرُك عَوْرَتي لكُنْتُ من المفْضَوحين ويا مُؤَيِّدِي بالنَصرِ فلولا نَصْرُك إِيَّاي لكنُتُ من المغلوبين**»[(١)].

في هذا النص نجد الإمام عليه السلام بناه على تقابلات دلالية اختلف طرفاها، إذ نجد الطرف الأول يتمثل بالصيغة الاسمية، في حين يتألف الطرف الثاني من بنية مؤلفة من حرف جر واسم مجرور وهو ما يطلق عليه (شبه الجملة).

سترك ـــ من المفضوحين

نصرك ـــ من المغلوبين

ويبدو من خلال هذه التراكيب أن الستر والنصر قد اضيفت إلى ضمير الكاف الذي يدل على الله سبحانه وتعالى، وهذا يعني أن العبد يستمد الستر والنصر من الله سبحانه، فهو الساتر وهو الناصر دون غيره، لذا نجد رحمة الله سبحانه حاضرة فلولا لطف الله به وستره على قبيح العمل، ونصره في مواطن الخلل لحصل ما يناقض هذا، فيكون الإنسان مفضوحاً بادياً عوراته وسيئاته ويكون مغلوباً مهزوماً فيما يقدم عليه، لذلك استعمل الإمام (صيغة اسم المفعول) في حديثه عن العبد، لمالها - الصيغة - من دلالة هامشية على الضعف، إذ هو - الإنسان - الذي يقع عليه الفعل.

ويتضح مما تقدم ان هدف الإمام من خلال هذا الأسلوب، هو رسم صورة واضحة امام العبد تتجسد فيها حاجة العبد مهما أوتي من مكانة وقوة وسطوة إلى الله تعالى، وهذا هو الأسلوب التعليمي الذي دأب الإمام عليه السلام في نشره في ادعيته في الصحيفة السجادية.

---

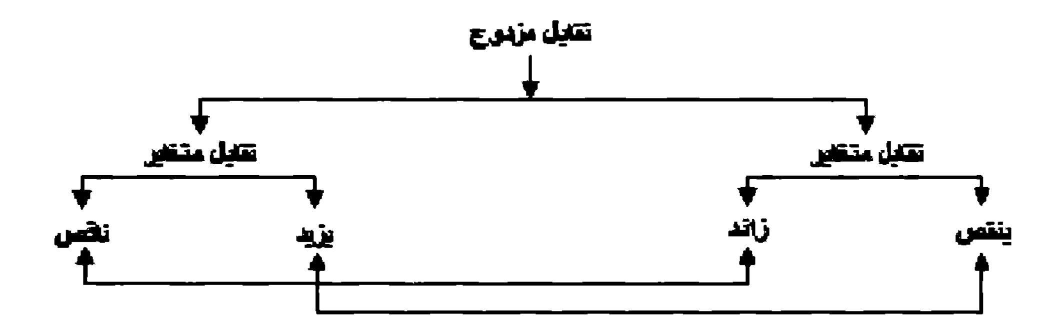
(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٦٤.

٣ - التقابل المتغاير المزدوج

ويقصد به : (أن يضم التعبير لونين من التقابل المتغاير في نسق واحد وسياق واحد، فيكون في ازدواجهما اغناء لدلالة النص وتعبيراً موفياً عن المعنى)[١].

١- يرد هذا النوع من التقابل - التغاير المزدوج - في الصحيفة السجادية، في دعاء الإمام السجاد عليه السلام في التذلل لله عزَّ وجل، معتمداً فيه أسلوب النفي: «**وَجَعَلَ لِكُلِّ رُوْح مِنْهُمْ قُوتاً مَعْلُوماً مَقْسُوماً مِنْ رِزْقِهِ لَا يَنْقُصُ مَنْ زادَهُ نَاقِصٌ، وَلَا يَزِيدُ مَنْ نَقَصَ مِنْهُمْ زَائِدٌ**»[٢].

قابل بين الفعل المضارع (ينقص) واسم الفاعل (زائد) من جهة، كما قابل بين الفعل المضارع (يزيد) واسم الفاعل (ناقص) من جهة أُخرى، وقابل بين الفعلين (ينقص) و(يزيد) من جهة ثالثة، كما قابل بين الوصفين (ناقص) و(زائد) من جهة رابعة، فأصبح التقابل مزدوجاً باحتوائه على تقابلين متغايرين، ويمكن بيان التقابل في المخطط الآتي:



(١) التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٧٤ .

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٧.

ويلحظ انه عليه السلام أورد الفعل بصيغة المضارع ليفيد استمرار قدرة الباريء تعالى بأن جعل لكل إنسان رزقاً معلوماً لا يستطيع أن يزيده زائد أو أن ينقص منه ناقص، على حين أورد ما يقابله بصيغة اسم الفاعل ليفيد الدوام والثبوت الذي يستغرق الحاضر إلى المستقبل.

ويلحظ اعتماد الإمام السجاد عليه السلام الحذف في قوله (لا تنقص من زاده ناقص)، في حين عدل في مقابلته إلى ذكر شبه الجملة (منهم) في قوله (لا يزيد من نقص منهم زائد)، وهذا ما دعت إليه الضرورة الدلالية إذ العبارة الأولى تدل على تفضله تعالى على جميع خلقه دون استثناء، ولما كان الإنعام تشمل جميع الخلق فلا قدرة لإي مخلوق على الإنقاص مما أفاضه الله تعالى على عباده، فيما كان ذكر (منهم) في العبارة الثانية دالاً على بعضية من يلحقهم القبض من الله تعالى، لإنه ينقص بعض الناس في الحظ والمال والصحة، فمن كتب الله عليه شيئاً من ذلك لا قدرة لأي أحدٍ أن يغنيه أو يعطيه[1].

وبهذا يتضح لنا أن هدف الإمام من وراء هذا النص بيان القدرة لله الواحد، فهو المتصرف باحوال العباد وارزاقهم، يقدر بحكمته كيف يشاء، ومتى يشاء فلا يستطيع إحد من الخلق ان ينقص ما زاده الله تعالى أو ان يزيد ما أنقصه الله سبحانه.

فيفيد التقابل بيان أنَ كل حيٍّ يستوفي رزقه بالكامل قبل موته، فلا يحرم شيئاً مما هو له، ولا يُرزق ما ليس له، وفي ضوء هذا من كون الأرزاق مقسمة بإرادة الله فعلام يصطرع الناس ويتحاسدون ويتباغضون.

٢ - قال الإمام زين العابدين عليه السلام إذا أعرضت له مهمة أو نزلت به

---

(١) ينظر: الصحيفة السجادية (دراسة أسلوبية): ٨١.

مُلِمَة وعند الكرب: «**قَدْ نَزَلَ بِي يا رَبِّ مَا قَدْ تَكَأَدَنِيَّ ثِقْلُهُ، وَأَلَمَّ بِي مَا قَدْ بَهَظَنِي حَمْلُهُ، وَبِقُدْرَتِكَ أَوْرَدْتَهُ عَلَيَّ وَبِسُلْطَانِكَ وَجَّهْتَهُ إِلَيَّ. فَلَا مُصْدِرَ لِمَا أَوْرَدْتَ، وَلَا صَارِفَ لِمَا وَجَّهْتَ، وَلَا فَاتِحَ لِمَا أَغْلَقْتَ، وَلَا مُغْلِقَ لِمَا فَتَحْتَ. . .**»[١].

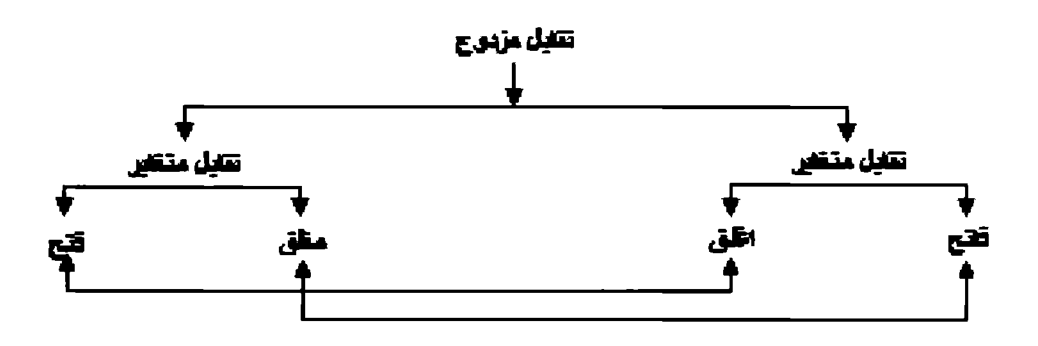
نلمح من خلال النظر في النص أن الإمام قد اورد نوعاً من التقابل المزدوج وذلك باحتوائه على تقابلين متغايرين وعلى تقابلين متوافقين، مع اختلاف الفاعل، فالفاعل في الفعلين (اغلق) و(فتح) هو الله سبحانه وتعالى، أما الفاعل في الوصفين (فاتح) و(مغلق) فهو كل ما دون البارئ سبحانه.

ليبين حقيقة واحدة هي التأكيد على قدرة الله المطلقة في ادارة امور الدنيا فلا يحدث شيء إلَا برضاه سبحانه.

وبهذا فقد دلت الأفعال الواردة بصيغة الماضي (اغلق، فتح) على زمن الماضي المطلقة، لبيان قدرة البارئ سبحانه في تصرفه بكل شيء، يعضدها دلالة صلة الموصول التي هي تفصيل لإجمال الاسم الموصول وقد دلت على بيان ارادة الله سبحانه في كل شيء فهو المتصرف الوحيد في العالم بشؤون عباده واحوالهم، ليقابله بصيغة اسم الفاعل بدلالته على الثبوت، إذ انه تعالى إذا ما اغلق باباً من ابواب الفرج أو الرحمة بما كسبت الايدي لا يستطيع أحد أن يطرّقه إلَا بمشيئته وعفوه، واذا ما فتح الله تعالى باباً من ابواب العذاب فلا يقدر احد على غلقه وصرف اذاه إلَا الله عز وجل، فهي اذن مقابلة بين القدرة المطلقة لله سبحانه وتعالى، وبين ثبوت العجز والضعف لغيره تعالى.

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٨، ينظر: ١٠٩، ٧.

ويمكن بيان التقابل في الدعاء بالمخطط الآتي:



ومن امثلة التقابل المتغاير قول الإمام السجاد عليه السلام يصف فيه إيثار النبي صلى الله عليه وآله: «... **وَحَارَبَ فِي رِضَاكَ أَسْرَتَهُ وَقَطَعَ فِيْ إحْياءِ دِينِكَ رَحِمَهُ وَاقصَى الادْنَيْنَ عَلَى جُحُودِهِمْ، وَقَرَّبَ الاقْصَيْنَ عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ**»[1].

ويتضح من النص أن الإمام عليه السلام قد قابل بين الفعل الماضي (أقصى) واسم التفضيل (الادنين) بصيغة الجمع من جهة، وبين الفعل الماضي المضعف العين (قرَب) للدلالة على المبالغة واسم التفضيل (الاقصين) بصيغة الجمع من جهة ثانية، وقابل بين الفعلين بصيغة الماضي (اقصى) و(قرَب) من جهة، وبين اسمي التفضيل (الادنين) و(الاقصين).

ويلاحظ انه في مقابلته اسند الفعل الماضي إلى الرسول الكريم (صلى الله عليه واله) لبيان عظيم ما ضحى به صلى الله عليه وآله في سبيل إحقاق الحق واثبات

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٢، ينظر: ١٣.

الدين، ويلاحظ ما لاسمي التفضيل (الادنين، والأقصين) من دلالة توحي بحجم هذا القرب والبعد، فهو قد أبعد في سبيل الله تعالى، والدّين ذوي الرحم من أهله وقرباته ممن أنكر واستكبر واظهر الكفر بآيات الله تعالى وقرب الأبعدين عنه في النسب والمستضعفين ممن أعلن تصديقه بالنبوة وتدل صيغة الفعل (قَرَّب) (فعَّل) المشدد العين مدى هذا التقريب منه فهو يدل على شدة القرب وتكراره غير مرة وذلك تأسيساً على قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ليس لشيء إلَا، لأنهم عملوا بما أمر البارئ سبحانه، فتتضح من خلال هذه الصورة ملامح عظم شخصية الرسول والتضحيات الكبيرة التي بذلها في سبيل رب العزة.

والذي بدا واضحاً من خلال إيراد هذا النوع من التقابل المتغاير، ان السياق في هذه الفقرة من الدعاء ينبئ عن حركة أفقية متصفة بالاستمرار والتموج المتتابع باتجاهين متعاكسين (أقصى × قرب) و(الأدنى × الأقصى)، وقد كان التوحيد والإيمان بالله تعالى يمثل البؤرة التي تتقاطع عندها أقطاب المقابلة، ذلك لأن إقصاء الأقارب في سبيل الله يؤكد حتمية تقريب الأباعد للغرض ذاته فمن ذلك يتضح لنا أن البعد الدلالي لمثل هذه المقابلة يقوم على أساس تأكيد أحد طرفيها للآخر وتقويته.

المبحث الثالث

تقابل الايقاع

يورد هذا النوع من التقابل الباحث عبد الكريم محمد حافظ العبيدي في رسالته الموسومة «التقابل الدلالي في اللغة العربية» معللاً ذلك بطغيان الموسيقى والايقاع المنغم في الكلام العربي(١).

ويراد به (تقابل بين الكلام الذي فيه طراوة وحلاوة في الكلام تنساب برقة وعذوبة وبين كلام فيه قوة وغلظة تشحن الكلام بجو من التهديد والوعيد وما ذلك إلّا لتوافر الايقاع الموسيقي في الالفاظ والعبارات)(٢).

ويتجلى هذا النوع من التقابل الذي يعبر عن قدرة بلاغية في الصحيفة السجادية، من خلال استثمار الوظيفة الصوتية التي تظهر تجلياتها عن طريق تمكّن المنشىء في الكشف عن العلاقة بين الصوت والمعنى(٣) وذلك بتحقيق التوافق بينهما عن طريق ربط الفكر بالايقاع الغني للكلمات والذي من شأنه ان يجعل لهذه الكلمات وقعاً نفسياً مؤثراً في ذهن المتلقي(٤).

---

(١) ينظر: التقابل الدلالي في اللغة العربية: ٩٣-٩٤.

(٢) التقابل الدلالي في اللغة العربية: ٩٣.

(٣) ينظر: تحولات النص - بحوث ومقالات في النقد الأدبي: د. إبراهيم خليل، ط١، منشورات وزارة الثقافة، عمان المملكة الأردنية الهاشمية، ١٩٩٩: ١١٧.

(٤) تشريح النص - مقاربات تشريحية لنصوص شعرّية معاصرة: لعبد الله محمد الغذّامي، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٦: ١٠٧.

لإن (أثر الكلمة الملفوظة لا يتحدد في إثارة حاسة السمع، وانما في اثارة الجوانب الروحية الكامنة في ذات الإنسان أيضاً)[(١)].

منها قول الإمام زين العابدين عليه السلام في مرضي الأفعال: «**أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَتَوِّجْنِي بِالْكِفَايَةِ، وَسُمْنِي حُسْنَ الْوِلايَةِ، وَهَبْ لِيْ صِدْقَ الْهِدَايَةِ، وَلا تَفْتِنِّي بِالسَّعَةِ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الدَّعَةِ، وَلا تَجْعَلْ عَيْشِي كَدّاً كَدّاً، وَلَا تَرُدَّ دُعَائِي عَلَيَّ رَدّاً; فَإِنِّي لا أَجْعَلُ لَكَ ضِدّاً وَلا أَدْعُو مَعَكَ نِدّاً**»[(٢)].

ففي الدعاء يصف لنا عليه السلام نوعين من الحياة من خلال عرضه لمشهد تصويري رائع سخَّر له ما يمتلكه من ثراء معجمي بانتقاء ألفاظ في غاية الحساسية ليقدم صورة نابضة بالحركة المعبرة، فالحياة الأولى يتضرع بان يجعله - تعالى - فيها يزهو بالهيبة والوقار بين الناس بالاستغناء عنهم، وبحسن النصر ودوام السلام وثبات الايمان ورسوخ الهدى، ويتضح هذا المعنى من خلال استخدام صوت السين الذي يبرز صداه لما فيه من همس ورخاوة[(٣)] في «سُمْنِي» و«حُسْنَ»، الذي يدل على العذوبة والرقة في التضرع لله تعالى، ثم مجيء (الياء) في نهاية كل مقطع «الكفاية، الولاية، الهداية»، وهو صوت يحصل معه تضييق لمجرى الهواء[(٤)] يتبعه صوت (التاء) الذي ينحبس عنده الهواء ثم ينفجر[(٥)]، فهذا التعاقب بين الانفتاح

(١) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠: ٣١٠.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة، ٦٤-٦٥.

(٣) ينظر: علم الاصوات اللغوية، د. مناف مهدي الموسوي، ط٣، دار الكتب العلمية، بغداد، ١٤١٩هـ - ٢٠٠٧م: ٦٧.

(٤) ينظر: م.ن: ٦٠-٦١.

(٥) ينظر: سر صناعة الاعراب: لابي الفتح عثمان ابن جني، تح: د.حسن هنداوي، =

والانغلاق في حركة الهواء وتوقفه عند المدارج الصوتية في نطق الكلمة يتناسب مع حركة تلك الحياة التي تنعم بالخير والرفاهية، لينتقل بنا إلى الحياة الثانية التي تمثل التعب وانعدام الراحة والمعاناة في طلب الرزق والالحاح في محاولة الشيء وردّ الدعاء في غلق باب الاستجابة ليؤول إلى نتيجة حتمية، هي أن في كلتا الحالين يشهر إقراره بالتوحيد والاعتقاد جازماً بالربوبية واستحالة وجود كفؤ لله تعالى، مستخدماً في نهاية كل مقطع الدال المشددة «كدًّا، ردّا، ضدّا، نِدّا» لشدته ما يحقق الدال من (لهجة ايقاعية عالية ونبرة حادة)[١]، والتي تدل على استمرار الحركة وتكرارها ليتناسب مع التعبير عن المبالغة في رسم ضنك تلك العيشة وما يلفها من تعب واعياء، لذلك كان انتقاؤها تخصيصاً لما فيه من قوة ذاتية في التعبير عن تلك المعيشة.

والعبرة تكمن في اختيار صيغ معبرة عن المعنى من خلال اشباع العبارة اشباعاً موسيقياً مستأنساً آخذين في الاعتبار ما للدال من جهرية[٢]، وهذا يضفي على البنية التركيبة المعتمدة، ايقاعية مائزة تدعم التواصل السمعي والذهني[٣].

ومما ورد في الصحيفة السجادية من التقابل الايقاعي قول الإمام السجاد عليه السلام في دعاء يوم الاثنين، قارن فيها بين يومين: «**اللّهُمَّ اجعل**

= ط٣، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م: ١/ ٦٠-٦١، ينظر مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان، دار الثقافة - القاهرة، ١٤٠٠-١٩٧٩: ١٠٣.

(١) تحولات النص - بحوث ومقالات في النص الأدبي: ١٢٠.

(٢) ينظر: الاصوات اللغوية: إبراهيم اينس، ط٣، مكتبة الانجلو المصرية مصر، ١٩٩٩: ٢٢.

(٣) ينظر: المناجيات وادعية الايام (دراسة اسلوبية): ٤٠.

أَوّلَ يومِي هذا صلاحاً، وأَوْسَطَهُ فلاحاً وآخرهُ نجاحاً وأعُوذُ بِكَ من يومٍ أَوَّلُهُ فزعٌ وأوسطه جزعٌ، وآخرُهُ وجع»[(١)].

فلا يخفى ما في هذه الفقرة من الدعاء من طرافة تصوير، ودقة معانٍ، يفصح عن ذلك الاستعمال الدقيق للمفردة، يسهم في رسم الدلالة في الذهن، من خلال توالي الاصوات في الكلمة المفردة، وذلك باختيارها اختياراً يكاد يكون مقصوداً؛ لإن الإمام السجاد عليه السلام ينهل من خزين لغوي يُسهل ذلك الاختيار، ففي اليوم الأول يرسم الفوز والفلاح التي يكون عليها الشخص في ذلك الموقف العظيم، ويمثل صوت الحاء الحلقي الرخو المهموس[(٢)] في رسم دقة ذلك الاحساس بالفوز، ويُحضر حال التمسك الشديد بكل ما هو غير معلن، ليكون في يوم الانبعاث حاضراً حضور الجزاء المستحق، وفي حدَّته صورة تقصية أعمال المستحضر، ما ظهر منها وما بطن[(٣)].

ثم مجيء (الالف) بعد صوت (الحاء) في نهاية كل مقطع «صلاحاً، فلاحاً، نجاحاً» اسهم في اكتمال رسم صورة ذلك اليوم، ومآله إلى حياة النعيم، التي تردد اصداؤها في جنبات الوجود التي احتفلت بمجاهدات الصالحين المخلصين بإصرار ومثابرة دائمين، لاوهن فيها، تدّل عليه (الحاء) من خلال رسم صورة التمسك بذلك اليوم[(٤)].

ليبين حال الرضا التي يصل اليها العبد من خلال فوزه بذلك اليوم،

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٠٤.

(٢) ينظر: سر صناعة الاعراب: ١/ ٦٠-٦١.

(٣) ينظر: الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم: د. محمد فريد عبد الله، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر - بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٨م: ٩٨.

(٤) م.ن: ٩٥.

الذي يمثل الرقة والرخاء الذي يفيض بجو التعاطف والسكينة، ثم ينتقل ليصور هول ذلك اليوم من خلال صوت (الزاي) وهو صوت اسناني لثوي مجهور[١]، وتابعة صوت (العين) وهو صوت حلقي رخو مجهور[٢].

إن تعاقب العين بعد الزاي، وكليهما صوت مجهور يسبب احدهما انغلاق المجرى الانفي عند النطق به، والاخر انغلاق المجرى الفمي عند النطق به، كما كان لصفة الصفير الذي يتحلى بها صوت الزاي بخروجه من بين الثنايا وطرف اللسان فينحصر الصوت هناك ويصفر به[٣] ليدّل على كمية الضغط المحيط بالشخص في ذلك الموقف، ولا يخفى ما يحدثه الصفير من صخب[٤] ليصور حال الهلع الشديد والذهول من شدة الموقف، حيث يرسم لنا من وراء هذه المقاطع مشهداً يبيض منه شعر البدن لهيبته وشدته.

فنلاحظ أن كلاً من الدلالة الصوتية والدلالة المعجمية، قد اسهمتا في إثراء النص دلالياً، ليتبين أن الداعي في موقف استذكار الذنوب والعيوب والخطايا، ومن ثم فإن هذا الموقف يتطلب التوسل والخضوع ومداومة السؤال بالتوبة والمغفرة، وبما يوازي تلك الخطايا والذنوب، فكأنما هناك مشهد صوري يُعرض على مخيلة الداعي ومع كل موقف من مواقف هذه الايام، من خلال اعتماد موازنة نفسية مخوفة، فهو في موضع التوبة والقلق

---

(١) ينظر: علم الاصوات اللغوية: ٦٦.

(٢) ينظر: م.ن: ٨٤.

(٣) ينظر: شرح المفصل، ١٠/ ١٣٠، ينظر: مخارج الحروف وصفاتها: أبو الأصبغ السماني الإشبيلي المعروف بابن الطحان ت(٥٦٠ هـ)، تح: د.محمد يعقوب تركستاني، ط١، مركز الصف الالكتروني براج وخطيب وتصميم وإخراج وطباعة، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م: ٩٤.

(٤) ينظر: اللون في القرآن الكريم دراسة (لغوية نحوية دلالية): نضال حسن سلمان، جامعة الكوفة/ كلية التربية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م: ١٣٩.

العميق، ويمكن استشعار ذلك القلق من خلال الايقاع، وكأني بالامام عليه السلام يريد من وراء ذلك حمل الداعي إلى التفكر في أمره، والتدبر في عاقبته[١].

وسيق تقابل الايقاع في دعائه عليه السلام إذا احزنه أمرٌ ما أو أهمته الخطايا:

«أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَلَا تَجْعَلْنِي نَاسِياً لِذِكْرِكَ فِيمَا أَوْلَيْتَنِي، وَلَا غافِلاً لاحْسَانِكَ فِيمَا أَبْلَيْتَنِي، وَلا آيِساً مِنْ إجَابَتِكَ لِي وَإنْ أَبْطَأَتْ عَنِّي فِي سَرَّاءَ كُنْتُ أَوْ ضَرَّاءَ، أَوْ شِدَّة أَوْ رَخَاء، أَوْ عَافِيَة أَوْ بَلاء، أَوْ بُؤْس أَوْ نَعْمَاءَ، أَوْ جِدَة أَوْ لأوَاءَ، أَوْ فَقْر أَوْ غِنىً»[٢].

يكشف لنا النص المتقدم التنوع في اختيار الفاصلة التي اعتمدها الإمام عليه السلام، وهذا التنوع يديم التواصل برغبة تتجدد مع تجدد الايقاع الصوتي المعتمد في تشكيل الفاصلة، لإن (الدعاء يظل اكثر الاشكال التشريعية احتشاداً بإدوات الفن بخاصة الايقاع، ولعل السر الفني وراء ذلك كامن في طبيعة عنصر التلاوة التي يمتاز بها الدعاء عن غيره)[٣].

ويرى الباحث طارق ادريس أن الإمام عليه السلام كان يتفنن في الايقاع السجعي فيكسر رتابة السجعة الواحدة عن طريق تعمد الاختلاف في البنى التركيبة للمقطع الواحد والذي يستشف من هذا التعمد وعي المنشىء لدور الايقاع في ديمومة التواصل وحرصه على عرض افكاره وما يريد ايصاله من دلالات بشكل متوازن مقبول[٤].

فالنص يكشف لنا عن وعي التوظيف الايقاعي، إذ جاء منسجماً

(١) ينظر: المناجيات وأدعية الايام (دراسة اسلوبية): ٣٤.
(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٦٨ - ٦٩.
(٣) الأدب والإسلام: ١٥٧.
(٤) ينظر: المناجيات وأدعية الأيام (دراسة أسلوبية): ٥٠.

معنوياً ومتوافقاً دلالياً مع ثيمة المقطع، فالتلاؤم الصوتي بين الالفاظ يشكل ضرباً من التناغم(١).

من خلال استخدام صوت الهمزة فهو صوت حنجري شديد(٢) ينطق باقفال الاوتار الصوتية إقفالاً ينحبس الهواء خلفهما، ثم ينفجر الهواء عند فتحتهما فجأة(٣)، فهو يتخذ حالات نطقية مختلفة، بين التحقيق والتخفيف والتليين والحذف، وذلك لما تتصف به من الثقل في لسانهم(٤).

فهذه الصفة التي تمتاز بها الهمزة والاختلاف في الحالات النطقية المختلفة في بيان حال السراء والضراء، والشدَّة والرخاء، وبيان صعوبة كلتا الحالين، وانه لا تحدث للانسان إلّا بالتوفيق من عند الله تعالى.

فالانتقال من صورة إلى صورة نقيضة يكشف لنا أن التعرض لإنواع البلاء والضراء والبأساء وصنوف اللأواء(٥) تكسر شدّة النفس وتلطف القلب بكشف حجب صفات النفس، وترقّق كثافات الطبع وترفع غشاوات الهوى، فلذلك ينزع قلوبهم بالطبع إلى مبدئها في تلك الحالة لرجوعها إلى مقتضى فطرتها، في حين إذا توافرت على الناس النعم الظاهرة كالرخاء والمال قويت النفس من جهة المدد السفلية واستطالت قواها بالترفع على القلب وتسلّط الهوى لبعده عن الهيئة النورية(٦).

---

(١) ينظر: جرس الألفاظ: ٢٢٣.

(٢) ينظر: الكتاب: ٤/ ٤٣٤، ينظر: سر صناعة الاعراب: ١/ ٦٠ - ٦١.

(٣) ينظر: علم الأصوات اللغوية: ٨٦.

(٤) ينظر: مباحث في علم اللغة واللسانيات: د.رشيد عبد الرحمن العبيدي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٣: ١٠٥.

(٥) لأولاء: على وزن زهراء ممدوداً، وتعني الشدّة وضيق النفس، ينظر: العين: ك٨/ ٣٧٠.

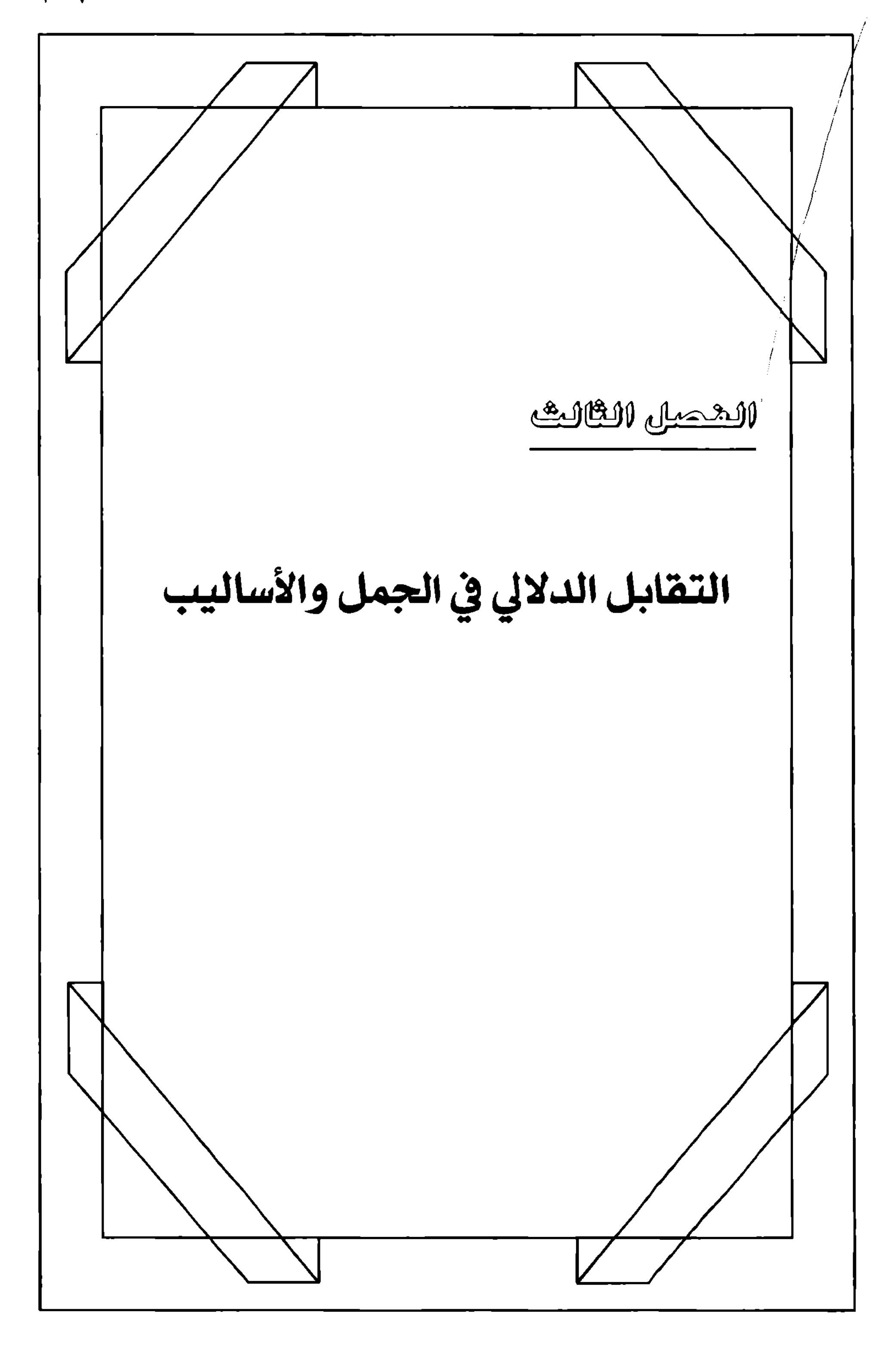
(٦) ينظر: لوامع الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: ٣/ ٤٢٧.

فالامام عليه السلام يريد من الداعي التسليم المطلق في جميع الاحوال والظروف لله تعالى والخضوع لقضائه وقدره، فهو اعلم بنا مّنا.

وهكذا كانت للهندسة البنائية التي اعتمدها الإمام عليه السلام مع مراعاة المقصود لتشابه الفواصل أو اختلافها، أثمرت في خلق وحدات موسيقية يستعذب المتلقي صداها من خلال عرض الصورتين المتناقضتين باهتمامه بالايقاع الصوتي، من خلال توظيف الجرس الصوتي دلالياً، فهو يقوم بوظيفة تكثيف المعنى وتركيز الدلالة[1].



(١) ينظر: شعرنا الحديث إلى أين: د. غالي شكري، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت - لبنان، ط١، ١٩٦٨، وط٢، ١٩٧٨: ٨١.



الفصل الثالث

التقابل الدلالي في الجمل والأساليب

المبحث الأول

التقابل الدلالي في الجمل

يمثل التركيب مجموعة من العلاقات الترابطية القائمة بين الوحدات الكلامية المكونة للقول الأدبي[١] فأصل التركيب من: (ركبّ الشيء: وضع بعضه على بعضٍ، وقد تركّب: وضع بعضه على بعضٍ فَتَركَبَ وتَرَاكَب)[٢] ويستشف من ذلك أن التركيب عملية بنائية قائمة على التنظيم، (فالتركيب لغة الجمع، وعرفاً التأليف، وهو جعل الأشياء المتعددة يُطلق عليها اسم الواحد)[٣] لذا قيل فيه: (ليس النظم إلّا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي

---

(١) ينظر: دليل الدراسات الأسلوبية: جوزيف ميشال شريم، المؤسسة الجامعية، بغداد، ط١، ١٩٨٤م: ٣٩.

(٢) العين (ركب): ٥/ ٣٦٢، ينظر: القاموس المحيط: ١/ ٧٦، ينظر: لسان العرب: ١/ ٤٣٢.

(٣) التعريفات: لعلي بن محمد الجرجاني ت(٨١٦)هـ، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م: ٤٢ - ٤٣، ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون: لمحمد بن علي التهانوي ت(١١١٩)هـ، تح: د. لطفي عبد البديع، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م: ٣/ ١٢، ينظر: أنماط التركيب في العربية، رسالة ماجستير، لعبد الله عوض عمر بن سميط، جامعة بغداد/ كلية الآداب، ١٩٩٩م - ١٤٢٠هـ: ٦، تتبع فيها تعريف التركيب لغة واصطلاحا عند القدماء والمحدثين. .

نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت، فلا تخل بشيء منها)[١].

فالنحو العربي لا يعنى بالصوت وما يرتبط به من آثار لغوية، ولا باللفظة الواحدة وما يتصل بها، وانما يهتم بالكلمة المنسوجة مع الأخرى في تركيب جملي[٢].

ويشترط في التركيب أن يكون تعبيرا عن صور ذهنية والى هذا المعنى يشير د. مهدي المخزومي: (التأليف في الذهن هو ربط الصور الذهنية المفردة بعضها ببعض على نحو تتحقق معه صلة ونسبة بين هذه الصور، فإذا أردنا أن نعبر عن ذلك، أو ننقله إلى ذهن السامع، أو المخاطب، عبرنا عنه بمركب لفظي)[٣]، لإن صواب التأليف يقتضي (وضع الكلام بحيث تتعلق فيه اللفظة بغيرها نحويا، والمقدرة الفنية تتأتى بالنظر إلى الوجوه التي تتصل بما يطرأ على الجملة من تغيير، لإن هذا التغيير يتبعه بالضرورة تغير في الناتج الدلالي)[٤].

إذن وظيفة التراكيب تدور في نقل ما يكون في ذهن المتكلم من صور ذهنية إلى ذهن السامع.

وعلى هذا ترمي الدراسة الكشف عن النصوص التي ضمت التراكيب

---

(١) دلائل الإعجاز: للإمام عبد القاهر الجرجاني، صححه وشرحه وعلق عليه: أحمد مصطفى المراغي، المكتبة المحمودية التجارية، مصر، ط٢، د.ت: ٦٤.

(٢) ينظر: الدلالة الزمنية في الجملة العربية: ٢٩.

(٣) في النحو العربي قواعد وتطبيق: د. مهدي المخزومي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م: ٨٢.

(٤) البلاغة العربية (قراءة أخرى): د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٧م: ٥٩.

المتقابلة في الصحيفة السجادية، وأثرها في اداء المضمون وما يعكسه النص من صور ذهنية متقابلة جالت في فكر الإمام زين العابدين عليه السلام:

١ - التقابل الدلالي بين التراكيب الفعلية:

يرد التقابل الدلالي بين التراكيب الفعلية بأَشكال شتى في الصحيفة السجادية كأن يرد التقابل بين ركنين مشتملين على اسناد تام، إي فعلين وفاعليهما، وخصوصية هذا التركيب أنه مكون من ركني الاسناد، المسند (الفعل)، والمسند إليه (الفاعل)[1] ويلاحظ مجيء هذا النمط في (ثلاثة عشر) موضعا من الصحيفة السجادية، أو أن يكون التقابل بين مسندين متعلقين بهما، والمتعلقان بالمسندين هما مفعولان متقابلان دلاليا، ويقصد به: (أن يقع التقابل بين أحد الاسمين وأن يتصل كل منهما بفعله اتصال الفضلة بالعمدة)[2] وورد في (أربعة عشر) موضعا من الصحيفة، وقد يرد التقابل بين تركيبين يتألف كل منهما من المعلق (الجار والمجرور)، المعلق به (الفعل)[3] وترد في (خمسة وعشرين) موضعا من الصحيفة السجادية.

وقد جرت فيه المقابلة بين الافعال الماضية والمضارعة وأفعال الأمر، وتمثل هذه المقابلات نوعاً من الجمل القصيرة التي تتطلبها طبيعة السياق الذي يتحدث فيه الإمام عليه السلام سواء كان في ميدان الوعظ أم الدعاء أو غيره، وفيما يأتي الحديث عن طبيعة التراكيب الفعلية التي يراد التقابل بينها في الصحيفة السجادية وتوزع بشكل انماط حسب زمن الفعل وعلى النحو الآتي:

---

(١) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٣٢، ينظر: التقابل الدلالي في نهج البلاغة: ١٢٢.

(٢) التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٣٢، م.ن: ١٢٤.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٢٠.

النمط الأول: الفعل الماضي وما يتعلق به:

١ - الفعل والفاعل:

ومما ورد من تقابل في هذا النمط من الصحيفة السجادية، حديث الإمام سيد العارفين عليه السلام عن اهوال يوم القيامة في مناجاة الخائفين: **«نَجنّي بِرَحْمتَكَ من عَذابِ النارِ، وفضيحة العارِ، إذا امتاز الأخيارُ من الأشرار... وهالت الأهوال، وقَرُبَ المحسنُون، وبَعُدَ المسيئون، ووُفّيتْ كل نفسٍ ما كسَبَتْ وهم لا يظلمون»**[١].

ويبدو من خلال النص وما ورد فيه أن المقابلة هنا ليست مستفادة من جزء التركيب، فهي ليست مستفادة من الفعلين على وجه الإستقلال، ولا من الفاعلين، بل هي مستفادة من حال كلا التركيبين، وقد استعمل الإمام عليه السلام الفعل بصيغة (فَعُل) بضم العين، وهذه الصيغة تستعمل للتعبير في الغالب عن الغرائز والعادات، ويهدف الإمام عليه السلام من هذا الاستعمال إلى بيان ما يعتري الإنسان من نوازع في ذلك الموقف المهول إذ يترتب على القرب نتائج في صالح العبد، أهمها قربه من الله تعالى وما يناله من رحمة في حين يترتب على العبد المسيء خلاف ذلك.

وقد استطاع الإمام عليه السلام ان يعبر بدقة من خلال التلاحم بين جزئي التركيب عن الحالة النفسية التي تعتري الناس في يوم القيامة، وقد ساعدت صيغة جمع المذكر السالم (محسنون، مسيئون) في اضفاء جو من المشاعر المتناقضة التي ترسمها صورة كلا الطرفين، المحسنين وفوزهم بقرب الله تعالى والهيئة التي هم عليها من الراحة والطمأنينة وشعورهم بصدق وعد

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٢٠.

الله تعالى نتيجة اعمالهم واحسانهم، والمسيئين وبعدهم عن الله وماهم عليه من الهلع والفزع والانتظار الذي يشوبه الخوف من العذاب نتيجة اعمالهم وفسادهم في الأرض.

وقد اتخذ الإمام عليه السلام محوراً للقرب والبعد، وهو رضا الله تعالى، واتباع الحق، وبهذا فقد افاد التقابل بين التركيبين بيان حال الطرفين، قَرُب المحسنون لتقواهم وطاعتهم لله تعالى، وابعد المسيئين لإنكارهم الحق مع علمهم أنه الحق وذلك بعصيانهم الله وإتيانهم نواهيه.

وقابل الإمام زين العابدين عليه السلام بين التركيبين في دعائه إذا أحزنه امرٌ ما أو همَّته الخطايا: «**إلهِي أَصْبَحْتُ وَأَمْسَيْتُ عَبْداً دَاخِراً لَكَ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً**»[(١)].

يتضح من خلال النص أن الإمام السجاد عليه السلام يورد نمطاً آخر من الاسناد التام، وهو أن يقابل بين (فعلين وفاعلهما)، فقد قابل بين الفعل الماضي (اصبح) وفاعله (الضمير المتصل)، وبين الفعل الماضي (امسى) وفاعله (الضمير المتصل)، للتنبيه على حال تقلب الإنسان، فالذي يكون عليه عند المساء لا يبقى عليه عند الصباح لذلك خصّ الإمام عليه السلام البارئ سبحانه بالتسبيح خلال هذين الوقتين، لأن آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر[(٢)].

لذا جاءت دلالة الفعل دالة على الزمن المطلق، في سياق بيان أن على الإنسان الاعتراف بالنقص والاحتياج الدائم لله تعالى، مما يجعله في موقف المتنبه لنفسه، غير قاطع على صلاحها وسلامة عاقبتها، وبهذا

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٦٨، ينظر: ٨٢، ١٦٥، ٥٦، ٨١، ١٥٨، ٥٠.

(٢) انوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م: ٢/٢١٨.

افادت صيغة الفعل معنى دخول المؤمن في المساء والصباح دوام تفكر المؤمن في خلق الله وفي ثوابه وعقابه[١].

والذي يتضح للباحثة ان التقابل هنا فيه ضرب من الايجاز، إذ عبر فيه الإمام عليه السلام عن دلالات متعددة هدف إلى ايضاحها من خلال المقابلة بين التركيبين، منها الاشارة إلى دوام الصلة بين العبد وربه، لأن العبد محتاج إلى هذه الصلة، ليعمه البارئ برحمته ومغفرته، وأشعر التقابل ببيان ضعف الإنسان إزاء المتفرد الجبار، وهو أمر لفت إليه الإمام السجاد عليه السلام في معظم نصوص الصحيفة السجادية، ليحث على الالتزام بعبادة الله بصورة مستمرة، لأن (اصبحتُ، وامسيتُ) فيها دلالة على الاستمرار ما بقي الإنسان حياً.

٢ - الفعل والمفعول به:

وهذا نمط آخر من التقابل التركيبي الفعلي، إذ يقع التقابل التركيبي بين الفعلين ومفعوليهما في دعاء الإمام السجاد عليه السلام في بيان رسمٍ بديعٍ وفريدٍ لحركة التعاقب بين الليل والنهار وغشيان احدهما الاخر على هذه الأرض وهي صورة ذهاب الليل بظلمته ومجيء النهار بنوره قال: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ اللَّيْلَ مُظْلِما بِقُدْرَتِهِ، وَجاءَ بِالنَّهارِ مُبْصِراً بِرَحْمَتِهِ**»[٢] ومن خلال النظر في النص نجد أن الإمام عليه السلام قد قابل بين التركيبين (اذهب الليل) و(جاء بالنهار) وهو فيه تقابل بين (الليل) و(النهار) من جهة، وبين (الذهاب)، و(المجيء) من جهة أخرى، إلّا انه جرى على وفق اسلوب التصوير بالحركة التي تعم كل شيء: ما في الليل، وما في النهار بقدرة الله سبحانه، وتتخلل الصورة اضافة عنصرين دلاليين هما (الابصار والظلمة)

---

(١) ينظر: التقابل الدلالي في نهج البلاغة: ١١١.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٠٩، ينظر: ٢٠٨، ١٢، ١٣، ٢٣، ١٥٨.

بقوله (مبصراً) و(مظلماً) وذلك لتتكامل الصورة وتنتظم جزيئاتها في هذا الائتلاف الذي يبين الحركة المتعاقبة لحركة الليل والنهار، فالتركيبان وإن بنيا في نطاق تقابلي، إلَا انه يوحي بهذا الائتلاف والاتساق: ما بين منظر الليل وظلامه والسكون الذي يَلُفُه، ومنظر النهار واشراقه والحركة التي تدب فيه، واللذان ينتظمان معاً في بيان قدرة البارئ سبحانه وعظمته وبديع خلقه.

والملاحظ في هذا النص أن التقابل بين التركيبين لم يقتصر على نمط تقابل الفعلين ومفعوليهما، بل تضمن عنصرا لغويا آخر يضيف إلى التركيب بعداً دلاليا آخر ومما أُضيف من عنصر لغوي إلى تركيب (الفعلين ومفعوليهما) عنصر (الجار والمجرور) وذلك في قوله (جاء بالنهار)، غير أن هذا العنصر قد يختلف (الجار) منه تبعاً لنوع السياق الذي يرد فيه، ووجود الباء في السياق يعني ان قوة عظيمة جاءت بالنهار مبصراً بعد ذهاب ظلام الليل، أي: أن بسبب ذهاب الليل جيء بالنهار[1]، إذ إن الذهاب لا ينفي مجيء النهار، لذلك قال (جاء بالنهار مبصراً) لبيان الحركة المستمرة والمتعاقبة لذهاب الليل ومجيء النهار في بيان عظيم قدرة الله جل شأنه وبديع خلقه.

٣ - الفعل ومتعلقاته:

قال الإمام زين العابدين عليه السلام في وداع شهر رمضان: «**أَلسَّلَامُ عَلَيْكَ كَمْ مِنْ سُوء صُرِفَ بِكَ عَنَّا وَكَمْ مِنْ خَيْر أُفِيضَ بِكَ عَلَيْنَا**»[2].

---

(١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن ام القاسم المرادي ت(٧٤٩)هـ، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديد، بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م: ٣٩.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٤٤، ينظر: ٤٢، ٢٠٩، ١٨٥، ١٨٦-، ٥٦.

والمراد من هذا القول، ان الفعل (صُرف) قد أضيف إلى عنصر دلالي اضافي هو بيان اهمية هذا الشهر فهو شهر الله الاعظم وبوجوده تدفع الاسواء والآفات وينزل الله فيه الخيرات والبركات على العباد لذلك يعبر الإمام عليه السلام عن هذه الخيرات بالافاضة دلالة على كثرة عطاء الله تعالى من النعم والبركات والرحمة في هذا الشهر الفضيل، لإن له من الخصوصية ما ليس لغيره من الشهور والمعلّق فيهما في دعاء الإمام السجاد عليه السلام هما الفعلان (صرف، وافيض)، والمعلّقان هما الجاران والمجروران (عنّا) و(علينا).

ويلمح التلازم بين جزأي كل طرف من طرفي التقابل، أي أن الفعل (صرف) قد استدعى متعلقاً مناسباً له، وهذا المتعلق هو حرف الجر (عن) ودلالته في السياق على البعد والانتقال، إذ هو في الاصل يعني المجاوزة[١].

لبيان انصراف كل الشرور والاسواء عن الإنسان في هذا الشهر، في حين أن الفعل (أفيض) قد اقتضى حرف جر آخر، وهو الحرف (على) بدلالته على الاستعلاء[٢]، والذي ناسب فعل الافاضة، إذ الافاضة تكون من الاعلى إلى الاسفل وعطاء الله ونعمه على العباد في هذا الشهر تكون كثيرة وعظيمة لأن شهر رمضان شهر الله رفيع الشأن، جليل القدر، لأن الله

---

(١) ينظر: اللمع في العربية: لأبي الفتح عثمان بن جني ت(٣٩٢)هـ، تح: حامد المؤمن، مطبعة العاني، بغداد، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ١٤٩، ينظر: المخصص: لأبي الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي المعروف بابن سيده ت(٤٥٨)هـ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، د.ت، ١٤/ ٥٤.

(٢) ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني: للإمام أحمد بن عبد النور المالقي، تح: أحمد محمد الخراط، دمشق، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ٣٧١.

هو الذي قدّسه، وعظمه، فمن قام بواجبه فقد قدّر الله حقّ قدّره، ووفى بعهده، والمقصر هو الخاسر.

إن ما يمكن ملاحظته في هذا النص ذلك الاتساع الدلالي المتحقق بفعل السياق الاخباري التقريري، إذ العبارة المتصدرة بـ (كم) الخبرية، فهي دالة على الاخبار والاعتراف بفضل البارئ على العبد، فهو ينفي ان يكون له مثيل فيما هو عليه ويعجب مما ذهب إليه من الفضل والمنزلة الرفيعة، ثم ينكر على نفسه تقصيره عن التمسك بجنب الله ليقدم في ذلك صورة معبرة عن الإنسان كائناً من كان، وذلك باختزاله لجنس الإنسان في التعبير عن نفسه وما عده اساس كل خطيئة وذنب فـ (الجهل، الغفلة، البعد عن اصلاح النفس، ومتابعة الباطل، ومجانبة الحق) كل ذلك يتسبب في جر الإنسان إلى أودية الخسران السحيقة، ومن ترك البذل والعبادة والعتق من النار، وأمن وأمان غضب الله وعذابه، فهو أحق بطريق الخسران والضلال(١).

النمط الثاني: الفعل المضارع وفيه:

١ - الفعل والفاعل:

قال الإمام السجاد عليه السلام في سياق الرهبة من عذاب الله تعالى، في سياق شرطي: «**اللَّهُمَّ... ولو أنَ عَذابي مما يزيد في مُلكك... لسألتُكَ الصَّبْرَ عَلَيْهِ... ولكن سُلطانُكَ - اللَّهُمَّ - أعظمُ ومُلككَ أدومُ من أن تزيدَ فيه طاعَةُ المطيعين، أو تنقصُ منهُ معصية العاصين**»(٢).

والناظر في النص يجد أن الإمام يقابل بين جملتين تامتي الاسناد، إذ

---

(١) ينظر: الصحيفة السجادية (دراسة أسلوبية): ٧٣-٧٤.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٨٥، ينظر: ٧٨، ٧، ٧٤، ١٤٠.

قابل بين (تزيد فيه طاعة المطيعين) و(تنقص منه معصية العاصين)، وقد أفاد التقابل انه سلطان الله تعالى اعظم وابعد من ان تزيد فيه شيء من طاعة المطيعين، أو تنقص منه معصية العاصين، لأن البارئ لم يخلق عباده ليعذبهم وانه كرمهم بل جعل الإنسان سيد الكائنات.

ويلاحظ أن الإمام قد استعمل صيغة المضارع (يفعل) للمقابلة بين التركيبين في سياق التنبيه على ان سلطان الله وملكه اعز واعظم من أن يخضع لقضية نسبية من حيث الزيادة والنقصان، لأنه هو العزيز القهار الذي لا يحده شيء في الوجود.

ويلحظ على هذا التقابل أن له منحى واحدا على الرغم من تباين طرفيه، أي أن طرفي التقابل لا يصب تباينهما في مصب متعاكس، بل يصب تباينهما في مجرى يعزز بعضه بعضاً، فالتقابل يعبر عن قوة سلطان الله تعالى وعظمته وبعده عن الزيادة أو النقصان بطاعة المطيعين أو معصية العاصين.

٢ - الفعل والمفعول به:

يرد هذا النمط في دعاء الإمام علي بن الحسين عليه السلام في بيان سعة رحمة الله - تعالى - في سياق النداء: **«يا من يُثْمرُ الحسنَةَ حتى يُنْمِيها وينجاوزُ عن السَّيِّئة حَتَّى يُعَفِّيَهَا»**[1].

ورد التقابل بين (ينميها ويعفيها) وهما فعلان مضارعان اتصل بهما المفعول به ليوضح التقابل سعة رحمة الله تعالى ولطفه بالعباد، من خلال زيادته للحسنة ومحوه للسيئة.

ويلاحظ ما لصيغة المضارعة من أثر على نفس الإنسان، بدلالتها على

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٤٨، ينظر: ١٠٩، ٢٠٧.

الاستمرار والتجدد، فقد استعمل الإمام عليه السلام الانماء للحسنة، ليبين رحمة الله - تعالى - بإن يجعلها ذات ثمرة ويرتب عليها منافع حتى يكثرها، إذ يقال ان لكل نفع يصدر عن شيءٍ ويرتّب عليه: ثمرته، كقولك: الجنة ثمرة الايمان، فالله تعالى يثمر الحسنة لدى الإنسان ليفعلها من خلال توافر مستلزمات القيام بالحسنة كـ (القوة والمال، واتضاح سُبل الهداية)، في حين استعمل الاعفاء بالتشديد، وهو في الاصل من: عفّت الريح الأثر، اي محته(١) لبيان انه لا يمحو السيئة فحسب وانما يمحو أثرها ايضا وإن اطلّع عليها أحد، إن تاب العبد إلى ربه، لأنه الرحمن الرحيم لذلك جاء الانماء هنا بمعنى الاستمرار في العطاء.

ويلمح أثر الوصل وما يؤديه من دور بنائي، إذ يعمل على عقد صلات بين التراكيب التي يتشكل منها السياق، فقد أسهم حرف العطف (الواو) بإقامة تلك الصلات جامعا العبارات لتؤدي دلالات تقابلية توضح ان العبد لن يبلغ الجود الرباني أو ادراك حقيقة الصفات الإلهية للباري في اللطف بالعباد ومسامحتهم.

وبهذا فإن اثمار الحسنة، واعفاء السيئة قد حققا ركني التقابل، مشيرا بذلك إلى قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

٣ - الفعل ومتعلقاته:

قال الإمام السجاد عليه السلام في معرض الحديث عن الاشتياق في طلب المغفرة من الله - جلَّ جلاله -: «**اللَّهُمَّ فصَلِّ على مُحَمَدٍ وآلهِ واجعل. . .**

---

(١) ينظر: العين (عفو): ٢/ ٢٥٩، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ٣٦٤، ينظر: لسان العرب (عفو): ١٥/ ٧٢.

لهجات ألسنتنا في مُوجبات ثوابك حتى لا تفوتَنا حسنةٌ نَستحق بها جزاءك ولا تبقى لنا سيئةٌ نستوجبُ بها عقابك»[١].

ونلمح من خلال النص أن التقابل قد ورد بين فعلين ومتعلقيهما، وقد اقتضى كل واحد منهما حرف الجر عينه، فهو يتكرر في طرفي التقابل، فقد قابل بين الجارين والمجرورين (بها)، إذ دلّ كلا الحرفين على السببية[٢] ولاءمت هذه الدلالة سياق الدعاء، مشيراً بذلك إلى غاية البارئ من ترويض النفس الإنسانية على العمل بأوامر الله وتجنب نواهيه، وبهذا تشيع الصورة التقابلية في التعبير حركة منفعلة تعكس الطاعة والامتثال للأمر الالهي والحرص على تلبيته.

وقد استعمل الصيغة المضارعة (تفعل) في السياق بقوله (لا تفوتنا، لا تبقى) وهي التي - لا شك - ملائمة لدوام هذه السنة الإلهية في الخلق، واستمرارها زمناً بعد زمنٍ وجيلاً بعد جيلٍ في أن الذي أطاع نجا والذي عصى هلك وهكذا حتى يرث الله الأرض ومن عليها[٣].

فأفاد التقابل هنا بيان ان العمل بموجبات الفرائض هي التي توجب الحسنة وتستوجب محو السيئة، وبهذا يستشف الحكمة الإلهية التي هدف الإمام توضيحها من النص وهي ان لكل إنسان ما سعى فالذي عمل صالحا له احسن الحسنات (الجنة) ومن اساء وفسد فعقابه (جهنم).

والتقابل هنا بين هاتين الصورتين المتضادين، (الحسنة ضد السيئة) و(الثواب ضد العقاب)، أفاد في توضيح كل منهما الأخرى وفي تأكيد

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٣٢، ينظر: ١٣٣، ١٠٣، ٣١.

(٢) ينظر: رصف المباني: ١٤٤.

(٣) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٢٣.

معناهما في النفس لأن الامتثال لأوامر الله تعالى ونواهيه تؤدي إلى تحرر العبد وانعتاقه من قيد النفس الامارة بالسوء والدخول في رياض السالكين.

النمط الثالث: فعل الأمر وفيه:

١ - الفعل والفاعل والمفعول به:

قال الإمام السجاد عليه السلام في التوسل لله تعالى بالقرآن الكريم في سياق الدعاء: «**أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاحْطُطْ بِالْقُرْآنِ عَنَّا ثِقْلَ الاوْزَارِ، وَهَبْ لَنَا حُسْنَ شَمَائِلِ الاَبْرَارِ**»[1].

نجد أن الإمام قابل في هذا النص بين تركيبين تامي الاسناد، فقد قابل بين فعل الأمر (احطط) والفاعل (الضمير المستتر) وتقديره (أنت)، والتركيب فعل الأمر (هبْ) والفاعل (الضمير المستتر) وتقديره (أنت)، لبيان حال من يعتقد برحمة الله تعالى معتقداً صادقاً في أن الله سيحط عنه ذنوبه بمغفرته ويهب له احسن اخلاق المطيعين بسبب توسله بالقرآن الكريم، لأنه في اتباعه للحق يكون سالكاً لمسلك الصلاح والهداية، وتاركاً طريق الغواية والباطل، وفي ذلك إمعان من ذلك المهتدي في التمسك بذلك المسلك.

وقد أورد الإمام عليه السلام التقابل بين الفعلين بصيغتين مختلفتين ناسب كل منهما المعنى، فقد أورد حطّ الاوزار بصيغة الفعل (أفعل) بدلالتها على الالحاح في الطلب، في حين أورد طلب حسن شمائل الابرار بصيغة الفعل (فعل) للدلالة على الاطلاق في العطاء والرحمة التي طالما غمر بها الله تعالى عباده التائبين ليبين من خلال المقابلة صدق العبد في طلب

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٢٥، ٢٢٧، ٦٤، ١١٢، ٢٥.

المغفرة وحط الآثام والذنوب عن كاهله، فاستخدام الفعل (احطط) الذي يشعر بثقل الحمل الذي ينوء العبد بحمله يرسم لنا حال العبد المنكسر المثقل والتائب الراجع إلى باحة الرحمة الالهية لأن أصله من (حطط: الحَطُّ: الوَضْعُ، حَطَّه يَحُطُّه حَطًّا فانْحَطَّ، والحَطُّ: وضْع الأَحْمال عن الدَّواب، . . . . وحطَّ اللهُ عنه وِزْره في الدعاء: وصَفَه مَثَلٌ بذبك، أي خَفَّف الله عن ظَهْرِك ما أَثقَلَه من الوِزر)[١]، لأن ثقل الاوزار والآثام لا يحطها سوى مغفرة البارئ سبحانه ولطفه بالعبد، في حين قابل حط الآثام بطلب الهبة بأن يرزقه الله تعالى حسن اخلاق المطيعين وجاء التوسل بالقرآن ليبين أهمية كتاب الله تعالى وإن العمل به هو الذي يهب حسن شمائل الابرار، ومخالفته هي التي تثقل العباد بالذنوب.

وقد تعدى الفعلان إلى مفعولين وجدا في سياق التركيبين (ثقل الاوزار) و(حسن شمائل الابرار) ليرسم صورة العبد المتضرع لله بالقرآن الكريم ليحط عنه ذنوبه ويهب له أخلاق الابرار، عن طريق ثنائية دلالية متقابلة حملتها صيغتان فعليتان أمريتان (احطط) و(هب)، وثنائية دلالية متقابلة حملها مفعولان هما (ثقل الاوزار) و(حسن شمائل الابرار).

والملاحظ أن الإمام قد استعمل الصيغة الامرية، لما تتميز به هذه الصيغة من طبيعة تراكمية متمثلة بعطف الجمل الطلبية الامرية على بعضها، ولما كان المخاطب هو البارئ سبحانه، استدعى هذا استعداد الداعي في ذلك الموقف، من خلال توظيف التراكيب الأمرية وصياغتها بطريقة (بنائية) تشوق السائل إلى اعادتها يومياً، مولدة في نفسه شعوراً بالاستئناس النفسي من خلال الاطمئنان إلى حصول الاجابة، وهذا باعث على الرغبة

(١) لسان العرب (حطط): ٧/ ٢٧٢ - ٢٧٣.

في التواصل الروحي، وهي خطوة من خطوات التهذيب النفسي، وهذا - لاشك - من اهداف الرسالة السجادية[١].

وفي خروج صيغة الأمر من معناها الاصلي إلى المجازي - الدعاء - ابلغ في التعبير عن طلب الهداية من الله تعالى والالحاح عليه فيها، فالدلالة المستقبلية لفعل الامر تفضي باستمرار طلب المغفرة والتوفيق من الله تعالى، وهذا الالحاح يوحي بقرب الاجابة من الله تعالى.

٢ - الفعل ومتعلقاته:

أ - قال الإمام السجاد عليه السلام إذا اعرضت له مهمة أو نزلت به مُلِمَة وعند الكرب: «**فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَافْتَحْ لِي يَا رَبِّ بَابَ الْفَرَجِ بِطَوْلِكَ، وَاكْسِرْ عَنِّيْ سُلْطَانَ الْهَمِّ بِحَوْلِكَ**»[٢].

جاء التقابل بين الجارين والمجرورين (لِي) و(عنِّي)، يقابل فيه بين حرف الجار (اللام) بدلالته المركزية على التمليك[٣] بحرف جر آخر هو (عن) بدلالته على المجاوزة والحركة[٤]

ويلاحظ أثر الفعلين (افتح) و(اكسر) ومالهما من دلالة تعزز دلالة الحرفين، فاستعمال الفعل (افتح) مع (الفرج) ابلغ واقوى في المعنى، فهو يستعمل في موضع تعسر الأمور، في بيان أن من اوصاف (الربوبية) افتتاح كرب المربوبات، لإن فرج العباد وصلاحها لا يحصل إلاَّ باعانة رب الارباب[٥].

---

(١) ينظر: الصحيفة السجادية (دراسة اسلوبية): ٧٥.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٩، ينظر: ١٢٥، ٥٩، ٩٥.

(٣) ينظر: رصف المباني: ٢١٨، ينظر: الجنى الداني: ٩٦.

(٤) ينظر: الجنى الداني: ٢٦١.

(٥) ينظر: لوامع الانوار العرشية: ٢/ ٤٢١، ينظر: في ضلال الصحيفة السجادية: ١٤٠.

في حين استعمل فعل (الكسر) في (الهم) مما لهُ من دلالة نفسية توضح ثقل هذا الهم على نفس الإنسان، وبانكساره يتبدد هذا الحزن والثقل، ويلحظ إن للسياق أهمية كبيرة في بيان الفارق الدلالي بين (الفتح) و(الكسر)، وذلك بالقرينة التقابلية بين (لي) و(عني)، وعبَّر عن الفتح بـ (لي) من حيث هي مما يفرح المرء ويسر بها فتضاف إلى ملكه، وعن الكسر بـ(عني) من حيث هي اثقال ودفع المحتملات الصعبة(١)، فكان المرجع المفهوم للضمير المجرور (الياء) في كلا الطرفين هو العبد وسؤاله من الله تعالى الفرج والتوفيق في كل الاحوال.

ويلمح من خلال استغلال خاصية الاسناد الاضافي الذي يفيد التمييز والتقييد في انشاء دلالات جديدة بين الالفاظ، من خلال اضافة (الباب) للفرج مرشحا اياه بذكر لفظ (الفتح) وكذلك باستشعار سلطان (الهم) أي انه - الهم - سلطان عسوف قادم بجنده واعوانه، وفي طلب (كسره) تعبير عن الرغبة في انهزام ذلك الجبار وتقهقر اتباعه وانكشافهم.

ب - قال الإمام زين العابدين عليه السلام في مناجاة الشاكرين في سياق طلبي خرج فيه الامر إلى معنى مجازي وهو الدعاء: «**إلهي فَكَما غَذَّيتَنا بلُطْفِكَ وَرَبَّيْتَنا بِصُنعكَ، فَتَمِّمْ عَلَيْنا سَوابغَ النِّعَمِ، وادْفَعْ عنَّا مكاره النقم**»(٢)

فالتقابل هنا بين التركيبين الحرفيين (علينا) و(عنَّا)، ويلحظ انه استعمل (على) مع الخير، على غير المألوف مع أن (على) غالباً ما تستعمل للشر،

(١) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٤٦.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٢٦ - ٢٢٧، ويرد مثله في الصحيفة السجادية: ١٤٠، ٢٠، ٢٣٤، ١٤٤، ٣١، ١١٢، ١١٤.

لما فيها من معنى الاستعلاء، فقد ذكر بعض الباحثين (إن العرب أكثر ما تستعمل (على) للأذى والاستيلاء والاستعلاء)[١]، وفي قول الباحثة هذا دلالة على امكان استعمالها في غير الاذى والاستيلاء كما فعل الإمام عليه السلام ونرى الوجه في ذلك أن مجيء (على) في سياق الخير، مردُّه إلى أن الحديث جاء عن كرم البارئ وعطائه المتجدد على العباد، لذلك ناسب معنى حرف الجر (على) بدلالة على الاستعلاء، لأن النعمة ترد من السماء إلى الأرض فكأن انزال النعمة إفراغاً لها على الناس من المقام الاعلى إلى المقام الادنى، أي من السماء إلى الأرض. وذكر (عن) مع المكاره والمصائب، لإن الإنسان كاره لها وشديد التخوف منها، فناسب دلالة البعد والانتقال في الحديث عن النقم.

ويلاحظ انه قدم ذكر النعم في السياق على دفع النقم، مشيراً على الفطرة الأولى لخلق البشر في حبها للخير.

اما الإسمان المجروران فمرجعهما إلى ضمير المتكلم (نا) العائد على العبد، يعضد ذلك دلالة الفعلين (تمم، وأدفع)، في طلب الكمال في الخير، والابعاد في النقم.

ويتضح من خلال (الدعاء) تأثر الإمام عليه السلام بإسلوب القرآن الكريم، في جعل حرف الجر (على) في الخير، مشيراً بذلك إلى روائع بيان القرآن، ودقة استعماله للالفاظ ولا سيما حروف الجر[٢] كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤].

---

(١) المباحث اللغوية في العراق: مصطفى جواد، ط٢، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٥هـ: ١٠.

(٢) ورد التقابل في القران بجعل (على) في الخير في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: ٤]، ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٤٧.

وقد سعى الإمام زين العابدين عليه السلام - كما يبدو - عن طريق تنوع عبارات الحمد القائمة على تباين ألفاظها وتقابلهما، والتي توجه العناية لتأمل نعم الله وتعدد الآئه وفي هذا مدعاة لحمد الله وشكره، ليوضح أن الرحمة الإلهية مبذولة لمن يطلبها ويسعى لشموله بها دون تحديد معالم السعي، فالأمر متروك للمتلقي ورؤاه.

والملاحظ ورود شبه الجملة بصيغة الجمع، إذ نجد اثر القول (فعل التغذية، والتربية، واتمام سوابغ النعم، ودفع مكاره النقم) متعلق بالخالق سبحانه ومن ثم إن اضفاء صفة الشمول والتعميم يتوافق وحقيقة عظمة الخالق وقدرته وتواصل اياديه وكثرة عطاياه.

فضلاً عن ان الافعال المتحققة في النص هي مطالب يمكن وصفها بالشمولية، أي انها تمثل كل الخلق من دون استثناء، فهي ليست من المطالب التي تمنح أو تتحقق لصفوة من العباد.

ومن هذا يتضح لنا أن الإمام عليه السلام قد ساق التقابل الحرفي في الصحيفة السجادية، اما ان يكون في زمن التكلم وذلك لما يتطلبه سياق الدعاء من طلب الخير ودفع الشر، كقول الإمام عليه السلام: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ كَمْ مِنْ سُوء صُرِفَ بِكَ عَنَّا وَكَمْ مِنْ خَيْر أُفِيضَ بِكَ عَلَيْنَا**»[1] فالتقابل بين (عنَّا) و(علينا) بزمن التكلم.

أو ان يرد التقابل الحرفي في سياق الخطاب، في معرض الحديث عن قدرة البارئ وعظمته ورحمته بالعباد، في قول الإمام السجاد عليه السلام: «**إلهي**

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٤٤، ويرد مثله في الصحيفة: ٢٥، ٥٣، ٣٠، ١١٢، ١٢٥، ٣٢ - ٣٣.

استشفعتُ بك إليك واستجرتُ بك منك»[١] قابل بين (إليك) و(منك) مبيناً ان لا مفر من الله تعالى إلَّا إلى رحمته ومغفرته.

جـ - قال الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه في الاشتياق إلى طلب المغفرة من الله - جلَّ جَلالُهُ -: **«أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَصَيِّرْنَا إلَى مَحْبُوبِكَ مِنَ التَّوْبَةِ وَأَزِلْنَا عَنْ مَكْرُوهِكَ مِنَ الاصْرَارِ»**[٢].

فأفاد التقابل بيان عظمة الخالق وأنه - تعالى - يقبل التوبة متى تاب الإنسان عن ذنبه، إذ التوبة تعني الرجوع من الذنب إلى وحدة الانابة وذلك بالعمل بشروطها وقد قابل الإمام السجاد عليه السلام بين الفعلين (صيرنا) و(ازلنا) وما يتعلق بهما من قوله في (الى محبوبك، وعن مكروهك).

ويلاحظ التلازم في كل طرف من طرفي التقابل، فاستخدام فعل الأمر (صيّرنا) الذي يدلّ على الجعل والتصير[٣] استدعى متعلقاً مناسباً له وهو حرف الجر (إلى) ودلالته على انتهاء الغاية[٤]، اي: انقلنا إليه واجعل ما لنا إلى ما تحب وترضى، في الوقت الذي استخدم فعل الامر (ازلنا) واصله (زال والزوال: ذهابُ الملك)[٥] فدلّ على الازالة والمباعدة مع حرف جر ناسب المقصود، وهو (عن) الذي يوحي بالدلالة على الانتقال

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٢٤، يرد مثله في الصحيفة: ١٧٢، ٢٢، ٢٠، ١٣، ١٢، ٣١.

(٢) م. ن: ١٣١.

(٣) ينظر: العين (صير): ٧/ ١٤٩.

(٤) ينظر: رصف المباني: ٨٠، ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: لابن مالك، تح: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر - القاهرة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م: ١٤٥، الجنى الداني: ٣٨٥.

(٥) العين (زول): ٧/ ٣٨٤.

والبعد، لأن المعنى المركزي له يعني المجاوزة[(١)].

ونلاحظ خروج صيغة الأمر من دلالتها على الالزام والوجوب إلى دلالتها على الدعاء وذلك لبيان على استمرار على طلب التوبة وتجدد سؤالها منه تعالى والذي يمكن كشفه من النص انه ورد الخطاب في سياق طلبي روعي فيه مسألة التقديم والتأخير بحسب حاجات المنشىء ومراتب دنوها وقربها من نفسه واهتمامه بها، ولأن التوفيق للتوبة محبوب ويقود إلى تجنب الاصرار على المعصية قدمه عليه، فهو - الداعي - يقدم ما يرضي الله تعالى عنه، إذ هو اقرب إلى نفسه متمنيا حصوله وتحققه على حساب ما يغضبه تعالى وينال سخطه.

وإذا تأملنا قول الإمام عليه السلام وجدنا فيه تقديم المحبوب واستبعاد المكروه مراعيا فيها مراتب الدنو والبعد، إذ تبدأ بالدعاء في سؤال طلب الخير على دفع الشر، فهو راعى النسق القرآني من جهة التقديم والتأخير وذلك على وفق تقديم النفع على الضر، وتقديم الجنة على النار.

وكأني بالإمام عليه السلام أراد أن يعبر عن رحمة الله التي سبقت غضبه من خلال عقد مقارنة بين ما يرضي الله تعالى وما يسخطه[(٢)].

والملاحظ من خلال متابعة النصوص السجادية أن الإمام عليه السلام قد اعطى لأسلوب الامر قيمة وظيفية معنوية دلالية يزاد عليها القيمة اللغوية التي اسهمت في بيان الغرض المقصود، إذ يريد به التوسل بقوة الفعل على العمل (المتعدية) دلالياً، لبيان قدرة الخالق تعالى وتمكنه من تلبية

---

(١) ينظر: شرح المفصل: ٨/ ٣٩ - ٤٠، ينظر: المقرب: لعلي بن مؤمن المعروف بابن عصفور ت(٦٦٩)هـ، تح: د. أحمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م: ١/ ٢٠١، ينظر: همع الهوامع: ٢/ ٢٩. .

(٢) ينظر: الصحيفة السجادية (دراسة اسلوبية): ١٢٢.

الحاجات وهذا بيان ضمني لرحمته - تعالى - التي تبعث الرحمة والامل عند صاحب الدعاء في الاستزادة.

٢ - التقابل الدلالي التركيبي في الجملة الشرطية:

الشرط في اللغة: (بالفتح وسكون الراء: إلزام الشيء، وإلتزامه في البيع ونحوه كالشريطة والجمع شروط)[١]

والشرط في اصطلاح النحاة ما دخل عليه شيء من أدوات الشرط الدالة على سببية الأول ومسببة الثاني سواء كان علة للجزاء، مثل: إن كانت الشمس طالعة فالنهار موجود، أم معلولا، نحو: إن كان النهار موجودا فالشمس طالعة أم غير ذلك[٢] فهذه الأداة تدخل على الفعلين لسببية الأول ومسببة الثاني، تسمى الجملة الأولى شرطا والثانية جراءً، والاداة تربط بينهما، والشرط لا يكون إلَا بالافعال، لأنها تعلق وجود غيرها على وجودها ولذلك لا يلي حرف الشرط إلّا الفعل[٣] والجملة الشرطية وإن كانت من أنواع الجملة الفعلية فهي لما دخل عليها حرف الشرط ربط بين جملتي الشرط والجزاء حتى صارتا جملة واحدة، نحو المبتدأ والخبر، فكما أن المبتدأ لا يستكمل إلّا بذكر الخبر كذلك الشرط لا يستكمل إلّا بذكر الجزاء[٤].

وإلى هذا المعنى اشار السيوطي في (الاشباه والنظائر): (ينبغي أن

---

(١) العين (شرط): ٦/ ٢٣٤، ينظر: القاموس المحيط: ٢/٣٦٨، ينظر: لسان العرب (شرط): ٩/ ٣٢٩.

(٢) ينظر: شرح المفصل: ١/ ٨٩، ينظر: معاني النحو: ٤/ ٥٤، ينظر: كشاف اصطلاح الفنون: ١/ ٨٢٨.

(٣) ينظر: شرح المفصل: ٩/ ٩.

(٤) ينظر: اسناد الفعل: ١٢١، ينظر: في النحو العربي - نقد وتوجيه -: ٢٨٤، ٢٨٦.

تعلم أن العرب قد أجرت كل وحدة من جملة الشرط والجزاء مجرى المفرد، لأن من شرط الجملة ان تكون مستقلة بنفسها قائمة برأسها، وهاتان الجملتان لا تستغني إحداهما عن أختها، بل كل واحدة منهما مفتقرة إلى التي تجاورها فجرتا لذلك مجرى المفردين اللذين هما ركنا الجملة وقوامها، فلذلك فارقت جملة الشرط وجوابه مجارى احكام الجمل)[١].

وقد شغل اسلوب الشرط مساحة واضحة من نصوص الصحيفة السجادية، فقد جاءت تراكيبه متنوعة باختلاف أدوات الشرط - الجازمة وغير الجازمة - التي أثرت دلاليا في بيان المقاصد التي تحويها السياقات:

أ - في سياق التقابل الشرطي مع الادوات الجازمة:

لما كان اسلوب الشرط من اكثر الاساليب الجملية استيعابا للتقابل، لما تقتضيه جملة الشرط من وجود عبارتين تستند احداهما على الأخرى لذا حفلت به السجادية بصورة واضحة، ويرد التقابل الشرطي فيها مع الادوات الجازمة، ولعل الأداة (إن) الشرطية من اكثر الادوات الجازمة ورودا في الصحيفة السجادية، فقد وردت في (أحد عشر) موضعاً منها، إذ هي أصل الادوات الشرطية وأم الباب، وذلك لأنها تدخل في مواضع الجزاء كلها[٢].

وعدت اصل الادوات (لإنك تجازي بها في كل ضرب منه)[٣]، وإنما وجب ان تكون أصل الجزاء (لأنها لا تخرج عن الجزاء، ولا تختص

(١) الاشباه والنظائر في النحو: للشيخ جلال الدين السيوطي ت(٩١١)هـ، ط٢، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٦١هـ: ٢/ ١٦٧.

(٢) ينظر: شرح المفصل: ١/ ٨٩.

(٣) المقتضب: ٢/ ٥٠.

بالاستعمال في بعض الأشياء دون بعض، وسائر ما يجازي به سواها قد يخرج من باب الجزاء إلى غيره)[١] ولأن (جميع ما يستعمل في باب الجزاء مدخل فيها، وغير مختص به فلذلك وجب ان تكون (إن) الأصل وما سواها محمول عليها)[٢].

ومما ورد في الصحيفة السجادية من تراكيب شرطية:

١ - قال الإمام السجاد ﵇ في بيان أن اليوم من الاشهاد على اعمال الإنسان:

«أَصْبَحْنَا فِي قَبْضَتِكَ يَحْوِينَا مُلْكُكَ وَسُلْطَانُكَ وَتَضُمُّنَا مَشِيَّتُكَ، وَنَتَصَرَّفُ عَنْ أَمْرِكَ، وَنَتَقَلَّبُ فِيْ تَدْبِيرِكَ. لَيْسَ لَنَا مِنَ الامْرِ إلّا مَا قَضَيْتَ وَلا مِنَ الْخَيْـرِ إلا مَـا أَعْطَيْتَ. وَهَذَا يَوْمٌ حَادِثٌ جَدِيدٌ، وَهُوَ عَلَيْنَا شَاهِدٌ عَتِيدٌ، إنْ أَحْسَنَّا وَدَّعَنَا بِحَمْد، وَإِنْ أَسَأْنا فارَقَنا بِذَمٍّ»[٣] فالتقابل الذي بدا واضحا في السياق الشرطي هو بين الفعلين (احسنَّا × وأسأنا) من جهة، وبين جملتي الشرط والجزاء (احسنَّا ودعنا بحمد) وجملة (أسانا فارقنا بذم) الفعليتين وقد استعمل الإمام الفعل الماضي بعد أداة الشرط (إن) والتي خرجت بالدلالة الزمانية للفعل من الماضي إلى المستقبل ودلالته على الدوام والاستمرار في تعاقب الايام واعتدادها في الشهادة على بني آدم، وقيل في شهادة الأيام ضروب من التأويل ارجحها أن الله تعالى جعل اليوم من الاشهاد لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ

---

(١) علل النحو: لابي الحسن محمد بن عبد الله ابن الوراق ت(٣٨١)هـ، تح: د. محمود جاسم الدرويش مطبعة إبداع، بغداد، ٢٠٠٢: ٢٨٨.

(٢) علل النحو: لابي الحسن محمد بن عبد الله ابن الوراق ت(٣٨١)هـ، تح: د. محمود جاسم الدرويش مطبعة إبداع، بغداد، ٢٠٠٢: ٢٨٩.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٥، ينظر: ٢١٧، ٢٠٨.

تَسْبِيحَهُمْۚ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فيصلح ان يشهد لنا وعلينا، فلا يكون نسبة الشهادة إلى اليوم مجازاً ويلاحظ أنه عليه السلام قد استعمل (التوديع) في الحسنات، و(المفارقة) في السيئات واصل التوديع من ودعَ يُودعُ دعةً، وودع المسافر الناس توديعاً: خلّفهم خافضين في دعةٍ وهم يودعونه: إذا سافر تفاؤلاً بالدعة التّي يصير اليها إذا قفل والاسم الوداع - بالفتح - وهو على هذا مأخوذ من الدعة[١] أما المفارقة في الأصل من (الفَرْقُ: مَوضِع المفرق من الرأس في الشَّعر، والفَرْقُ: تفريقٌ بين شيئين فَرْقاً حتى يَفتَرِقا ويتفرَّقا، وتفارق القومُ وافترقوا: أي فارق بعضهم بعضاً)[٢] دلالة على كون فاعل الحسنات محبوباً لليوم الذي فعل فيه تلك الحسنات. في حين دلت المفارقة على كون فاعل السيئات مذموماً في اليوم الذي عمل فيه السيئات وبانتهاء اليوم، قد فرق بين الإنسان وعمله فلا يستطيع اصلاحه والرجوع عنه وبهذا تكون المفارقة أعمُّ[٣].

ذهب بعض النحويينن إلى حصر دلالة (إن) من حيث الزمان على المستقبل، وبالاخص عندما تدخل على الافعال الماضية[٤] غير أنها في النص تدل على الزمن المطلق، فدلالة التركيبين زمانياً دلالة مطلقة، لإنها وردت في سياق يصلح لكل زمان وأوانه، وهذا ما يخالف واقع (إن) في تلك الدلالة، ذلك لأن دلالة (إن) الزمانية يحددها السياق التي ترد فيه،

---

(١) ينظر: العين (ودع): ٢/ ٢٢٤.

(٢) العين (فرق): ٥/ ١٤٧.

(٣) لوامع الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: ٢/ ٣٥٨.

(٤) ينظر: مشكل اعراب القرآن: أبو محمد مكي بن ابي طالب القيسي، دراسة وتحقيق: حاتم الضامن، منشورات وزارة الاعلام في الجمهورية العراقية، ١٩٧٥م: ١/ ١٠٧ - ١٠٨.

فتعاقب الايام واستمرار شهادتها على بني آدم، ودوام تجدد عملها مستمر في كل صباح ومساء.

ومن خلال قراءة النص نلحظ التوسع في بناء النظام الشرطي اللغوي، وقد افاد عليه السلام من نظام التعليق المركب لإقامة هذا التوسع، أي باعتماد تكرار أداة الشرط أو باستخدام اداة العطف، إذ يعمد المنشيء عليه السلام إلى ذكر وجوه التقابل، فكانت جملة الشرط عبارة عن لوحة متكاملة الابعاد، وقد ارتسمت بها صور العبد (الباكي، والمنتحب، العارف بذنبه، والمترقب، ليختم ذلك بجواب الشرط المحصور بجملة واحدة مفادها أن هناك رقيباً وشاهداً على العبد يحصي اعماله فإن عمل صالحا ودعه بحمد أو فعل سوءاً فارقه بذم.

٢ - قال الإمام السجاد عليه السلام في سياق التذلل لله سبحانه وتعالى:

«اللّهُمَّ إن تَشَأْ تعفُ عَنّا فَبِفضْلِكَ وَانْ تَشَأْ تُعَذِّبْ فَبعدْلِكَ»(١)

فالتقابل هنا ورد بين جملتي الشرط والجزاء، وكلتاهما جملة فعْلية، فقد ورد بين فعل الشرط (تشأ) وجوابه (تعف) في الأولى، و(تعذب) في الثانية، اما الفاء فهي سببية والجار والمجرور متعلق بالجواب، ليوضح ان استمرار العفو والعذاب ودوامه يرجع إلى مشيئة البارئ تعالى ولطفه بالعباد، وقيل ان مفعول فعل المشيئة (تشأ) محذوف في الفقرتين لغرض البيان بعد الابهام والتقدير:

إن تشأ العفو عنَّا تعف عنا، وإن تشأ عذابنا تعذّبنا وحذف المفعول به بعد فعل المشيئة والإرادة كثير مطرد - لدلالة الجواب عليه، ومنه قوله

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٣٢ - ٣٣، ينظر: ١٤٢، ٢١٦، ٢٢٣.

تعالى: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، أي: لو شاء هدايتكم لهداكم اجمعين فإنه متى قيل: (لو شاء) علم السامع انّ هناك شيئاً علّقت المشيَّة عليه، لكنّه مبهمٌ عنده، فاذا جيء بجواب الشرط صار مبيّناً، وهذا أوقع في النفس(١).

ويلاحظ ان السياق الشرطي قدْ قدم ذكر (المغفرة)، على (التعذيب) اشعاراً بسبق رحمته غضبه، لذا سأل عليه السلام ان يحمله على عفوه فيما عساه صدر عنه من ذنب، ولا يحمله على عدله فيخزيه بما فعل حرمانا وعقوبة، إذ لا استحقاق لنا لمقام العفو، فهو مقام لا يصل إليه قدم أحد إلاّ مثله عليه السلام، واجرنا من عذابك بتجاوزك عن تقصيرنا بهويتنا، فإنّه لا طاقة لنا بعدللك، إذ مقتضى العدل إن يجزي المسيء بالسوء.

٣ - ورد التقابل في سياق الشرط في سؤال الله تعالى باسلوب الاستفهام: «**إلهِي إنْ رَفَعْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَضَعُنِيْ، وَإنْ وَضَعْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْفَعُنِي، وَإنْ أَكْرَمْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يُهِينُنِي، وَإنْ أَهَنْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يُكْرِمُنِي، وَإنْ عَذَّبْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْحَمُنِي، وَإنْ أَهْلَكْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَعْرِضُ لَكَ فِي عَبْدِكَ أَوْ يَسْأَلُكَ عَنْ أَمْرِهِ**»(٢).

نلمح من خلال تتبع النص ان الإمام عليه السلام عرض سلسلة من المتقابلات الثنائية في سياق شرطي، فقد قابل بين الافعال من جهة:

وضع × رفع

اكرم × اهان

عذب × رحم

---

(١) ينظر: رياض السالكين: ٢/ ٤٢٧.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٧٦ - ١٧٧، ينظر: ٥٢، ٦٢.

وقابل فيها بين فعل الشرط (جملة فعلية ماضية) وجواب الشرط (جملة اسمية) بواسطة الفاء الرابطة بين الجملتين، لبيان قدرة الله تعالى المطلقة ودوام سلطانه وملكه، فهو الذي يضع ويرفع وهو يكرم ويهين، وهو الذي يعذب أو يرحم وهذا ما اشارت إليه الجملة الشرطية من خلال تراكيبها المختلفة، لأن من جعله عزيزا رفيعا لا يقدر أحد ان يجعله ذليلا، إذ لا سلطان فوق سلطانه.

ويتضح من خلال استخدام اسلوب الشرط استخدم الجمل الأربع الأول بشكل تضافري استبدالي، لإمكان وقوع (الرفعة × والضعة) و(والاكرام × والاهانة) من غيره تعالى فربما رفع الناس بعضهم ووضعوا بعضهم لاعتبارات اجتماعية وكذلك بالنسبة (للإكرام × والإهانة)، فأصل الرفعة في الاجسام ثم استعير للمنزلة والرتبة مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، في انتساب فعله لغيره - تعالى - أما فيما يتعلق بالجملتين الاخيرتين فإن مشروطيهما (العذاب والاهلاك) مما لا يقبل انتساب فعله لغير البارئ - سبحانه - وعليه لم يفترض وجود راد للعذاب أو قائم به كما لم يفترض وجود دافع للهلاك أو فاعلٍ له(١).

ونلحظ في هذه الفقرة ما للفاصلة من دلالة توضح الدلالة المقصودة من السياق، فقد انتهت فواصل هذا الدعاء بـ (ياء) المتكلم الموحية بالتذلل والخضوع والاستكانة والاستسلام لحكم لله تعالى من خلال ابراز عجز الإنسان وضعفه، فهو بلا قدرة من غير توفيق الله تعالى ورعايته.

ونلحظ التحول بالعبارات المسجوعة، والتزامها بناءً متوازيا عماده صيغة الشرط بدلالتها المستقبلية الموحية باستمرار الإنسان في هذا العجز

---

(١) ينظر: الصحيفة السجادية (دراسة اسلوبية): ٧٧.

والضعف، فهو محتاج دائما لرعاية البارئ تعالى وحمايته، واوضح الإمام هذا المغزى من خلال علاقات استبدالية الدلالة متفقة الايقاع[(١)].

إن رفعتني ⇄ وإن وضعتني

إن أكرمتني ⇄ وإن أهنتني

ب - في سياق التقابل الشرطي مع الادوات غير الجازمة:

١ - ومما ورد من التقابل في سياق الشرط، التقابل الأداة (إذا) وهي من الادوات الشرطية غير الجازمة، والتي تؤدي إلى تنوع في الدلالة الزمانية بتنوع القرائن اللفظية والمعنوية[(٢)] فهي - إذا - تحيل الدلالة الزمنية في الجملة إلى زمن المستقبل، وإن ورد الفعل بصيغة (فَعَل)[(٣)].

فهي ظرف لما يستقبل من الزمان متضمنة معنى الشرط، وتختص بالدخول على الجملة الفعلية، ويكون الفعل بعدها ماضياً كثيراً، ومضارعاً دون ذلك ولا يأتي بعدها الأمر، فإذا دخلت (إذا) التي للشرط على الاسم فهو فاعل بفعل محذوف على شريطة التفسير لا مبتدأ خلافاً للاخفش[(٤)].

وقد وردت (اذا) في الصحيفة السجادية في موضع الجزاء وفي سياق تقابلي في موضعين، ونلحظ ان استعمالها أقل بكثير من استعمال اداة الشرط (إن) التي وردت في (أحد عشر) موضعاً كما ذكر سابقاً.

---

(١) م. ن: ٤٧.

(٢) ينظر: في التركيب اللغوي للشعر المعاصر - دراسة لغوية في شعر السياب ونازك والبياتي: مالك يوسف المطلبي، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨١: ٩٠.

(٣) الدلالة الزمنية في الجملة العربية: د.علي جابر المنصوري، ط١، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٨٤: ١٢٨.

(٤) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: ٢/ ٩٢ - ٩٣.

قال الإمام السجاد عليه السلام في دعائه في الاشتياق إلى طلب المغفرة من الله - جل جلاله -: «**وَإِذَا هَمَمْنَا بِهَمَّيْنِ يُرْضِيكَ أَحَدُهُمَا عَنَّا وَيُسْخِطُكَ الآخَرُ عَلَيْنَا، فَمِلْ بِنَا إِلَى مَا يُرْضِيْكَ عَنَّا، وَأَوْهِنْ قُوَّتَنَا عَمَّا يُسْخِطُكَ عَلَيْنَا**»[1].

نجد أن الإمام عليه السلام قد قابل بين فعل الشرط (همَّ) وجواب الشرط (مِلْ)، وبين جملة (هممنا بهمين. . . الفعلية، وجواب الشرط (مِلْ بنا) في محل جواب الشرط غير الجازم، وجاءت المقابلة بين الفعلين، من باب أن أصل الفعل (هم: القصد والعزم على الفعل والترك)[2].

اما الميل في الاصل من (مال إليه ميلاً وممالاً وتمايلاً وميلاناً وميلولةً عَدَل فهو مائل، وأماله إليه وميّلهُ فاستمال، ومالت الشمس مُيولاً ضيقَّتْ للغروب، أو زالت عن كبد السماء)[3].

فجاء التقابل بينهما ليس من باب الضدية، بل من باب النية بالقيام بالفعل أو عدمه، وقد استعمل الإمام جملة فعل الشرط بصيغة الماضي، في حين جاءت جملة جواب الشرط بصيغة الامر، وعلى الرغم من اختلاف الصيغتين فانهما خرجتا للدلالة على المستقبل لمجيئهما بعد أداة الشرط (إذا)، فالمراد من التقابل بيان أن الاعمال القبيحة لا تكتب على العبد إلَّا بالفعل لا بالاضمار، بخلاف الاعمال الحسنة، فانّها تكتب لمجرد النية، فجاء الدعاء بطلب التأييد من البارئ لعنايته بجعل العبد يقصر الهمّ على ما يرضيه عنه[4].

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٣١ ينظر: ٢٢١.

(٢) العين (هم): ٣/ ٣٥٧، ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ١٩٢ ينظر لسان العرب (هم): ١٢/ ٦١٩-٦٢٠.

(٣) العين (ميل): ٨/ ٣٤٥، ينظر القاموس المحيط: ٤/ ٥٣.

(٤) ينظر: رياض السالكين: ٢/ ٤١٣.

ونلحظ من خلال قراءة النص أثر أداة العطف (الواو) في جملتي فعل الشرط، وجوابه التي اسهمت في انتاج التراكم الشرطي الذي تعددت صوره بتعدد تراكيبه حول محور التقابل (رضا الله تعالى)، من خلال اقتران جواب الشرط بالفاء، إذ سمّوها الفاء الجوابية ومعناها الربط، وقد حظيت الفاء بذلك لما فيها من معنى السببية ولمناسبتها للجزاء معنى[(١)] فاقترانها بجملة جواب الشرط دلّ على الترتيب والتعقيب، إذ طلب التعجيل في ايقاع النقص بأسرع الدارين فناءً حتى يكون رضا الله متحققاً بترك المعاصي، والذنوب من خلال استخدام الجمل الطلبية التي خرجت مجازاً إلى معنى الدعاء والتضرع في قوله: «**مل بنا، وأوهن قوتنا...**».

٢ - من الادوات الشرطية غير الجازمة الأخرى الاداة (لولا) فهي حرف يدخل على جملتين احداهما مبتدأ وخبراً والأخرى فعلاً وفاعلاً، لربط امتناع الثانية لوجود الأولى[(٢)] (فتعلق احداهما بالأخرى وتربطها بها كما يدخل حرف الشرط على جملتين فعليتين فيربط احداهما بالأخرى فيصيران كالجملة الواحدة)[(٣)].

في قول الإمام زين العابدين عليه السلام في التضرع والاستكانة: «**يَاكَهْفِي حِينَ تُعْيِيِني المَذَاهِبُ وَيَامُقِيلِي عَثْرَتِي فَلَوْلَا سَتْرُكُ عَوْرَتِي لَكُنْتُ مِنَ الْمَفْضُوحِينَ وَيَا مُؤَيِّدِي بِالنَّصْر فَلَوْلَا نَصْرُكَ إِيَّاي لَكُنْتُ مِنَ المَغْلُوبِينَ**»[(٤)].

نجد أن الإمام عليه السلام قد قابل في سياق شرطي بين جملة الشرط

(١) الاتجاهات النحوية لدى القدماء (دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة): د. حليمة أحمد عمايرة، دار وائل للنشر، عمان - الاردن، ط١، ٢٠٠٦: ٢٩٠.
(٢) ينظر: مغني اللبيب: ١/ ٣٥٩.
(٣) شرح المفصل: ١/ ٩٥.
(٤) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٨٦.

(سترك عورتي) الاسمية، وجملة جواب الشرط (لكنت من المفضوحين) الفعلية وبين جملة الشرط (نَصْرك إياي) الاسمية وجملة جواب الشرط (لكنت من المغلوبين) الفعلية، باداة الربط (اللام) التي تأتي في سياق الشرط للجزاء[١] فقد أفاد التقابل بين حالين، حال قدرة الله المطلقة في كل شيء، وحال ضعف الإنسان وعجزه في مواجهة الحياة واخطارها بمفرده، لكونه يبقى محتاجاً لستر البارئ ونصرته - تعالى - وقدرته على تغيير الاحوال، وقد جاءت الاداة الرابطة (اللام) لبيان هذه الدلالة.

ويلاحظ ان الإمام قد استعمل في جملة الجواب اسم المفعول (المفضوح والمغلوب) والتي تدل على العموم في حال اتصال (أل) بها[٢] مما يوضح قصد الإمام عليه السلام في بيان حال الإنسان وعجزه المستمر وضعفه، فهو محتاج دائماً إلى عون الله تعالى ونصرته.

وكان لاستعمال اسلوب النداء بشكل متراكم أثر اسهم في اعطاء الفعل ميسمها المميز نتيجة تكرار صيغة النداء واكثر ما يكون ذلك في أدعية الالحاح على الله تعالى بالتوبة واستكشاف الكرب والهموم وطلب الحوائج، والذي اسهم في انضاج الصورة واكتمال الدلالة للنص والقائمة على ركني التقابل: قدرة الله المطلقة × عجز الإنسان الدائم وضعفه، لأن وظيفة الاداة (لولا) في جملة الشرط محددة (لإنها تستعمل في حالات ثبوت عبارة الشرط والقطع بتحققها)[٣] فالإمام لم يكن من المفضوحين، وذلك لوجود ستر الله ولطفه به لأنها أداة امتناع لوجود.

---

(١) كتاب اللامات: لابي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ت(٣٣٧)هـ، تح، د. مازن المبارك، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٣١٢هـ - ١٩٩٢م: ١٥٩.

(٢) ينظر: الدلالة الزمنية في الجملة العربية: ٨٥.

(٣) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: د. سناء حميد البياتي، دار وائل للنشر والتوزيع عمان، الاردن، ٢٠٠٣م: ٣٥٩.

٣ - التقابل الدلالي التركيبي الاسمي:

يراد بالتركيب الاسمي، التركيب الذي يبدأ باسم سواءً أكان جزؤها الآخر اسماً أم فعلاً أم شبه جملة (أي جاراً ومجروراً أو ظرفاً)[١] نحو قولك: (مُحمدٌ مجتهد)، على حين أنَّ قولنا: أزيداً تخاطب؟ تركيب فعلي لأن زيداً مفعول للفعل يخاطب وليس اسماً مستقلاً عن تأثيره.

والجملة الاسمية في اللغة العربية (لا تشتمل على معنى الزمن فهي جملة تصف المسند إليه بالمسند، ولا تشير إلى حدث، ولا إلى زمن، فاذا أردنا أن نضيف عنصراً زمنياً طارئاً إلى معنى هذا الجملة، جئنا بالادوات المنقولة من الافعال، وهي الافعال الناسخة فأدخلنا على الجملة الاسمية فيصبح وصف المسند إليه بالمسند منظوراً إليه من وجهة نظر زمنية معينة)[٢].

(فالجملة الاسمية اذن على وفق هذا المفهوم هي الجملة التي لا يكون فيها المسند فعلا، غير انها يمكن ان تقترن احياناً بقرينة خارجة عن الاسناد تشير إلى زمن معين في الماضي، أو الحال أو المستقبل، أو تقترن بقرينة تشير إلى الزمن بابعاده الثلاثة، وكما تقترن الجملة الاسمية بقرينة تدل على الزمن، كذلك تقترن بما يشير إلى الدلالة المكانية، غير انها غالباً ما تكون عارية من القرائن، متصفة اتصافاً عاماً يبين العلاقة بين المسند والمسند اليه، خالياً من الارتباط الزماني والمكاني معبرة عن معاني متصورة في ذات المتكلم)[٣].

---

(١) شرح المفصل: ١/٩٨.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان، مطبع الهيئة المصرية، مصر، ١٩٧٣م: ١٩٣.

(٣) الدلالة الزمنية في الجملة العربية: ٣٥ - ٣٦.

لذا أن دلالة الجملة الاسمية لا تفيد الثبوت والدوام بأصل وضعها، إلَّا إذا كان خبرها مفرداً أو جملة اسمية، أما إذا كان خبرها فعلاً، فإنها تكون كالجملة الفعلية في إفادة التجدد في زمن مخصوص نحو: «**الوطنُ يسعدُ بأبنائه**»(١)

ومما ورد في الصحيفة السجادية في سياق تركيبي اسمي:

أ - قال الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء يوم عرفة في سياق الحديث عن الصفات الإلهية الذاتية: «**انت اللهُ لا إله إلاَّ أنْتَ الدَّاني في عُلُوِّه والعالي في دُنُوه**»(٢).

ويلمح أن التقابل هنا ليس قائماً بين مفردات هاتين الجملتين المتعاطفتين، بل هو قائم بين التركيب كله فيها: بين (الداني في عُلُوّه) و(العالي في دُنُوِّه)، لبيان أن الدلالة التي تتضح من التركيبين ليس المقصود بها (العلو أو الدنو) الحسي أو المكاني أو التخيلي، انما هو (العلو، والدنو) العقلي المنزه عن المكان والمسافة، فالحق - تعالى - وإن كان أبعد الأشياء وأرفعها من جهة علوّ رتبته وكثرة المراتب والدرجات بينه وبين أدون الخلق، فهو أقرب الأشياء إليه وإدناها، لذا فلا أبعد وأرفع من واجب الوجود، ولا أقرب وأجلى منه - سبحانه - فسبحانه الأبعد الاقرب والأعلى والأدنى والاخفى والاجلى(٣).

وإذا دققنا النظر في تركيب الجملة الاسمية نلاحظ أنها قد صدرت باسم الفاعل وهو من الصيغ التي تدل على الصفات الكاملة والثابتة وهذا

---

(١) ينظر: جواهر البلاغة: ٤٨.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٥٢ - ١٥٣.

(٣) لوامع الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: ٥/ ٢٠٧، ينظر: بحار الانوار: ٧٠/ ١٩٢.

أدلُّ في التعبير، إذ يشعرنا هذا التعبير عن مدى كمال القدرة الإلهية فالبارئ سبحانه عالم باحوال عباده وجميع تصرفاتهم فرادى أو مجتمعين ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة(١) وكان تصدر اسم الفاعل في التركيب الاسمي ابلغ في المعنى واعزز في الدلالة، مما لو جرى التقابل بين (العلو والدنو) وحدهما، إذ قد يتساويان بذلك الانفراد، على حين تضاداً تماماً من خلال استخدام اسمي الفاعل.

ويتبين من هذا الاختيار لطرفي التقابل أنه أُريد به إحداث أثر نفسي وأثارة مشاعر الخوف والخشية من عظمة البارئ وقوته من خلال التعبير عن هاتين الحالتين المتضادتين بضرب من الايجاز، إذ يقع تحت وطأة كل طرف من طرفي التقابل معان كثيرة تبين دلائل العظمة والقدرة الإلهية وهذا من اروع خصائص اللغة العربية.

ب – قال الإمام السجاد عليه السلام في سياق التذلل لله سبحانه: «**الحَمْدُ لِلّه الأول بِلا أوَلٍ كان قبلهُ والآخر بلا آخر يكون بَعْدهُ**»(٢).

فقابل بين التركيبين الاسميين (الأول بلا أوَلٍ كان قبله) و(الاخرُ بلا آخر يكون بعده) وفي نطاق هذين التركيبين نجد ألفاظ متقابلة عديدة مثل الاسمين (الأول، الاخر) و(قبله وبعده)، فضلاً عن التقابل الناشيء من تكرار أداة النفي والفعل الناقص الدال على الزمن المطلق والذي منح هذه الصورة التقابلية المتكاملة هدفه الدلالي في بيان صفتين من صفات الله تعالى، الدالة على أوليته وأزليته فمعنى (الأول) القديم(٣)، فهو (الأول لاعن أوّل قبله ولاعن بدءٍ سبقه، والاخر لاعن نهايةٍ كما يعقل عن صفة

---

(١) ينظر: مجمع البيان: ٩/ ٢٥٠.

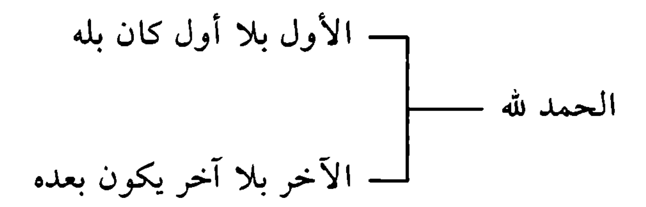
(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٧.

(٣) الكشاف: ٤/ ٤٧٢.

المخلوقين، ولكن قديمٌ أوّل آخرٌ لم يزل ولا يزول بلا بدءٍ ولا نهايةٍ لا يقع عليه الحدوث والكمال ولا يحول من حالٍ إلى حال، خالق كلّ شيء)[١].

فضلاً عن التوافق الايقاعي الذي اجتمع عند (الهاء الضمير) في نهاية القرينتين التي تمركزت عندها دلالة المعنى وذلك بعودها على المخصوص بالحمد بوصفه الغاية في القدم الازلي والاخرية السرمدية[٢].

ويتضح بذلك الهدف الدلالي من التقابل من خلال عرض الصفحات الإلهية، فقد احتوت العبارات التقابلية ترابطاً دلالياً حيث قامت فيها علاقات دلالية بين طرفي كل عبارة:



والتي تبين اسرار القدرة الإلهية المطلقة من خلال التعرض للمسائل الوجودية في اثبات عجز اوهام الواصفين وقصر ابصار الناظرين عن الاحاطة بـ (الحقيقة الإلهية المطلقة).

والجدير بالذكر أن هذه العبارات موجزة كثيراً، إذ اختزلت الكثير من معاني المباحث الوجودية والكلامية، فأوليته (عبارة عن كونه قبل وجود الممكنات بأسرها، وأنه مبدأ كل شيء ومنه نشأ وجود الأشياء كلها)[٣]، وانه واجب الوجود بذاته لم ينشأ عن وجود غيره. أما الآخر الذي لا نهاية

(١) الكافي: ١/ ١١٦، ح٦.

(٢) ينظر: الصحيفة السجادية (دراسة اسلوبية): ٤٣.

(٣) رياض السالكين: ١/ ٢٣٧.

له، فهو الباقي بعد فناء الممكنات (أو الذي ينتهي إليه الاسباب، لأنك إذا نظرت إلى شيء وفتشت عن سببه، ثم عن سبب سببه وهكذا انتهيت إليه تعالى فهو عنده أجتماع اسباب الشيء)[١]، فالأولية والآخرية اعتباران ذهنيان قياساً إلى المخلوقات، فليس لذاته تعالى أولية وآخرية زمانية لتنزهه تعالى عنهما «**فأوليته عين آخريته، وآخريته عين أوليته**»[٢].

جـ - قال الإمام السجاد عليه السلام في دعائه عند التذلل لله سبحانه في فتحه باب التوبة له: «**الحَمْدُ لِلّه الَذِي دلَّنا على التوبَةِ... ولم يكلِّفْنا إلَا وسعاً ولم يجشمنا إلَا يُسْراً ولم يدع لأحد منَا حُجَةً ولا عُذْراً فالهالك منَا هلك عَلَيْه والسعيد مِنَا من رَغِبَ إليه**»[٣]

فالتقابل هنا بين التركيبين «**الهالك منا من هلك عليه**» و«**السعيد منّا من رغب إليه**» إذ لا يمكن فصل أية مفردة في التركيب الأول، ومقابلتها منفردة بأية مفردة من التركيب الثاني، لأن المعنى لا يصح ولا يتم إلَا بالتركيب كاملاً، أي مقابلة تركيب اسمي بآخر مثله والتي اتسقت جميعاً لتأدية صورة تقابلية متكاملة، فالله تعالى لا يرضى بهلاك أحدٍ من عباده، لذلك اوسع لهم رحمته ولم يعاجلهم بالاخذ على ذنوبهم بل تأناهم برحمته وانتظر مراجعتهم برأفته وفتح لهم باب التوبة ووضع عنهم ما لا طاقة لهم به.

وأراد الإمام من ايراده الجملة الاسمية بتقديم صيغة اسم الفاعل معرفة بالالف واللام إفادة للعموم، في بيان حال كلا الطرفين، وهو عموم هلاك من عصى وافسد، واستمرار السعادة لمن تاب وأصلح، واتباعه بشبه

(١) م. ن: ١/ ٢٤٠.
(٢) م. ن: ١/ ٢٤١.
(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٠ - ١١.

الجملة ودلالة حرفي الجر المستعملة في التركيبين، فالله تعالى لم يكلف العباد دون الوسع، فمن هلك بعد ذلك كله بسوء سعيه كأنه هلك على كره منه سبحانه، لذا قيل أن حرف الجر (على) جاء بمعنى (مع)[١] أي فالهالك من هلك مع سعة رحمة الله تعالى، في حين ان حرف الجر المقابل (الى) دل على معناه المركزي انتهاء الغاية[٢]، أي: منتهى رغبة العبد المعترف بذنبه هي التوبة إلى الله تعالى، وقد استعمل (منَا) ودلالة حرف الجر (من) الواردة في كلا التركيبين على التبعيض، لإن بعضهم يهلك وبعضهم يسعد، فاعطى الإمام بذلك نتيجة مباشرة جامعاً بهذا التعبير بين الإعراض والاقبال والجزاء على كل منهما، وهذا يفصح عن بلاغة الإمام وفصاحته في التعبير.

٤ - التقابل الظرفي:

ويقصد بـ (التقابل الظرفي) أن هناك ظرفاً له دلالة معينة في طرف من طرفي التركيب، يقابله ظرف له دلالة أخرى مقابلة للدلالة الأولى في الطرف الآخر من طرفي التركيب[٣] ويرد التقابل الظرفي في الصحيفة السجادية بأنماطه المختلفة الزماني منه والمكاني لبيان دلالة السياق والغرض منه:

أ - التقابل الظرفي الزماني:

١ - ورد التقابل بين ظرفي زمان مطلقين (قبل) و(بعد)، وهما غير محدودين بزمن معين في بيان الاوصاف القدسية للذات الإلهية، في قول

(١) ينظر: تسهيل الفوائد: ١٤٦.
(٢) ينظر: اللمع في العربية: ١٤٩.
(٣) ينظر: التقابل الدلالي في نهج البلاغة: ١٣٧.

الإمام السجاد عليه السلام: **«أَلْحَمْدُ للهِ الاوَّلِ بِلا أَوَّل كَانَ قَبْلَهُ، وَالآخِرِ بِلَا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ»**(١).

جرى التقابل الدلالي بين الظرفين (قبله وبعده) في سياق تركيبي، وهو تقابل مجرد من الدلالة المحدودة، فهو تقابل ممتد من الماضي إلى المستقبل، ومعروف أن (قبل وبعد) ظرفان متقابلان يُراد بهما استيفاء الحدود القصوى للزمن ببعديه (القبلي) و(البعدي)، ولذلك جاء بهما في هذا المورد لبيان الاطلاق في الحديث عن قدرة الله وعظمته في سياق الحديث عن صفات الخالق الازلية فهو (الأول لا عن أول قبله ولا عن بدءٍ سبقه، والآخر لا عن نهاية كما يعقل عن صفة المخلوقين، ولكن قديمٌ أولٌ آخرٌ لم يزل ولا يزول بلا بدءٍ ولا نهاية، لا يقع عليه الحدوث ولا يحول من حالٍ إلى حالٍ، خالق كلّ شيء)(٢) فهو الموجود قبل كل شيء ويفنى ويبقى سبحانه بعد فناء كل شيء.

ولذا جاء التقابل بين الظرفين (قبل) و(بعد) في هذا النطاق ليؤكد دلالة غير محدودة لصفات الله وهي أن الله تعالى موجود قبل كل شيء وباق بعد فناء كل شيء، ولعل هذا ما يفسر مجيء الظرفين (قبل) و(بعد) في (سياقات تحمل أوصافاً تستوعب مَديات زمانية غير قابلة للزيادة والنقصان)(٣).

٢ - قال الإمام السجاد عليه السلام في سياق الحديث عن منزلة خاتم الانبياء محمد وآله الطاهرين في سياق الدعاء: **«اللَهُمَ وصَلِّ على مُحَمَدٍ**

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢١١، ينظر: ٧، ١٥٢.

(٢) الكافي: ١/١١٦ ح٦.

(٣) التقابل الدلالي في نهج البلاغة: ١٣٩.

وآله كأفضل ما صَلَّيت على أحدٍ من خلقك قبلَهُ وأنْتَ مُصلٌّ على أحدٍ بَعْدهُ»[١].

أورد التقابل بين الظرفين (قبل) و(بعد) بدلالتهما على الاطلاق في بيان منزلة الرسول ﷺ وإله الطاهرين وفضلهم على العاملين.

وبهذا قد افاد التقابل بين الظرفين الاشارة إلى هذه الخصيصة التي خص بها الله رسوله وآله من دون الانبياء والاوصياء، وقصد الإمام التلويح ضمناً إلى خلافة أهل البيت والتي لم يعرفها أهل الأرض، فقد شرف البارئ الرسول واله بأن جعلهم اشرف الكائنات في هذا الوجود وكافأ الرسول بما قدّم وضحى في سبيل الكتاب والشريعة، وهداية الناس إلى الحق، بعد ما كانت الامة تعيش حياة الظلم والجهل والضلالة.

وقد استعمل الإمام عليه السلام الظرفين ومالهما من دلالة زمانية غير محدودة في بيان سعة هذه المنزلة، إذ الغرض من التقابل بين الظرفين (قبل) و(بعد) هو شغل الحيز الزماني حتى يستغرق الوجود كله[٢] وإن الصلاة على النبي مستمر في الماضي حتى الحاضر ويمتد إلى المستقبل.

ب - التقابل الظرفي المكاني:

وقد يرد التقابل بين الظروف الدالة على المكان مثلما ورد في الظروف الدالة على الزمان، ومن ذلك ما ورد في قوله عليه السلام في سياق الحديث عن منزلة الرسول وفضله وآله الاطهار:

«ربِّ صَلِّ عليه وعليهم صلاةً. . . وملء سمواتك وما فوقهن وعدد أرضيك وما تحتهن وما بينهم صلاةً تقربهم منك زلفى»[٣].

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٥.

(٢) التقابل الدلالي في نهج البلاغة: ١٣٧.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٥٨، ينظر: ١٩٥، ٢٤.

يرد التقابل بين ظرفي مكان مطلقين مضافين، التقابل بين (فوق) و(تحت)، ليعبر عن العلو بالظرف (فوق)، وعن السفل بالظرف (تحت)، وهما بهذا يمثلان اتجاهين معروفين هما (السموات) و(الأرض) لذلك ذكرهما بعد كلمتي (السموات والأرض) لتأكيد الدلالة المكانية، واللافت للنظر أن الإمام عليه السلام قد ذكر هاتين الجهتين دون غيرهما، لانه أراد بيان مدى المنزلة العظيمة التي شرف الله تعالى بها رسوله الكريم وآله الاطهار، لذلك وردا مضامين إلى ضمير دال على الجمع يعود على السموات والأرض لإفادة الخصوصية التي احاطت الرسول وأهل بيته، فقد قيل أنه عني بـ (السموات وما فوقهن، والأرضين وما تحتهن) الفضاء الواسع الممتد، مثلما كشف العلم الحديث، بأن جعل كل أرض متوسطة لسماء فأرض وسماء محيطة بها، وهكذا قرباً وشرفاً لمنزلة الرسول وآله من البارئ جل شأنه، وإلَا فسبحانه منزه عن المكان، وانما الصلاة تكون رضى للمعطي والمعطى له[1].

يرد التقابل بين ظرفين من الظروف المكانية الأخرى، هو التقابل بين (بين ايدينا) و(خلفنا) بصيغة الجمع في سياق الدعاء للحفظ من كل شرَ في قول الإمام عليه السلام: «**أللّهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شَمَائِلِنَا، وَمِنْ جَمِيْعِ نَوَاحِيْنَا حِفْظاً عَاصِماً مِنْ مَعْصِيَتِكَ هَادِياً إِلَى طَاعَتِكَ**»[2]، وقيل في دلالتها وجهان:

الأول: قيل إن المعنى: (من بين ايدينا): بأن يفترنا الشيطان عن الرغبة في سعادات الآخرة و(من خلفنا): أي يقوي رغبتنا في لذّات الدينا وطيباتها، فالآخرة بين ايديهم - لأنهم يردّون إليها ويقلّبون عليها - ،

(١) ينظر: شرح الصحيفة السجادية: ٤٠٩ - ٤١٠.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٥.

والدنيا خلفهم لأنهم يخلفونها، و(عن ايماننا) أي يفترنا عن الحسنات و(عن شمائلنا): يرغبنا في الباطل[١].

الثاني: دلّا على الجهة، بدليل ذكر الجهات الأربع في الدعاء، وهو الوجه الارجح بدليل السياق، فقط ذكر الإمام عليه السلام (الأمام) و(الخلف) و(اليمين) و(الشمال) فذكر بذلك الجهات الأربع المحيطة بالإنسان[٢]، وهو مواقع وساوسه التي يحذر منها، أما (من بين يديه) فبأن يؤمّنه من مكر الله ويغّره بان الله غفور رحيم فلا تخف، فتثبطه عن الطاعات، واما (من خلفه) فبأن يخوفّنه من الفقر وضيعة الأولاد من خَلفه، فيحرّصه على الجمع والإدّخار لهم ولنفسه في المستقبل عند تأميله طول العمر، وأمّا (عن جهة اليمين) فبأن يزين عليه فضائله ويعجبه بفضله وعلمه وطاعته ويحجبه عن الله برؤية فضيلته، وأمّا عن (شماله) فبأن يحمله على المعاصي والقبائح ويدعوه إلى الشهوات واللذات، وثم ذكر جميع الجوانب وهذا تعميم بعد تخصيص فيدخل فيه الفوقية والتحتية لاحتمال إتيان المكروه منهما[٣].

وهنا يتضح هدف الإمام من التقابل وهو تحذير الإنسان في النظر في هذه الاتجاهات الأربع وان يجعل على كل جهة حارساً يحرسه من الفساد والهلاك، بان يجعل مخافة الله عن يمينه حتى لا يعصى الله، والرجاء عن شماله ليكون حسن الظن بالله ورحمته، والعلم بين يديه ليبتعد عن التجسّم والتشبيه، والتفكير عن خلقه، ليدرك الامور بمقاليدها فيبتعد عن الشبهات والمعاصي[٤].

---

(١) ينظر التفسير الكبير: ١٤/ ٣٤، ينظر: انوار التنزيل: ١/ ٣٣٥.
(٢) ينظر: انوار التنزيل: ١٤/ ٣٥.
(٣) لوامع الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: ٢/ ٣٧٤-٣٧٥.
(٤) م. ن: ٢/ ٣٧٥ وما بعدها.

المبحث الثاني

التقابل الأسلوبي

الأسلوب هو الرسالة التي تحملها العلاقات الموجودة بين العناصر اللغوية لا في مستوى الجملة وإنما في إطار أوسع منها كالنص أو الكلام[١] فالأسلوب يقوم بإعطاء خصوصية وفرادة للعمل الأدبي دون غيره، نتيجة ما يشيعه من نظام يظهر على شكل نسيج للعمل الأدبي بنوعيه الصوتي والدلالي[٢] لقد أصبح في حكم الثابت أن الأسلوب تقانة تُسْتَخدم لنقل الأفكار وتصوير الخواطر، وأن الأسلوبية آلة تعمد إلى تفكيك الأسلوب للوقوف على عناصره وعلاقاته، لأن الأسلوب لغة تتميز بالاكتفاء الذاتي وتغرس جذوره في أسطورية المؤلف الذاتية السرية[٣].

فهو يفتش عن حركة الزمن من خلال بحثه عن مجموعة الأفعال الماضية والمضارعة واتجاهاتها ودلالاتها، ودور ذلك في إثراء المضمون الذي يجهد النص في ابرازه وجعله في بؤرة اهتمامات القارئ، من خلال

---

(١) ينظر: الأسلوب والأسلوبية: عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، طرابلس - ليبيا، ط٣، د. ت: ٩١.

(٢) ينظر: علم الأسلوب - مبادئه وإجراءاته - :د. صلاح فضل، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٥، د. ط: ٨١.

(٣) ينظر: الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي: د. عدنان حسين قاسم، الدار العربية للنشر والتوزيع، مدينة نصر، ١٤٢١ - ٢٠٠١م: ١٣٨ - ١٣٩، ينظر: علم الأسلوب: ٨٣.

إدراك الفارق بين اللغة من حيث كونها نظاماً ثابتاً له قوانينه، وبين الإبداع في امتلاكه القدرة على التحرر من رتبة ذلك النظام[١].

وهو بهذا لا يختلف عن المعنى المعجمي فالأسلوب في اللغة: (الطريق، والأسلوب: بالضم: الفن، قال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي: افانين منه)[٢] وقد تعددت وجهات النظر - في عصرنا - بين من يجد أن ما جاء به النقاد القدامى لا يختلف كثيراً عما جاء في الدراسات الحديثة، وأن مفهومهم لا يختلف كثيراً عن مفهومنا للأسلوب، فقد ذهب محمد عبد المطلب إلى (أن كلمة الأسلوب قد أخذت مفهوماً فنياً على نحو قريب مما عليه في الدراسات الحديثة)[٣].

ويشير أحمد بدوي إلى ذلك بقوله: (الأسلوب عند نقاد العرب كما هو عندنا اليوم، الطريقة الخاصة التي يصوغ فيها الكاتب أفكاره، ويبين ما يجول في نفسه من العواطف والانفعالات)[٤].

في حين ذهب الفريق الآخر إلى أن النقاد العرب القدماء جاءوا بشيء مقتضب يفتقر إلى الدقة، يقول د. أحمد الشايب: (أما حديثهم عن الأسلوب فكان مقتضباً غير قائم على أصول نفسية عميقة ولا منظمة)[٥].

ويبدو أن المقارنة تغدو ظالمة إلى حد بعيد، لأن النقاد العرب القدماء

---

(١) م. ن: ١٣٨ - ١٣٩.

(٢) العين (سلب): ٧/ ٢٦١، ينظر: لسان العرب: ١/ ٤٧٣.

(٣) التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث: د. سامي محمد عبابنة، عالم الكتب الحديثة، إربد - الأردن، ط١، ٢٠٠٧م: ٦١.

(٤) أسس النقد الأدبي عند العرب: أحمد أحمد بدوي، ط٣، دار نهضة، مصر، الفجالة، ١٩٦٤: ٤٥٣.

(٥) الأسلوب: أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٨، ١٩٩٠: ٧٨.

قدموا ما يتلائم مع رؤيتهم وطبيعة عصرهم ومجمل اهتماماتهم، والدليل على نضج التفكير النقدي القديم تعريف ابن خلدون للأسلوب: (القالب الكلي المجرد في الذهن)[١].

(وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويعيرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها فيه رصاً... حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار اللسان العربي فيه)[٢].

وقد ركزت جل الدراسات الأسلوبية التي اهتمت بالنص على عملية عُدّت جوهرية في تحديد الأسلوب، هي ما عرفت بالانحراف عن الشائع والمستعمل في الأدب لا عن لغة التخاطب اليومية فحسب، مما يحقق خصوصية وفرادة للنص، ويكون الأسلوب - حينئذ - هو نوعية اللغة التي توصل بدقة العواطف والأفكار، أو نظام العواطف والأفكار الخاصة بالكاتب[٣]، إذ يهدف مثل هذا الانحراف إلى إحداث المفاجأة لدى القارئ، وهو ليس أي انحراف وإنما هو الخروج والانحراف الذي يثري ويفيد، فهو (تولد اللامنتظر من خلال المنتظر)[٤]، وهذا ما تميزت به الصحيفة السجادية بأسلوبها الرفيع، فهي لم تكن مجرد أدعية يقرؤها العبد، وإنما كانت ثورة فكرية بعد واقعة الطف، وما جرى على أهل

---

(١) مقدمة ابن خلدون: لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ضبط وشرح وتقديم، د. محمد الاسكندراني، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ٥٢٤.

(٢) م. ن: ٥٢٢.

(٣) ينظر التفكير الأسلوبي: ٦١.

(٤) ينظر: الأسلوب والأسلوبية: ١٠٣.

البيت عليهم السلام من خلال استخدام الصور البيانية من (مجاز وتشبيه واستعارة وكناية) لعرض مختلف الموضوعات التربوية الدينية، فهو تعليم الدين والأخلاق في أسلوب الدعاء، أو دعاء في أسلوب تعليم للدين والأخلاق، من خلال تقديم صور ومشاهد ومواقف قدمها الإمام من خلال ادعيته في الصحيفة السجادية، فهي بحق تُعد بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة زبور آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

١ - التقابل الدلالي بين الصور:

لم تخلُ الصحيفة السجادية من جانب التصوير، بل كثيراً ما نجد صوراً متعددة متناسبة من خلال التعابير المتقابلة، ولاسيما التراكيب المعتمدة في عرضها على طريقتين متأثراً بذلك بأسلوب القرآن الكريم[١].

الأول: تقديم المعنوي المجرد من خلال الحسي العيني، وهذا أمر يتم عن طريق إحلال طائفة من الصور الحية محل طائفة من المعاني المجردة، تمثيلاً لتلك الأخيرة، وتمكيناً لها من ان تتخيل في الذهن كما تتخيل المتحققات.

الثاني: عن طريق التشخيص الذي يقوم على خلع الإنساني على الكائنات الحية والجامدة المعنوية وغير المعنوية، مما هو غير إنساني[٢]، (فالصورة أداة فنية لاستيعاب الشكل والمضمون بما لها من مميزات وما بينها من نتائج تجعل الفصل بينهما مستحيلاً، إذ هي مجموعة من العلاقات اللغوية والبيانية والإيحائية القائمة بين اللفظ والمعنى أو الشكل

---

(١) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٤٨.

(٢) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: د. جابر عصفور، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣: ٢٦٨.

والمضمون)[١] فهي تعرب عن تدفق تخييلي لمشاعر الإنسان وعواطفه، لذلك كان دورها في الجملة أساسياً لا يمكن إغفاله[٢].

ولعل أكثر التعريفات التي تقترب من تعريف الصورة تعريف د. صالح أبو إصبع، الذي يقول: (الصورة تركيب لغوي لتصوير معنى عقلي عاطفي متخيل، والعلاقة بين شيئين يمكن تصويرهما بأساليب شتى، أما عن طريق المشابهة أو التجسيد أو التشخيص أو التجريد أو الترسل)[٣].

وتعددت الصور التي ادى التقابل إلى بيانها في الصحيفة السجادية، من خلال استخدام التعبيرات المجازية (كالاستعارة والتشبيه والكناية) التي وجدت مجالها الرحب (للتوليد والتجويد، لأنها تكشف عن صور جديدة ومعانٍ بديعة)[٤]، ومما ورد من صور في الصحيفة السجادية:

أ - قال الإمام السجاد عليه السلام في تصوير حال العبد التائب العارف بذنبه: «**إلهي ألبستْنِي الخَطَايَا ثَوْب مَذَلّتِي وَجَلَّلِني التَّباعُدُ منك لباسَ مسكنتي وأمات قلبي عظيم جنايتي، فأحيه بتوبةٍ منك يا أملي وبغيتي**»[٥].

نلمح من خلال النص أن الإمام السجاد عليه السلام عبَّر عن حالتي الإماتة والإحياء في صورتين متقابلتين، من خلال استعمال التعبير المجازي، فقد أسند، الاحياء إلى التوبة، فجعل التوبة لله تعالى بمكان احياء للقلب الذي

---

(١) الصورة الفنية في المثل القرآني: د. محمد حسين علي الصغير، دار الهادي، بيروت لبنان، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م: ٢٨ - ٢٩.

(٢) ينظر: التمهيد في النقد الأدبي: روز غريب، دار المكشوف، بيروت، ١٩٧١: ٢٠٦.

(٣) الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٥٧: د. صالح أبو أصبع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٩: ٣١.

(٤) البلاغة العربية (المعاني والبيان والبديع): د. أحمد مطلوب، د. كامل حسن البصير، ط١، مطابع التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٠: ٢٠٧.

(٥) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢١٤.

أماته الذنوب. ويلاحظ ما للتجسيد من أثر في رسم الصورتين، بإن جعل (التوبة) هي التي تحيي، و(الذنوب) هي التي تميت، فألبس بذلك غير المحسوس لبوس المحسوس لتحول معاني الأشياء إلى معاني أشياء جديدة من دون أن تفقد تواصلها مع المعاني الأولى(١) وذلك بأن جعل من التوبة لله - تعالى - والعمل بمرضاته وإطاعته إحياء للقلب الذي بدونها وبارتكاب تلك الذنوب العظيمة إماته للقلب.

ونلاحظ أن كلاً من الدلالة الصرفية والدلالية المعجمية بالوقت الذي اسهمت في إثراء النص دلالياً، فقد استشعرتا من خلال عرض صَوْتَي الإحياء والإماتة أن العبد في موقف استذكار لتلك الخطايا والذنوب التي تمثل حمل ثقيل ينوء بحمله، لذا فالموقف جملة تفصيلاً يتطلب التوسل والخضوع ومداومة السؤال بالتوبة والمغفرة وبما يوازي تلك الخطايا والذنوب، ومن خلال النص يتراءا لنا أن للمناجيات منزلة خاصة واسلوباً مختلفاً عن بقية أدعية الصحيفة السجادية، إذ للمناجيات جوها النفسي والوجداني الخاص بها، لأن المناجي يرتل تلك الكلمات وقد عاش الهيام الروحي الخالص مع الذات المقدسة وهذا الوجد الروحي يترك ظلاله بوساطة ألفاظ التقديس والتوسل المشحونة بحب الاله ورجاء عطفه وتجاوزه عن تلك الخطايا فهو - الداعي - يجد بدعائه ومناجاته نعمة عظمى وروحاً وراحة نفسية تزيح عنه ثقل هذه الخطايا والذنوب(٢).

ب - قال الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء له يعرض لنا صورة جهنم وأهوالها في سياق الدعاء: «**أَللَهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مَنْ نَار تَغَلَّظْتَ بِهَا**

---

(١) ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار المعارف، مصر، د.ت، ٦٣.

(٢) ينظر الصحيفة السجادية (دراسة اسلوبية): ٣٣ - ٣٤.

عَلَى مَنْ عَصَاكَ، وَتَوَعَّدْتَ بِهَا مَنْ صَدَفَ عَنْ رِضَاكَ، وَمِنْ نَار نورُهَا ظُلْمَة وَهَيِّنُهَا أَلِيمٌ، وَبَعِيدُهَا قَرِيبٌ، وَمِنْ نَار يَأْكُلُ بَعْضَهَا بَعْض، وَيَصُولُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْض، وَمِنْ نَار تَذَرُ الْعِظَامَ رَمِيماً، وَتَسْقِي أَهْلَهَا حَمِيماً، وَمِنْ نَار لَا تُبْقِي عَلَى مَنْ تَضَرَّعَ إِلَيْهَا، وَلَا تَرْحَمُ مَنِ اسْتَعْطَفَهَا»[1].

فالقراءة المتأنية للنص تعرفنا بما احتواه النص من مضامين فكرية دلالية متعاضدة، استطاع الإمام عليه السلام إيصالها بتوظيف جانبي التحذير والتهويل على حد سواء، إذ اعتمده في تصوير تلك الافكار والكشف عن صورة النار من خلال استعمال الصيغة الماضية في وصف غلظة هذه النار (تغلَّظتَ) و(توعَّدت) الذي خرج إلى الزمن المطلق لبيان حال الاستمرارية والديمومة المتجددة في صب عذابها وغضبها على العاصين. فقدم من خلال تصوير احوال جهنم صورة نابضة بالحركة، والحركة هذه تدب في كل جزيئة من جزيئاتها المتقابلة، فشدة تضرُّم جهنم تحيل (نورها) إلى (ظلمة) و(هينها) إلى (أليم) تلفح من دنا منها بألسنة من اللهب تجعل (البعيد) منها (قريباً)، وهكذا يتساوى في هذه «النار» النور والظلمة، والهين والأليم، البعيد والقريب لتصوير هول غضب البارئ تعالى على من اعرض عنه وعصاه، فلشدة حَرِّها وإحراقها لا يتفاوت بالنسبة إلى من قرب منها أو بعد عنها.

ويتضافر الجار والمجرور في اكمال رسم صورة النار من خلال دلالة حرف الجر (الباء) في (بها) في دلالتها على السببية، في إيضاح ان الله تعالى جعل هذه النار وعيداً لمن أعرض عن مرضاته.

ويلاحظ دقة التصوير وبلاغة البيان في اسناد الإمام السجاد عليه السلام

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٠٦ - ١٠٧.

الفعل إليها - النار - فكانت (آكلة) لبعضها (صائلة) على (بعضها) تاركة العظام (رميماً) ساقية أهلها (حميماً) ثم يعود بعد ذلك ليسلب منها الفعل ويسومها بالانفعال (لا تبقي، لا تقدر) نافياً عنها القدرة على التصرف والتخفيف عمن دخلها، لأنها مأمورة بأن تلقي سكانها بأحر النكال وأشد الوبال[١].

ويرى صاحب رياض السالكين: (ان تكرار ذكر النار مع أنّ المراد بها نارٌ واحدةٌ للإيذان بإن كل واحدة من الصفات المذكورة صفة هائلة خطيرة جديرة بأن يُفرَدَ لها موصوفٌ مستقلٌ ولا تجعل كلهّا لموصوف واحد)[٢].

ت - قال الإمام السجاد عليه السلام يصف ما يعترض الإنسان من نائبات الدهر في سياق النداء: «**يا من تُحلُّ به عقد المكاره ويا من يفثأ به حد الشدائد ويا من يلتمس منه المخرج إلى روح الفرج**»[٣].

يعرض الإمام السجاد عليه السلام في النص صورتين متقابلتين، يصوِّر بهما حال العبد الذي حلت به أعباء ثقيلة بالغة الاجهاد والمشقة، ولا يجد حلاً لها إلَّا لطف الله تعالى، فتتجلى روعة التصوير، إذ اضفى على المكاره سمات الحبال المعقودة بجامع الالتواء والصعوبة في التعقيد، مبرزاً بذلك الأثر النفسي الذي يتركه احتباك اغلال الملمات بوصفها مضادة لما تطمح إليه النفس الإنسانية من الانعتاق وحرية العيش بأمان وطمأنينة.

وفي إثبات صيغة المضارع (تحل) لله تعالى، إشعار بقدرته المطلقة في تفسير الأمور وحلها، وجاءت الدلالة الإيحائية لصيغة المضارع باستمرار رحمة الله تعالى في تفريج الهم ودفع المكاره عن العباد لسعة رحمته.

---

(١) ينظر: الصحيفة السجادية (دراسة اسلوبية): ١٢٦.

(٢) رياض السالكين: ٥/١١٣.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٨.

وكان لتقديم الجار والمجرور في سياق الدعاء أثر في بيان أن تصرف الأشياء وانقيادها بيده تعالى فلا يؤمل دفع مكروه ولا استجابة محبوب إلَا بقدرته وإرادته، فالأشياء صائرة إليه لأمره مستجيبة لإرادته.

وكما إن للدلالة المعجمية أثرها في رسم الصورة، فالدلالة الصوتية لها أثرها الواضح لإكمال هذه الصورة وتوضيح الهدف منها، إذ إن للصوت دلالة إيحائية وتعبيرية بحيث تقوم بتمثيل معنى معين ومحاكاته لإيصال دلالات ترسم مع بقية عناصر السلسلة الكلامية عناصر هذه الصورة، منها استحضار صفات الحرف في بنية الفعل (تحل) المكون من (التاء والحاء واللام المشددة) التي ترسم لنا صورة الانحلال التدريجي للمكاره.

فاجتماع هذه الأصوات التي تكون بين الشدة والرخاوة[١]، والتي تمثل حالة الانفراج التدريجي غير المحسوس للملمات يرافق ذلك التناسب المعنوي الناشئ من إضافة لفظة المكاره إلى العقد، ووصف المكاره بالانحلال من دون غيره من الأوصاف، لإن الانحلال لا يكون إلَا لما يعقد من الأشياء.

ث - قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام في باب الدعاء لله تعالى والتذلل إليه: «**وَافْعَلْ بِي فِعْلَ عَزِيز تَضَرَّع إلَيْهِ عَبْدٌ ذَلِيلٌ فَرَحِمَهُ أَوْ غَنِيٍّ تَعَرَّضَ لَهُ عَبْدٌ فَقِيرٌ فَنَعَشَهُ**»[٢].

يقابل الإمام عليه السلام بين صورتين اجراها مجرى المثل، أي: افعل بي مثل فعل السلطان العزيز بالنسبة إلى العبد الذليل، أو مثل فعل الغني القوي الذي إذا جاء إليه عبدٌ فقير محتاج متعرضاً له بالسؤال فجبر فقره.

---

(١) ينظر: مناهج البحث في اللغة: ٨٧-٨٨، ينظر: دراسة الصوت اللغوي: ٢٨٤ - ٢٨٧.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٩٩.

فالإمام عليه السلام يعمد من خلال عرض صورتين تجسد كيفية العبد المنكسر الذليل في جنب الله تعالى، وقد أراد بـ (فعل عزيز تضرع إليه عبدٌ ذليل) نفسه إلَا إنه تجرد منها بقصد المبالغة في وصفها وكأنما أراد لها أن تبلغ حداً من الذلة والمسكنة في جنب عظمة الله تعالى وعزته، لتكون هذه الصورة - صورة العبد الذليل - مثالاً يطمح في الوصول إليه كل عبد عارف بعظمة الله تعالى ومدرك ضعفه وعجزه في هذا الكون حتى يبلغ غايته في الحصول على الرحمة الإلهية، لأن هذا الاعتراف يكون بمثابة الدرجة التي يستطيع بها أن يقترب إلى الله تعالى ويكون أجدر بالفوز برضوانه.

ومجيء كلا الطرفين بصيغة الصفة المشبهة (فعيل) بدلاتها على الثبوت والرسوخ يوضح عموم العزة والغنى للباري تعالى، وعموم الذلة والفقر للعبد في جنب عظمة البارئ تعالى.

ج - قال الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء له يصور حياة الإنسان من مبدئها إلى اكتمال خلقتها تصويراً دقيقاً، يرسم من خلاله مراحل هذه الحياة، في سياق الدعاء: «**أللهُمَّ وَأنتَ حَدَرْتَنِي مَاءً مَهِيناً مِنْ صُلب، مُتَضَائِقِ الْعِظَامِ حَرِجِ الْمَسَالِكِ إلَى رَحِم ضَيِّقَة سَتَرْتَهَا بِالْحُجُبِ تُصَرِّفُنِي حَالاً عَنْ حَال حَتَّى انْتَهَيْتَ بِيْ إلَى تَمَام الصُّورَةِ وَأَثْبَتَّ فِيَّ الْجَوَارحَ كَمَا نَعَتَّ فِي كِتَابِكَ نُطْفَةً ثُمَّ عَلَقَةً ثُمَّ مُضْغَةً ثُمَّ عِظَاماً ثُمَّ كَسَوْتَ الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْتَنِي خَلْقَاً آخَرَ**»[١].

ومن خلال هذه الكلمات البليغة صور مراحل الخلق التي يمر بها الإنسان مرحلة الضعف والوهن والمتمثلة بالنطفة الدقيقة من خلال تصوير بديع خلق الله تعالى بشكل يفوق الخيال، ثم ينتقل إلى مرحلة الخلق المتكامل بإتمام صورة هذا المخلوق بأحسن تقويم، مشيراً بذلك إلى قوله

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة، ١٠٥.

تـعـالـى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

ويكتشف من خلال عرض هذه الأطوار التي يمر بها كل انسان، صوّرت تصويراً حتى كأنه يتراءئ للقارئ، وقد اعتمد في تصويره على اظهار حالتي (الضعف والقوة) المتقابلين وان لم يصرح بهما وذلك من خلال رسمه لهذه الصورة الموحية، إذ منحت الضعف إيحاءات كثيرة شملت: ضعف بنية المخلوق وتكوينه والمتمثلة بـ (الماء المهين، الصلب المتضايق، الرحم الضيق)، في حين اشعرت القوة في هذه الأشياء مجتمعة بعد انتهاء التكوين والمتمثلة بـ (تمام الصورة، إثبات الجوارح).

والقصد من بيان هذه المتقابلات بالإنسان، إظهار القدرة الإلهية المتمثلة بتحويل هذه النطفة القذرة التي هي في غاية الضعف إلى بدن متكامل الاعضاء بافاضة صورة جميلة يُدهَش العقل في تصور تكوينها.

٢ - التقابل الدلالي بين المواقف:

ويقصد به (أن يصدر من الإنسان موقفان يتناقض أحدهما مع الآخر، وقد يكون ذلك التناقض فطرياً مصدره النفس بما جُبلت عليه من سجايا متقابلة كالأمن والخوف والرغبة والرهبة، أو قد يكون ذلك التناقض نتيجة للتباين في المواقف التي يتخذها الإنسان في حياته، وهذا مما يتبع بناء الشخصية الإنسانية وسلوكها في الحياة)(١).

(١) خطب نهج البلاغة - بحث في الدلالة: أحمد هادي زيدان، رسالة ماجستير كلية التربية، جامعة بابل، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م: ٢٧٨ (قرص CD).

وقيل إن الموقف هو «**حدث ذو أهمية أو اختيار لحال من الاحوال الفكرية أو النفسية أو الاجتماعية، ويجري التقابل بين المواقف كما يجري بين الصور والمشاهد**»(١).

وبما أن الإمام سيد الساجدين عليه السلام ربيب البيت المحمدي والقرآن الكريم فقد جاء متأثراً بإسلوب القرآن ليس فيما يخص موضوعات التقابل الموقفي فحسب بل في مجمل موضوعات الصحيفة السجادية، لذا جاء التقابل الموقفي في نطاق العقائد والقيم الدينية التي جاء بها الإسلام وما يضادها من قيم عاش عليها الإنسان وألفها وكانت في حقيقتها وواقعها ضالة ضارة.

وما ورد من ذلك في الصحيفة السجادية في دعاء الإمام عليه السلام عند التذلل لله تعالى وبيان موقف رب العزّة وموقف العبد بتصوير فني رائع صيغت بإسلوب الشرط: «**ثُمّ أَمَرَنَا لِيَخْتَبِرَ طاعَتَنا، وَنَهانَا لِيَبْتَلِيَ شُكْرَنَا فَخَالَفْنَا عَنْ طَرِيْقِ أمْرِهِ وَرَكِبْنا مُتُونَ زَجْرِهِ فَلَم يَبْتَدِرْنا بِعُقُوبَتِهِ، وَلَمْ يُعَاجِلْنا بِنِقْمَتِهِ بَلْ تَأنَّانا بِرَحْمَتِهِ تَكَرُّماً، وَانْتَظَرَ مُراجَعَتَنَا بِرَأفَتِهِ حِلْماً**»(٢).

فهنا موقفان مضادان:

الأول: موقف البارئ تعالى مصوراً رحمته التي وسعت كل شيء، فهو لم يسارع في معاقبة المسيء بل رفق به رحمةً منه وتحنناً، لذلك جعل الالفاظ حقيقية فيه مجازاً فيما تجاوز عنه، لذلك استخدم الفعل(تكرّم) أي بالغ في الكرم وهو ناسب المقام، وتأنانا برحمته تنزّهاً عن معاجلتنا

(١) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٦٠، ينظر: التقابل الدلالي في نهج البلاغة: ١٥١.

(٢) الصحيفة السجادية: ١٠، ينظر: ١٠-١١.

بالعقوبة لأن المعاجلة شأن من يخشى الفوت وهو - تعالى - منزّه عن ذلك فعبّر عن الكرم بـ (التكرّم) إشعاراً بأنهم لا يستحقّونه، فكأنما - سبحانه - تكّلف الكرم فيهم، ففي الكلام استعارة وكذا الحال في (تأتانا).

ليبين انه - تعالى - لشدة حلمه على عباده ترقبهم رأفةً منه ليعودوا إليه بامتثال أوامره واجتناب معاصيه، فناسب استخدام لفظة الرأفة، إذ هي أشد الرحمة وأبلغها وهذا من الفيض الإلهي على العباد.

الموقف الثاني: هو موقف العبد الذي عدل عن جادة الصواب بعد الاستطاعة واعرض وحال عنه خطأً منه وتقصيراً وغفلة متخذاً من عظائم مناهيه سبيلاً في دنياه وطريقاً إلى آخرته، بالرغم من كل النعم التي أنعم بها الله تعالى عليه، ويتضح من الموقفين المتقابلين شكلاً ووصفاً، أن في كل موقف جزيئات يتسق بعضها مع بعض من ناحية فن الرسم وفن العرض ويتسق مع ما يمثله من المشاعر والمعاني التي رسم الموقف كله لتمثيلها وتشخيصها وإحيائها[1].

ففي امهال البارئ تعالى العاصي وعدم معاجلته بالعقوبة، بيان لحكمته بأن لا شيء أبغض إلى الله تعالى من أن يشقى عبده بعذابه، ولا أحبّ إليه من أن ينعم بثوابه.

ويلاحظ أنّه أفرد طريق الأمر وجمع متون الزجر، لأنّ طريق أمره واحد، بخلاف متون الزجر -لكثرة اختلاف طرق الضلال، ويحتمل ان يكون المراد بـ (المتن) الظهر، فعلى هذا يكون في قوله عليه السلام (وركبنا متون زجره) استعارة مكنية وتخيلية وترشيحية، إذ شبه الزجر - أي

(١) ينظر: في ظلال القرآن الكريم: ٣/ ٤٥٢.

التحلي: بالمطية واثبات المتن أي: الظهر - له تخييل، واثبات الركوب له ترشيح لتصوير حال العبد العاصي بالرغم من معرفته بهذا الذنب[١].

وفي نمطين آخرين من المواقف المتقابلة، موقف آخر منتزع من صميم الحياة الاجتماعية للتدليل به على أمر عقيدي يتعلق بعبادة الله تعالى، والعمل بالمبادئ الإسلامية التي نص عليها الدين الحنيف، لبيان موقف المؤمن وموقف المسلم بإسلوب طلبي: «**أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَدِّدْنِي لِانْ أعَـارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْـحِ، وَأَجْـزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ وَأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِالصِّلَةِ وأُخَـالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ**»[٢].

فيصور هنا موقفين:

الأول: موقف المؤمن الذي يعمل بما أمر الله به من المبادئ الإسلامية من التوفيق في اسداء النصيحة وإرادة الخير للمنصوح له قولاً وفعلاً، والعمل بالبر، لانها من الاعمال العظيمة التي تزيد من الخير والفضل والصلة، ويكون من أهل السماح والاعطاء، ولعل ترك الغيبة من أهم المبادئ التي حرص الدين عليها، إذ فيها أثر على حياة المجتمع وعرضه وماله، فقد روي في الحديث عن الرسول ﷺ: **(من اغتاب مسلماً أو مسلمةً لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلةً إلّا أن يغفر له صاحبه)**[٣].

الثاني: موقف المسلم وهنا يتضح الفرق بين المسلم والمؤمن، فالمسلم هو من نطق الشهادتين ولا يشترط ان يكون ملتزماً بمبادئ الدين

---

(١) ينظر: لوامع الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: ١/ ٥٤٨.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٦٠-٦١.

(٣) بحار الانوار: ٧٢/ ٢٥٨.

الإسلامي، فقد يكون من أهل الغش والعقوق والقطيعة والغيبة، والقيام بالاعمال القبيحة، والتحلي بالصفات الذميمة.

وأراد من تصوير الموقفين أنه ما اقبح حال من اغفله الشيطان عن عيوب نفسه واشغله بعيوب الناس، وما أحسن حال من اشغله عيوب نفسه عنها[١].

ويلحظ في هذه الفقرة من الدعاء الايجاز، إذ كانت العناية بالطرف الأول - موقف المؤمن - اكثر، لأنه هو الغاية وهو موضوع الحديث، لأن المؤمن من ثابر على عبادة الله عارفاً بحقه عاملاً بما امر به من واجبات وحقوق، على حين قلَّل أو ألغى الحديث عن الطرف الثاني المقابل لعدم اعتباره[٢] وهنا يتضح أن التقابل بين المؤمن والمسلم تقابل تخالف لا قابل تضاد، فالمؤمن ليس ضد المسلم وإنما يختلف عنه في الصفات.

ومن المواقف التقابلية الأخرى التي جاءت في الصحيفة السجادية موقف (سؤال الله تعالى) وموقف (سؤال غيره) من خلال عرض ما يطلب صاحبهما في دعاء الإمام السجاد عليه السلام في طلب الحوائج إلى الله تعالى بإسلوب شرطي: «**يَا مَنْ لَا يُعَنِّيه دُعَاءُ الدَّاعِينَ تَمَدَّحْتَ بِالْغَنَاءِ عَنْ خَلْقِكَ وَأَنْتَ أَهْلُ الْغِنَى عَنْهُمْ، وَنَسَبْتَهُمْ إِلَى الفَقْرِ وَهُمْ أَهْلُ الْفَقْرِ إِلَيْكَ. فَمَنْ حَاوَلَ سَدَّ خَلَّتِهِ مِنْ عِنْدِكَ وَرَامَ صَرْفَ الْفَقْر عَنْ نَفْسِهِ بِكَ فَقَدْ طَلَبَ حَاجَتَهُ فِي مَظَانِّها وَأَتَى طَلِبَتَهُ مِنْ وَجْهِهَا وَمَنْ تَوَجَّهَ بِحَاجَتِهِ إِلَى أَحَد مِنْ خَلْقِكَ أَوْ جَعَلَهُ سَبَبَ نُجْحِهَا دُونَكَ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْحِرْمَانِ، وَاسْتَحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَوْتَ الاِحْسَانِ**»[٣].

---

(١) ينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: ١٦٢.

(٢) ينظر: م.ن: ١٦٢.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة: ٣٩.

قد تمتزج المواقف بالمشاهد أو الاعمال بالنتائج، كامتزاج سؤال الله تعالى بتحقيق المبتغى وامتزاج سؤال غيره بخيبة الامل والخسران، فيصور الإمام السجاد عليه السلام هنا موقفين:

الأول: موقف العارف بالله فلا يسأل غيره، فهو الغني من جميع الجهات والحيثيات وان الإنسان هو عين الفقر والاحتياج مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

لذلك لا يطلب اصلاح فقره وفاقته إلَّا من مواقعها وهو الله تبارك اسمه وهو بذلك عرف وجهته فأقبل عليها.

فهو - العبد العارف المدرك ان رفع الحاجة إلى المخلوق المحتاج في انجاح حاجته إليه زلةٌ من عمل الخاطئين، لأن الفقير لا يمكنه ان يعطي احداً شيئاً ففاقد الشيء لا يعطيه.

الثاني: موقف العبد الذي يسأل غيره - تعالى - في جعل قضاء حاجته إلى احد من خلقه، فتصدى بذلك لغضب الجبار، فاستحق الحرمان من حاجته، لأن طلب الشيء من غير موضعه ومعدنه موجب للحرمان وفوت الاحسان وقد روي في الحديث القدسي ما يدل على هذا المعنى صريحاً: «**وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لأقطعنِ أمل كل مؤمِّل غيري باليأس ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس ولأنحِّينه من قربي ولأبعدنه من فضلي أيؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي؟! ويرجو غيري ويقرع باب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني**»[١]

---

(١) بحار الانوار: ٦٨/ ٣٠.

٣ - التقابل الدلالي بين المشاهد:

يكاد أصحاب المعجمات يتفقون على أن اصل المشهد في اللغة يقتضي حضورا من الناس، يقال: (المشهد مجمعُ النّاس، والجمع: مشاهدُ، ومشاهد مكّة: مواضع المناسك)[١].

اما في الاصطلاح (فهو يقتضي حضوراً مكثفاً من الصور التي تتكفل نقل الواقع من زوايا مختلفة، أو هو الصورة التي تحتوي على عناصر مختلفة من المواقف والشخصيات)[٢].

وبهذا يعطي المشهد القارئ احساساً بالمشاركة الجادة في الفعل، إذ إنّه يسمع عنه معاصراً وقوعه كما يقع بالضبط وفي لحظة وقوعه نفسها، إذ لا يفصل بين الفعل وسماعه سوى المدة التي يستغرقها صوت الراوي في قوله، لذلك المنشئ يستخدم المشهد في اللحظات المشحونة، فيقدم دائماً ذروة سياق من الأفعال وتأزمها في المشهد[٣].

لذا يعد المشهد التصويري من أكثر الوسائل أهمية في إثارة اهتمام وتساؤل القارئ، ذلك بأن المشاهد بمكانة اللقطة المقربة للفعل، فمن خلالها يستطيع المنشئ ان يقتنص أدق تفاصيل العملية الحياتية في تعاقبها الزمني، فضلاً عن أن القارئ يستطيع من خلالها أيضاً ان يستنبط استنتاجاته الخاصة من الفعل بدلاً من تقبل التفسيرات التي يطرحها المنشئ[٤].

---

(١) العين (شهد): ٣/ ٣٩٨، ينظر: القاموس المحيط: ١/ ٣٠٦، ينظر: لسان العرب: ٢/ ٢٤١.

(٢) التقابل الدلالي في نهج البلاغة: ١٥٥.

(٣) ينظر: بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ): سيزا قاسم، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٩٨٥: ٩٠.

(٤) ينظر الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا: د. إبراهيم الجنداري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠١م: ١٣٩.

ويرد التقابل بين المشاهد في الصحيفة السجادية بعرض صور مختلفة تنقل لنا واقعاً معيناً يقابله صور أخرى مختلفة تمثل واقعاً غير الواقع الأول ويكون في اغلبه متعلقاً بالمؤمنين ومنزلتهم، والآخر يتعلق بالكافرين ومنزلتهم، أو بالجنة واهلها والنار وعذابها متأثراً بشكل مباشر بما ورد من مشاهد في القران الكريم. ومنها ماورد في الصحيفة السجادية من مشاهد حيث قابل الإمام السجاد عليه السلام بين مشهدي (المسلم) و(المشرك) في دعائه لأهل الثغور:

«أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَكَثِّرْ عِدَّتَهُمْ، وَاشْحَذْ أَسْلِحَتَهُمْ، وَاحْرُسْ حَوْزَتَهُمْ، وَامْنَعْ حَوْمَتَهُمْ، وَأَلِّفْ جَمْعَهُمْ، وَدَبِّرْ أَمْرَهُمْ، وَوَاتِرْ بَيْنَ مِيَرِهِمْ، وَتَوَحَّدْ بِكِفَايَةِ مُؤَنِهِمْ، وَاعْضُدْهُمْ بِالنَّصْرِ، وَأَعِنْهُمْ بِالصَّبْرِ، وَالْطُفْ لَهُمْ فِي الْمَكْرِ. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَعَرِّفْهُمْ مَا يَجْهَلُونَ، وَعَلِّمْهُمْ مَا لاَ يَعْلَمُونَ، وَبَصِّرْهُمْ مَا لاَ يُبْصِرُونَ. أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَأَنْسِهِمْ عِنْدَ لِقَآئِهِمُ الْعَدُوَّ ذِكْرَ دُنْيَاهُمُ الْخَدَّاعَةِ الْغَرُورِ، وَامْحُ عَنْ قُلُوبِهِمْ خَطَرَاتِ الْمَالِ الْفَتُونِ، وَاجْعَلِ الْجَنَّـةَ نَصْبَ أَعْيُنِهِمْ وَلَوِّحْ مِنْهَا لاِبْصَارِهِمْ مَا أَعْدَدْتَ فِيهَا مِنْ مَسَاكِنِ الْخُلْدِ وَمَنَازِلِ الْكَرَامَةِ وَالْحُورِ الْحِسَانِ وَالاَنْهَارِ الْمُـطَّرِدَةِ بِأَنْوَاعِ الاَشْرِبَـةِ، وَالاَشْجَارِ الْمُتَدَلِّيَةِ بِصُنُوفِ الثَّمَرِ، حَتَّى لاَ يَهُمَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِالادْبَارِ، وَلا يُحَدِّثَ نَفْسَهُ عَنْ قِرْنِهِ بِفِرَار. أللَّهُمَّ افْلُلْ بِذلِـكَ عَدُوَّهُمْ، وَاقْلِمْ عَنْهُمْ أَظْفَارَهُمْ، وَفَرِّقْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَسْلِحَتِهِمْ، وَاخْلَعْ وَثَائِقَ أَفْئِدَتِهِمْ، وَبَاعِدْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَزْوِدَتِهِمْ، وَحَيِّرْهُمْ فِي سُبُلِهِمْ، وَضَلِّلْهُمْ عَنْ وَجْهِهِمْ، وَاقْـطَعْ عَنْهُمُ الْمَدَدَ وَانْقُصْ مِنْهُمُ الْعَدَدَ، وَامْلاْ أَفْئِدَتَهُمُ الرُّعْبَ، وَاقْبِضْ أَيْـدِيَهُمْ عَنِ الْبَسْطِ، وَاخْـزِمْ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ النُّطْقِ، وَشَـرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ، وَنَكِّـلْ بِهِمْ مَنْ وَرَاءَهُمْ، وَاقْـطَعْ بِخِزْيِهِمْ أَطْمَـاعَ مَنْ بَعْدَهُمْ. أَللَّهُمَّ عَقِّمْ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ، وَيَبِّسْ أَصْلاَبَ رِجَالِهِمْ، وَاقْطَعْ نَسْلَ دَوَابِّهِمْ

وَأَنْعَامِهِمْ، لَا تَأْذَنْ لِسَمَائِهِمْ فِي قَطْر وَلَا لارْضِهِمْ فِي نَبَات. أللَّهُمَّ وَقَوِّ بِذَلِكَ مِحَالَّ أَهْلِ الاسْلَام، وَحَصِّنْ بِهِ دِيَارَهُمْ، وَثَمِّرْ بِهِ أَمْوَالَهُمْ، وَفَرِّغْهُمْ عَنْ مُحَارَبَتِهِمْ لِعِبَادَتِكَ»(١).

فالمشهدان المتقابلان يستحضر كل واحد منهما الصور المناسبة التي تعزز الغاية التي عرض المشهد لأجلها، فتكاثف الصور بصورة متلاحقة استدعى الإمام عليه السلام بعضها إلى بعض الآخر، لبيان هدفه في الدعاء، ففي المشهد الأول يدعو للمسلمين بالعزة والتأييد والنصرة من خلال تعريفهم المدارج التي يرتادها الاعداء وتبصرتهم بمكايد العدو ومكامنه لينتقل عليه السلام إلى صور أخرى ليحبب الجهاد إلى قلوب المسلمين وهي رسم صور الجنة ونعيمها ميلاً عن الدنيا وزخرفها، فيلاحظ استخدام الإمام عليه السلام صيغ المبالغة عن وصف الدنيا وملذاتها بقوله: «الغرور» و«الفتون» لأنها - الدنيا - تخدع الناس ببهجة منظرها ورونق سرابها وتقرّهم بمساعدتها وإقبالها فيتوهمون بقاءها وثباتها مع انها ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ [النور: ٣٩] إلى الجنة التي يصنور فيها الجمال الذي خلقه الله تعالى لتكون موئلاً للمؤمنين من انهارها الجارية المتتابعة، وقد احسن (سلام الله عليه) بوصف صورة تلك الانهار بأنها (مطرّدة) أي: جارية ويتبع بعضها بعضاً، ووصف اصناف الأشربة مشيرا بذلك إلى قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ﴾ [محمد: ١٥]، ووصف صورة الاشجار المتدلية وظلالها الوارف على هؤلاء المؤمنين، فقد وصف الاشجار بـ (التدلي) إشعارٌ بكثرة الثمر، لأن فروع الشجر لا تتدلى ولا يسترسل إلَّا إذا كثر

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٨٥ وما بعدها..

ثمرها، ويعلل الإمام ﷺ سبب ذكره للجنة حتى لا يتحدث أحد منهم نفسه بالأدبار ولا يخطر بباله الفرار عن كفؤه وقرينه في الحرب.

أما في المشهد الثاني يدعو فيها الإمام ﷺ على الكافرين بالذلة والخسران بالمال والولد وادخال الرعب والخشية من المسلمين في قلوبهم باستخدام سلسلة من المجازات، لكونها ابلغ في رسم تلك الصور كدعائه ﷺ عليهم بقوله «**أللَّهُمَّ افْلُلْ بِذَلِكَ عَدُوَّهُمْ**»(١) فقد استعمل (افلل) هنا مجازاً في ضعف الاعداء وفرارهم، أي: اجعل فرار عدُوهم وضعفهم وعجزهم بسبب ثبات قدمهم، وفي قوله ﷺ و(**أقلِمْ عنهم أظفارَهُمْ**) استعارة مكنية بتشبيه الكفار بالسبع، واثبات الاظفار لهم تخيلية، وذكر التقليم الذي هو من الملائمات.

وقوله: (**اقبض ايديهم عن البسط**) في كفّ ايديهم عن الاضرار بالمسلمين وهو مجاز عن سلب القدرة عنهم عن التصرف مطلقاً.

مثلما يلاحظ تأثر الإمام ﷺ بالقران الكريم بشكل مباشر أو غير مباشر كالتضمين أو الاقتباس وفي قوله: «**شَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ**» اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: ٥٧].

ويلاحظ في تصوير الإمام السجاد ﷺ للمشهدين أنّ في دعائه للمسلمين يذكرهم بخير الدنيا وفوز الآخرة، في حين أنّ في دعائه على الكافرين لم يدعُ عليهم ألَا بالذلة والخسارة في الدنيا، لعلمه يقيناً أنّ مآلهم في الآخرة إلى جهنم.

وكثيراً ما يصحب التقابل الدلالي في الالفاظ، عند عرض المشاهد

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٨٥ وما بعدها.

في الصحيفة السجادية، تقابل دلالي في الجرس والايقاع كأن يكون أحدهما مرتفعاً عنيفاً، والآخر منخفضاً هادئاً[1].

مثلما يلحظ الزيادة والتفصيل في الطرف الأول من التقابل الذي يضم (الدعاء للمؤمنين) بكل انواع القوة والخير في الدنيا، وقابله بخسران جميع هذه الانواع للمشركين، في حين ذكر جزاء المسلمين الجنة بوصفها وذكر نعيمها، ولكنه لم يذكر ما يقابلها، ((لأن في الجنة زيادة مذكورة، فحققها بذكر أمر زائد))[2].

من خلال استخدام اسلوب التكرار الدلالي بتراكيب مختلفة، كتكرار عبارة «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ**» وعبارة (**اللَّهُمَّ**) لتحقيق وظائف فكرية ونفسية وجمالية بالتنويع في عرض تراكيبه اللغوية بين فقرة وأخرى ضمن الواحد لتحقيق عنصر التشويق والإثارة لإدامة التواصل[3].

وتحقيق الوظيفة النفسية من خلال تسليط (الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة)[4].

ومن المشاهد الأخرى التي وردت في الصحيفة السجادية مشهدي (الليل) و(النهار) يعكس فيها عمق التجربة الشعورية للإمام السجاد وغزارة أفكاره وقدرته الفائقة على تجسيم الصور وإضفاء طابع الحركة والحيوية

---

(١) ينظر: التقابل الدلالي في اللغة العربية: ٩٣، ينظر التقابل الدلالي في القران الكريم: ١٥٨.

(٢) التفسير الكبير: ٢/ ٥٧.

(٣) ينظر: المناجيات وأدعية الايام في الصحيفة السجادية: ٢٩.

(٤) ظواهر فنية في لغة الشعر العربي الحديث - دراسة-: علاء الدين رمضان السيد، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، ١٩٩٦: ٦٦.

عليهما من خلال رسم صور متلاحقة لحركة تعاقب الليل والنهار وتصوير مزايا كل منهما بشكل دقيق يتجلى عن علم الإمام ودرايته:

«فَخَلَقَ لَهُمُ اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيْهِ مِنْ حَرَكَاتِ التَّعَبِ، وَنَهَضَاتِ النَّصَبِ، وَجَعَلَهُ لِبَاساً لِيَلْبَسُوا مِنْ رَاحَتِهِ وَمَنَامِهِ، فَيَكُونَ ذَلِكَ جَمَاماً وَقُوَّةً، وَلِيَنَالُوا بِهِ لَذَّةً وَشَهْوَةً. وَخَلَقَ لَهُمُ النَّهارَ مُبْصِراً لِيَبْتَغُوا فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ، وَلِيَتَسَبَّبُوا إِلَى رِزْقِهِ، وَيَسْرَحُوا فِي أَرْضِهِ، طَلَباً لِمَا فِيهِ نَيْلُ الْعَاجِلِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، وَدَرَكُ الآجِلِ فِيْ أُخْراهُمْ. بِكُلٍّ ذلِكَ يُصْلِحُ شَأْنَهُمْ، وَيَبْلُو أَخْبَارَهُمْ»[1].

ففي المشهد الأول يصور الإمام عليه السلام من خلال عرض «الليل» وتشبيه سواد الليل وظلامه الذي يخفي الأشياء ويسترها باللباس، مشيرا إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا﴾ [الفرقان: ٤٧].

على سبيل الاستعارة المكنية، مشبهاً الراحة والمنام بالثوب في شموله للبدن، والجامع للشمول. ليقابلها بمشهد النهار وذلك باسناد الابصار إليه مجازاً في بيان كون النهار مبصراً، أي: سبباً للإبصار.

ويلاحظ ملائمة الافعال التي جاءت في المشهدين، فقد استعمل الفعل (يسرحوا)، لإن الاصل اللغوي للفعل (سرح يسرحُ سرحاً وسروحاً: خرجت بالغداة إلى المراعي، وجاء بالفعل لمناسبته للنهار لإنه لا يكون تسريح الحيوان إلا في النهار، فشبه سعيهم في الأرض لتحصيل المعيشة برعي الانعام فيها)[2] على سبيل الاستعارة المكنية، لبيان حركة الديمومة والاستمرار التي يمثلها مشهد (الليل) أو (النهار).

وهذا يوضح الحكمة الالهية في التصرف بأحوال الايام (الليل

---

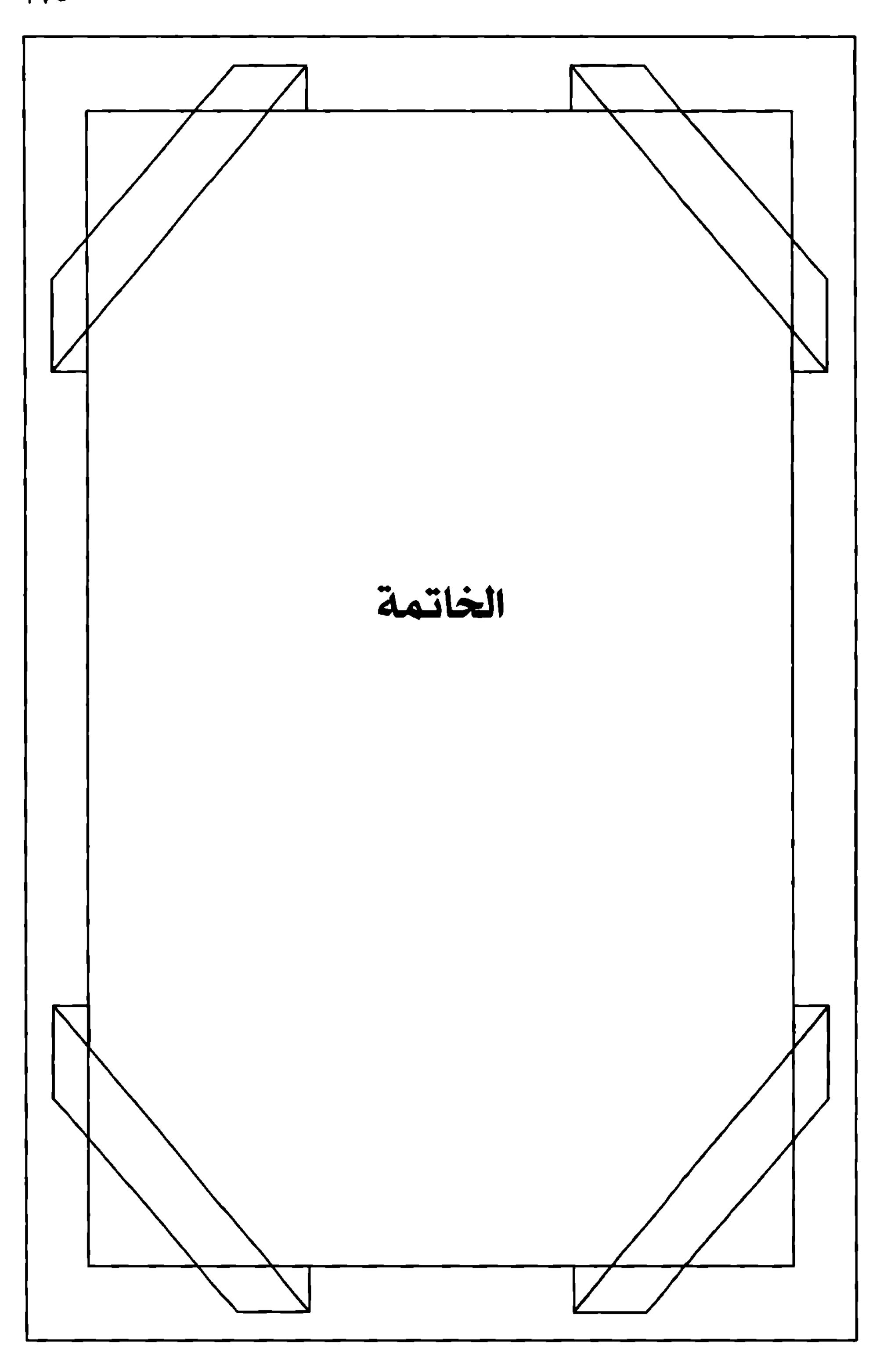
(١) الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٤ - ٢٥.

(٢) العين (سرح): ٣/ ١٣٧-١٣٨.

والنهار) و(الالباس والابصار)، وأثر ذلك التصريف على حياتهم وارزاقهم ووظائفهم بكل انواعها واتجاهاتها، ليكون سبباً لنيل العاجل من الكمالات الاستعدادية في السلسلة النزولية، ودرك الآجل من الكمالات النفسية والعقلية في السلسلة الصعودية[١].



(١) ينظر: لوامع الانوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: ٢/ ٣١٧.



الخاتمة

حمدتُ الله في الأولى وليس لي غير حمده في الثانية حمد الشاكرين وشكر الحامدين....

وبعد هذه الجولة في رياض زبور آل محمد ﷺ لابد أن نسجل قطوفها بعد أن تجولنا في رياضها وندرجها في النتائج التي توصل إليها البحث:

١ - يتضح من خلال القراءة الشاملة للنصوص السجادية، أَن الصحيفة السجادية ليست كتاب أدعية تنظم الصلة بين العبد وربه فقط وإنما تحتوي على أغراض متعددة أهمها:

أ - الغرض التعليمي: هدف فيه الإمام عليه السلام إلى تعليم العبد أسلوب الدعاء لتكون مدرسة تتعلم منها الأجيال على مر العصور، فقد استطاع هذا الإمام العظيم بما أوتي من بلاغة فريدة، وقدرة فائقة على أساليب التعبير العربي، وذهنية ربانية تتفتق عن أروع المعاني وأدقها في تصوير صلة الإنسان بربه ووجده بخالقه، وتعلقه بمبدئه، ومعاده وتجسيد ما يعبر عنه ذلك من قيم خلقية وحقوق وواجبات.

ب - الغرض الديني: هدف فيه الإمام عليه السلام الإشارة إلى منابع الإيمان بالله العظيم وبقدرته وبعزته، فالدعاء حالة تفاعل مع الغيب، لأنه يعبّر عن الاعتقاد بارتباط مصير الإنسان وظواهر حياته العامة بالله، فكلما تعمق إيمان الإنسان بالله مارس الدعاء أكثر؛ تعبيراً عن ذلك الإيمان، فعند البلاء، وعند النعماء وعند الفقر، وعند الغنى، وعند العمل في كل هذه الحالات يدعو فيها الإنسان المؤمن الله لينجح مساعيه أو ينجيه، أو ليقبل توبته.

جـ - **الغرض الأخلاقي**: هدف فيه الإمام عليه السلام إلى تعليم العباد وتهذيبهم على وفق تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة وأخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، وتربية الأمة على الأخلاق الحسنة، ورفع مستواها الخلقي، ولعل هذه المسؤولية من أصعب المسؤوليات لانفتاح العالم الإسلامي في حياة الإمام عليه السلام على عادات وأخلاق جديدة تؤثر في حياة المسلمين وفي أخلاقهم.

د - **الغرض السياسي**: هدف فيه الإمام عليه السلام إلى تأكيد على المكانة التي خص بها الله الرسول الكريم وآله الأطهار وما هيأ لهم من منزلة كريمة وفرض على الناس الصلاة عليهم وإطاعتهم وأعانتهم، والذي حاولت بني أمية جاهدةً اختلاق الشكوك، والشبهات حول آل البيت ومكانتهم، وهذه الحاجة دفعت الإمام عليه السلام إلى تكرار تلك المكانة والمنزلة في أكثر النصوص السجادية لدفع تلك الشبهات، ودحض الاتهامات من خلال الدعاء، لأن أسلوب الدعاء أكثر قدرة على إيصال الأفكار والمفاهيم الإسلامية الصحيحة إلى الأذهان فضلاً عن انه أكثر سعة من دائرة الدرس والبحث الذي لا يمارسه إلَّا العلماء.

هـ - **الغرض التاريخي**: هدف الإمام من خلال كثرة ذكر الصلاة على الرسول وآله إلى بيان موقف الناس من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته وما عاملوهم به من ظلم واضطهاد وقتل وتسليب وطمر لذكرهم، لأنهم مظهر من مظاهر لطف الله تعالى فهم مطهرون من جميع الارجاس والأدناس وشخصياتهم امتداد لشخصية الرسول لذلك جعلهم كنجوم السماء يهتدي بهم الضال في البر والبحر قرنهم مع الكتاب جنباً إلى جنب.

٢ - عرف مفهوم التقابل عند العلماء العرب، فاللغويون درسوا التقابل بضمن الأضداد لكن لم يجعلوه مستقلاً، في حين أن البلاغيين عدّوه من

المحسنات البديعية وبالغوا في تقسيماته وتعريفاته تحت مسميات عدة كالطباق والمقابلة، أمَّا المحدثون فقد درسوا ظاهرة التقابل بضمن العلاقات الدلالية وقسموه على ثلاثة أقسام، ثم توسعوا في دراستها لتشمل المفردة والتركيب والأسلوب، فكان التمهيد دراسة لأنماط التقابل في العربية من حيث الوضوح وعدمه (ظاهر وخفي)، ومن حيث العلاقات الدلالية (متدرج، وغير متدرج، ومتخالف).

٣ - تبين لي من خلال العرض لمسالة سند الصحيفة السجادية وصحة روايتها أنها ثابتة النسبة عقلاً ونقلاً، ويعضد ذلك اتصال سلسلة روايتها وتناقل العلماء لها بالإجازة.

٤ - يمثل التقابل في الصحيفة السجادية ظاهرة دلالية وأسلوبية ونوعاً من أنواع التعبير الذي تميزت به الصحيفة السجادية، فقد تمكن الإمام عليه السلام من إثارة المتلقي وشدّ ذهنه عن طريق توظيف ألفاظه المتقابلة - باستخدام الحواس - في مختلف فروع الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية، من خلال استخدام أنماط التقابل المختلفة، الافرادي والتركيبي، والاسمي والفعلي والحرفي والظرفي، والمتوافق والمتغاير، والمزدوج، والتقابل الأسلوبي المتمثل بالصور والمشاهد والمواقف.

٥ - إن قراءة شاملة للنصوص السجادية تعرّفنا بتشرب الإمام عليه السلام بروح القرآن الكريم، فقد تأثر الإمام بالقرآن الكريم ونهج البلاغة، وأثر كل منهما في أسلوبه، وهذا ما يمكن استنتاجه من خلال شيوع ألفاظ القرآن الكريم والنهج ومعانيها في الصحيفة السجادية، وتأثر الإمام عليه السلام بتوظيف أساليب العربية في الصحيفة مثل ما وُظفت في القرآن ونهج البلاغة، ففي استخدام الألفاظ مثلاً: وردت ألفاظ (الليل والنهار) و(السماء والأرض) و(الحسنة والسيئة) بنسب كثيرة في القرآن الكريم،

ووردت كذلك بنسب كثيرة في الصحيفة السجادية، وقد ترد ألفاظ في القرآن بالنسب نفسها التي وردت في الصحيفة السجادية، كالتقابل بين (العمى والهدى)، و(السراء والضراء)، وهذا لا يعني عدم تفرد الصحيفة بألفاظ لم يرد ذكرها في القرآن الكريم والذي يدل على سعة الألفاظ المتقابلة في الصحيفة السجادية، إذ الصحيفة لم تكن مجرد أدعية تلقى على السامع، بل هي كتاب وعظ وإرشاد وإصلاح وبناء مجتمع على مبادئ الدين الإسلامي ومدرسة أهل البيت. أما تأثر الإمام بأسلوب القرآن الكريم فقد كان من خلال توظيف أساليب (التقديم والتأخير والحذف والذكر، والإفراد والجمع والتعريف والتنكير) لما في هذه الأساليب من مرونة وتطبيع تمنح المنشئ حرية التركيب والإنتاج الدلالي، فهي تحمل المتلقي على التأمل والبحث عن جواب لسؤال مفترض عن العلة في ذلك لماذا؟ لماذا قدم وآخر؟ لماذا افرد هذا وجمع ذاك؟ وهكذا، ليبين إن لكل أسلوب سبباً في موقعه.

٦ - لقد توصل البحث إلى إحصائيات كثيرة، اثبت فيها كثرة ورود الألفاظ النفسية من حيث العدد في الصحيفة السجادية، ثم ألفاظ الزمان ثم ألفاظ أخرى ثم ألفاظ العبادة.

وقلة ورود ألفاظ الغيب وألفاظ الجزاء، وفيما يأتي عرض لإحصاء الألفاظ في الصحيفة السجادية:

أ - الألفاظ النفسية:

وقد وردت في (٦٧) موضعاً وعلى النحو الآتي:

١ - ألفاظ الخير والشر في (سبعة) مواضع من الصحيفة.

٢ - ألفاظ السخط والرضا في (سبعة) مواضع من الصحيفة.

٣ - ألفاظ الضر والنفع في (ستة) مواضع من الصحيفة.

٤ - ألفاظ الرهبة والرغبة في (أربعة) مواضع من الصحيفة.

٥ - ألفاظ الحب والبغض في (أربعة) مواضع من الصحيفة.

٦ - ألفاظ العز والذل في (ثلاثة) مواضع من الصحيفة.

٧ - ألفاظ العلن والسر في موضعين من الصحيفة.

٨ - ألفاظ العسر واليسر في موضعين، ألفاظ اليسار والإقتار في موضعين.

٩ - ألفاظ الأمن والخوف في (ثلاثة) مواضع من الصحيفة.

١٠ - ألفاظ الفرج والشدة في موضع واحد.

١١ - ألفاظ اليقين والريب في موضعين.

١٢ - ألفاظ الحسد والمودة في موضع واحد.

١٣ - ألفاظ الحمد والذم في موضعين.

ب - ألفاظ الزمان: وقد وردت في (٦٤) موضعاً وعلى النحو الآتي:

أ - **ألفاظ الليل والنهار**: في (ستة عشر) موضعاً من الصحيفة السجادية، ويدخل معها اليوم والليل في موضعين، والغد والأمس في موضع واحد.

ب - **ألفاظ الأول والآخر**: في (ثلاثة عشر) موضعاً من الصحيفة.

ت - **ألفاظ الدنيا والآخرة**: في (عشرين) موضعاً من الصحيفة، ويدخل ضمنها ألفاظ العاجلة والآجلة في (أربعة) مواضع من الصحيفة.

ث - **ألفاظ أخرى**: وقد وردت في (٣٧) موضعاً وعلى النحو الآتي:

١. **ألفاظ المقادير**:

أ - **ألفاظ** الصغير والكبير في (خمسة) مواضع من الصحيفة.

ب - ألفاظ القليل والكثير في (خمسة) مواضع في الصحيفة.

٢ - ألفاظ الظاهر والباطن في موضعين وهناك ألفاظ أخرى.

٣ - ألفاظ النعمة والنقمة في موضعين في الصحيفة.

٤ - ألفاظ الفناء والبقاء في موضعين وهناك ألفاظ أخرى.

ج - ألفاظ المكان:

وبلغ عدد ألفاظ المكان في الصحيفة (٢٣) لفظاً وعلى الشكل الآتي:

أ - ألفاظ السماء والأرض في (تسعة عشر) موضعاً من الصحيفة.

ب - ألفاظ اليمين والشمال في موضع واحد من الصحيفة.

ت - الظروف (فوق، تحت) في موضع واحد، وفوق وأعلى في موضعين من الصحيفة.

ح - ألفاظ العبادة: وقد وردت في (٣٩) موضعاً وعلى النحو الآتي:

١. ألفاظ الطاعة والمعصية في (تسعة عشر) موضعاً من الصحيفة.

٢ - ألفاظ الحسنة والسيئة في (ستة عشر) موضعاً من الصحيفة.

٣ - ألفاظ الحلال والحرام في موضعين من الصحيفة.

٤ - ألفاظ الطهارة والدنس في موضعين من الصحيفة.

ولعل سبب كثرة ورود هذه الألفاظ ما فيها من مجال رحب يصور فيها قدرة الباري وضعف الإنسان وعجزه الدائم، لذلك جاءت ألفاظ (الطاعة والمعصية) و(الخير والشر) و(الحب والكره) معبرةً عن هذا المعنى الذي يقع بين الترهيب والترغيب لهداية العبد وإرشاده إلى الطريق الصحيح، وكذلك التعبير عن هذا المعنى بأعظم آيات الخالق (السماء والأرض) و(الليل والنهار) و(الأول والآخر) الدالة على وجود الله سبحانه، ووحدانيته وقدرته وحكمته. ويتضح من خلال الإحصائيات الواردة في الصحيفة السجادية لألفاظ الغيب وهي:

أ - ألفاظ الجنة والنار في موضع واحد من الصحيفة.

ب - ألفاظ الحياة والوفاة في موضعين من الصحيفة ويدخل العيش والموت في موضعين، وألفاظ الجزاء والبالغ عددها (أحد عشر) موضعاً وعلى النحو الآتي:

أ - ألفاظ الثواب والعقاب في (ستة) مواضع من الصحيفة السجادية.

ب - ألفاظ الذنب والتوبة في (خمسة) مواضع من الصحيفة السجادية.

هي أن معظم موضوعات الصحيفة تدور في مناجاة الباري والثناء على قدرته وحكمته والتذكرة بالعجز الدائم والاحتياج المستمر إلى عونه سبحانه ولطفه في الدارين، وقد ورد ذكر أوصاف النار وأهوالها والتذكير بالجنة وثوابها بشكل منفرد إلّا انه وردت في مواضع قليلة.

٧ - عبّرت ظاهرة التقابل الدلالي عن معانٍ منها مدى الإحاطة والشمول، منها قول الإمام السجاد عليه السلام: «**أَلْحَمْدُ للهِ الأول بِلا أول كَانَ قَبْلَهُ، وَالآخِرِ بِلَا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ**»، وقد يرد التقابل لبيان معنى العموم، وذلك في قول الإمام: «**لا أَسْتَشْهِدُ عَلَى صِيَامِي نَهَاراً، وَلَا أَسْتَجِيرُ بِتَهَجُّدِي لَيْلاً**».

٨ - إن التقابل في الصحيفة السجادية لا يعني التضاد في كل الأحوال، فقد يكون التقابل تضاداً فعلاً كالتقابل بين (المسلم والمشرك)، وقد يكون التقابل تغايراً أو تخالفاً، كالتقابل بين (الليل والنهار) أو (الجن والإنس)، فإن كلاً من هذه الثنائيات الواردة يكمل أحدهما الآخر، (فالجن والإنس) يكونان العالم التكليفي، (والليل والنهار) يتعاقبان ليكونا اليوم.

٩ - تجلى لنا من خلال دراسة الأفعال في الصحيفة السجادية شيوع

الفعل الماضي، ثم فعل الأمر ومن ثم الفعل المضارع من حيث الورود، ولكن كثيراً ما خرجت الصيغة الماضية إلى زمن المستقبل بالقرائن اللفظية، لإتصاف الفعل المضارع بحركة أوسع شمولاً من قرينة الماضي - صياغة وزمناً - كذلك خروج فعل الأمر من دلالته على طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام إلى الطلب - مجازاً - على سبيل التضرع والدعاء، وبيان عبارات التودد والخضوع علاوة على الالتزام بآداب الدعاء فأعطى أسلوب الأمر قيمة وطبيعة معنوية ودلالية يزاد عليها القيمة اللغوية التي أسهمت في تحديد ملامح الصورة المطلوبة لإصابة الغرض المقصود.

١٠ - ويتضح للباحث من خلال دراسة الفعل أن الفعل لم يتحكم بما له من دلالة على الزمن - في الصحيفة السجادية - ، بل كان للزمن بعد آخر من الأبعاد التي دل عليها بناء الأفعال، وإنما تحكمت القرائن في ذلك الزمن فصرفت معناه إلى حيث تريد كخروج الفعل الماضي إلى زمن الاطلاق لاقتفاء السياق ذلك.

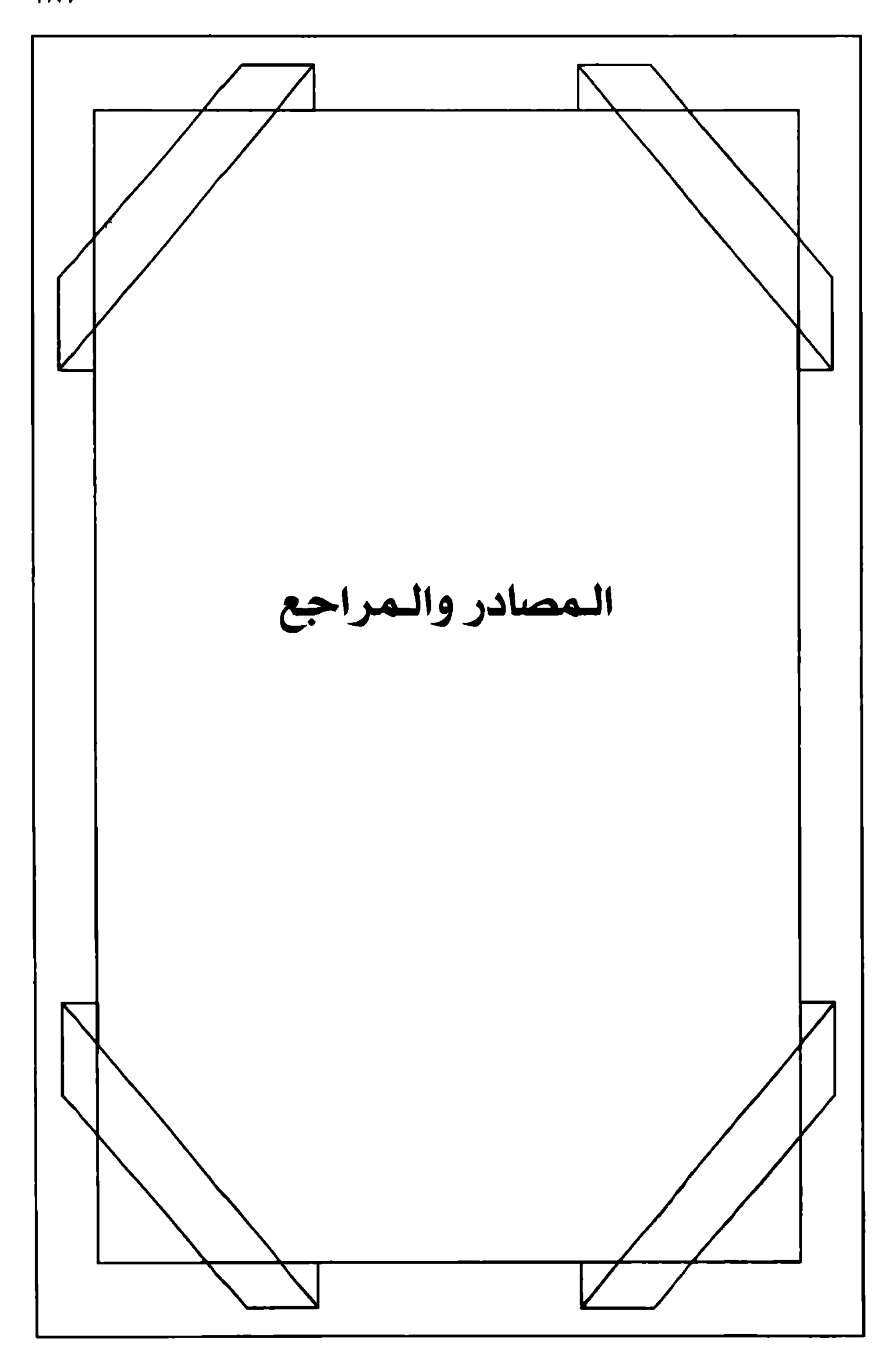
١١ - عرض البحث لدراسة تقابل الإيقاع في بعض النصوص السجادية، وخلص إلى أن الإمام عليه السلام قد استثمر معاني الأصوات الدالة على التقابل، بين كلام فيه طراوة وحلاوة تنساب برقة وعذوبة، وكلام يشكل نوعاً من الغلظة والقوة بما يحمله من التهديد والوعيد، وما ذلك الإيحاء بالرقة والعذوبة أو الغلظة والقوة إلّا نتيجة للخصائص التي تميّزت بها تلك الأصوات من حيث الصفات والمخارج، ولذا بدا التقابل لنا في (الصحيفة السجادية) مذهباً تعبيرياً استدلالياً منطقياً لتوليد الاقتناع والاختيار، فضلاً عن كونه - بشكل أو آخر - حالة جمالية في الكلام، من شأنها أنها تبرز المعنى، ولا تحرص على إيقاع إلّا إذا جاء عفو الخاطر لا يعارض المعنى ولا يضعفه.

١٢ - أتضح لنا من خلال دراسة التراكيب في الصحيفة السجادية، أن الجملة الفعلية قد حظيت بمساحة واضحة، وقد فاق استعمالها في دعاء الإمام عليه السلام استعمال الجملة الاسمية، وقد درست الجملة الفعلية التي فعلها فعل ماضٍ ثم التي فعلها مضارع، ثم التي فعلها أمريّ، وأظهر البحث أن مرد ذلك راجع إلى إن في الدعاء صوراً كثيرة من عرض الحال التي تتم بالجملة الفعلية بوضوح ويسر أكثر من وضوحها بالجملة الاسمية، إذ أن الداعي يلجأ إلى إطالة المدحة والوقوف بين يدي ربه كل ذلك يحصل بالجملة الفعلية بصورة مرضية أكثر من الاسمية، وبهذا لم تنل الجملة الاسمية حظها من الانتشار في الصحيفة السجادية عكس التراكيب الفعلية التي تنوعت بين تقابل فعلي وتغاير وحرفي.

١٣ - كشف البحث أن شبه الجملة قد شغلت المرتبة الثانية بعد الجملة الفعلية والمؤلفة من الجار والمجرور، فهي أكثر بكثير من الظرف، فقد تبين لنا قلة استخدام الظروف في الصحيفة السجادية بشكل تقابلي.

١٤ - شغل الأسلوب الشرطي مساحة لا بأس فيها بضمن النصوص السجادية المدروسة وجاءت تراكيبه متلونة بلون أدوات الشرط - الجازمة وغير الجازمة - والتي أثرت النص بدلالات كثيرة.

١٥ - أظهر التقابل الدلالي قدرة الإمام عليه السلام على التعبير المكثف بتركيب مختزل لأنجاز المعنى الدلالي حتى في اللفظة الواحدة وحيث يتجاوز إلى عبارات الهدف منها تحقيق الغاية التي أخرجت لها النصوص من خلال إبرازها في فكرة أو صورة متكاملة أو مشهد حي أو موقف شامل باللجوء إلى ألفاظ متقابلة.



المصادر والمراجع

القرآن الكريم

(أ)

١ - أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية: د. نجاة عبد العظيم الكوفي، د.ط، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢ - أبنية الصرف في كتاب سيبويه: د. خديجة الحديثي، ط١، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، ٢٠٠٣م.

٣ - الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي: د. عدنان حسين قاسم، د.ط، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مدينة نصر، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٤ - الاتجاهات النحوية لدى القدماء (دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة): د. حليمة أحمد عمايرة، ط١، دار الأوائل للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ٢٠٠٦م.

٥ - أسس النقد الأدبي عند العرب: أحمد بدوي، ط٣، دار نهضة مصر للطبع، الفجالة، القاهرة ١٩٦٤.

٦ - الإسلام والأدب: د. محمود البستاني، ط١، المكتبة الأدبية المختصة، قم، ١٤٢٢هـ.

٧ - الأسلوب: أحمد الشايب، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م.

٨ - الأسلوب والأسلوبية: عبد السلام المسدي، ط٣، الدار العربية للكتاب، طرابلس - ليبيا، د.ت.

٩ - الأشباه والنظائر في النحو: لأبي بكر جلال الدين السيوطي ت(٩١١) هـ، ط٢، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣١٦هـ.

١٠ - الاشتقاق: عبد الله أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، القاهرة، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.

١١ - الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ط٣، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ١٩٩٩م.

١٢ - أعلام الهدى (الإمام علي بن الحسين عليه السلام زين العابدين): لجنة التأليف في المجمع العلمي لأهل البيت، ط٣، مطبعة ليلى، قم المقدسة، ١٤٢٧هـ.

١٣ - الإمام زين العابدين عنقودٌ مرصّع: سليمان كتابي، ط١، دار الروضة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٤ - الإمام زين العابدين عليه السلام القائد والداعية، والإنسان: د. محمد حسين على الصغير، ط١، الغدير للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩م.

١٥ - الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: لكمال الدين أبي بركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الانباري ت (٥٧٧)هـ، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف: لمحمد محي الدين عبد الحميد، د. ط، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت - لبنان، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٦ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، د. ط، دار الكتب والعلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

١٧ - أنوار الربيع في أنواع البديع: لعلي صدر الدين بن معصوم المدني ت (١١٢٠)هـ، تح: شاكر هادي شكر، ط١، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٨م.

١٨ - الإيضاح في علل النحو: لأبي القاسم الزجاجي ت (٣٣٧)هـ، تح: مازن المبارك، ط٢، أمير، قم - إيران، ١٣٦٣هـ.

(ب)

١ - بحار الأنوار الجامعة لدُرر أخبار الأئمة الأطهار: للشيخ محمد باقر المجلسي ت(١١١٣)هـ، ط٢، مؤسسة الوفاء للطباعة، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢ - بحوث في الصحيفة السجادية: الشيخ صالح الطائي، د.ط،مطبعة العاني، بغداد، د.ت.

٣ - بدائع الفوائد: لشمس الدين محمد بن أبي بكر أبن قيم الجوزية ت(٧٥١)هـ، الطباعة المنيرية، القاهرة، د.ت.

٤ - البرهان في علوم القرآن: للإمام بدر الدين أبي عبد الله الزركشي ت(٧٩٤)هـ، قدّم له وعلّق وخرّج أحاديثه: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.

٥ - البلاغة العربية (قراءة أخرى): محمد عبد المطلب، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٧م.

٦ - البلاغة العربية (المعاني والبيان والبديع): د. أحمد مطلوب، ود. كامل حسن البصير، ط١، مطابع التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٠م.

٧ - بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ): سيزا قاسم، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٥.

(ت)

١ - تحولات النص - بحوث ومقالات في النقد الأدبي: د. إبراهيم خليل، ط١، منشورات وزارة الثقافة، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ١٩٩٩م.

٢ - تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: لأبن مالك ت(٦٧٢)هـ، تح: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، د.ط، القاهرة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

٣ - تشريح النص - مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة - : عبد الله محمد الغذامي، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٢م.

٤ - التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: عودة خليل عودة، د.ط، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٩٨٥م.

٥ - التعريفات: لعلي بن محمد الجرجاني ت(٨١٦)هـ، د.ط، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٣٨م.

٦ - التعريف بالتصريف: علي أبو المكارم، ط١، مؤسسة المختار، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٧ - التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: لفخر الدين محمد بن عمر الرازي ت(٦٠٤)هـ، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٤٥هـ - ٢٠٠٤م.

٨ - التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث: د. سامي محمد عبابنة، ط١، عالم الكتب الحديثة، أربد، الأردن، ٢٠٠٧م.

٩ - التقابل والتماثل في القرآن الكريم: د. فايز عارف القرعان، ط١، المركز الجامعي للنشر، أربد، الأردن، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٠ - التمهيد في النقد الأدبي: روز غريب، د.ط، دار المكشوف، بيروت، ١٩٧١م.

١١ - توضيح نهج البلاغة: السيد محمد الحسيني الشيرازي، طهران، دار تراث الشيعة.

(ج)

١ - الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت(٦٧١)هـ، اعتنى به وصححه: الشيخ هشام سمير، ط١، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢ - جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: د. ماهر مهدي هلال، د.ط، دار الرشيد للنشر، بغداد، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م.

٣ - الجمل في النحو: لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ت(٣٣٧)هـ، تح: الشيخ ابن أبي شنب، ط٢، ١٩٥٧م - ١٣٧٦هـ، مطبعة كلنسكيك، باريس.

٤ - الجنى الداني في حروف المعاني: للحسن بن أم القاسم المرادي ت(٧٤٩)هـ، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٥ - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد بن إبراهيم الهاشمي ت(١٩٤٣م)، اعتنت به: نجوى أنيس ضو، دار أحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٩٩٨م.

(ح)

١ - حاشية الصّبان شرح الاشموتي على ألفية ابن مالك شرح الشواهد الليني، تح: محمود بن الجميل، ط١، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢ - الحديقة الهلالية شرح دعاء الهلال في الصحيفة السجادية: الشيخ محمد حسين العاملي البهائي (٩٥٣ - ١٠٣٠)هـ، تح: السيد علي الموسوي الخراساني، ط١، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مطبعة مهر - قم.

٣ - الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل: لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطيلوسي ت(٥٢١)هـ، تح: سعيد عبد الكريم سعودي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.

٤ - الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٥٧ : د. صالح أبو أصبع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.

٥ - حياة الإمام زين العابدين (دراسة تحليلية): باقر القرشي، ط، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٨م.

٦ - حياة الإمام علي بن الحسين: د. جعفر شهيدي، ترجمة: أحمد الحلبوني، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(د)

١ - دراسات في النفس الإنسانية: محمد قطب، دار الشرق، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢ - دراسة حول الصحيفة السجادية: للشيخ محمد حسين الحسيني، ط٣، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت - لبنان، ٢٠٠٠م.

٣ - دلائل الإعجاز: للإمام عبد القاهر الجرجاني النحوي ت(٤٧١)هـ، صححه وشرحه وعلق عليه: أحمد مصطفى المراغي، ط٢، المكتبة المحمودية التجارية، مصر، د.ت.

٤ - الدلالة الزمنية في الجملة العربية: د. علي جابر المنصوري، ط١، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٨٤م.

٥ - دليل الدراسات الأسلوبية: جوزيف ميشال شريم، ط١، المؤسسة الجامعة، بغداد، ١٩٨٤م.

(ذ)

١ - الذريعة إلى تصانيف الشيعة: محمد محسن أغا بزرك الطهراني، ط١، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٥٩م.

(ر)

١ - رصف المباني في شرح حروف المعاني: للإمام أحمد بن عبد النّور

المالقي ت(٧٠٢)هـ، تح: أحمد محمد الخراط، مطبعة زيد بن ثابت، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٢ - رياض السالكين في شرح الصحيفة السجادية: السيد علي خان الحسيني الشيرازي (١٠٥٢-١١٢٠)هـ - ق، تح: السيد محسن الأميني، ط٥، مؤسسة النشر الإعلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ١٤٢٧هـ.

(ز)

١ - الزمن في النحو العربي: د. كمال إبراهيم بدري، ط١، دار أمية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٤هـ.

(س)

١ - سر صناعة الإعراب: لأبي الفتح عثمان ابن جني ت(٣٩٢)هـ، تح: د. حسن هنداوي، ط٣، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢ - سيرة الإمام علي بن الحسين عليه السلام: علي محمد علي دخيل، ط١، دار المرتضى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(ش)

١ - شذا العرف في فن الصرف: أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي ت(١٣٥١)هـ، ط٢، مؤسسة أنوار الهدى للطباعة والنشر، قم - إيران، ١٤٢٤هـ.

٢ - شرح أصول الكافي: محمد صالح المازندراني ت(١٠٨١)هـ، تعاليق: الميرزا أبو الحسن الشطرني، ضبط وشرح: السيد علي عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣ - شرح الصحيفة السجادية: محمد مهدي الحسيني، كربلاء المقدسة، ١٩٨٥م.

٤ - شرح الكافية: لمحمد بن حسن الرضي الاستراباذي ت(٦٨٦)هـ، مطبعة استانبول.

٥ - شرح المفصل: لموفق الدين يعيش ابن علي بن يعيش النحوي ت(٦٤٣)هـ، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.

٦ - شعرنا الحديث إلى أين: د. غالي شكري، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٩٧٨م.

(ص)

١ - الصحيفة السجادية الكاملة: للإمام علي بن الحسين عليه السلام، دار الكتب العلمية، بغداد، د.ت.

٢ - صفاء الكلمة: عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، ١٩٨٣م.

٣ - الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم: د. محمد فريد عبد الله، ط١، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ٢٠٠٨م.

٤ - الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: د. جابر عصفور، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.

٥ - الصورة الفنية في المثل القرآني: د. محمد حسين على الصغير، ط١، دار الهادي، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ - ١٩٩٢م.

٦ - صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القيشري النيسابوري، وافق على طبعه وتحقيق النصوص وتصحيحه وترقيمه وعدّ كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه ملخص شرح الإمام النووي مع زيادات عن أئمة اللغة: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(ط)

١ - الطبيعة في القرآن الكريم: د. كاصد الزيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.

(ع)

١ - علم الأسلوب - مبادئه وإجراءاته - : د. صلاح فضل، د.ط، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٥م.

٢ - علم الأصوات اللغوية: د. مناف مهدي الموسوي، ط٣، دار الكتب العلمية، بغداد، ١٤١٩هـ - ٢٠٠٧م.

٣ - علم الدلالة: أحمد مختار عمر، ط١، مكتبة دار العربية، بيروت، ١٩٨٢.

٤ - علم الدلالة: جون لاينز، ترجمة، مجيد عبد الحليم الماشطة، مطبعة البصرة، ١٩٨٠م.

٥ - علم الدلالة: فـ بالمر، ترجمة: مجيد عبد الحميد الماشطة، مطبعة العمال المركزية، ١٩٨٥م.

٦ - علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: د.هادي نهر، تقديم: د. علي الحمد، ط١، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٧م.

٧ - علل النحو: لأبي الحسن محمد بن عبد الله ابن الوراق ت(٣٨١)هـ، تح: محمود جاسم الدرويش، مطبعة إبداع، بغداد - العراق، ٢٠٠٢.

(ف)

١ - الفروق في اللغة: لأبي هلال العسكري ت(٣٩٥) هـ، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م.

٢ - الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا: إبراهيم جندراي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ٢٠٠١م.

٣ - الفعل زمانه وأبنيته: د. إبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٤ - الفعل في نحو ابن هشام: د. عصام نور الدين، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ١٩٧١م.

٥ - في ظلال الصحيفة السجادية: شرح الشيخ محمد جواد مغنية، تح: سامي الغريري، ط١، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، مطبعة ستارة، ١٤١٣هـ - ٢٠٠٢م.

٦ - في ظلال القرآن: سيد قطب، ط٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧١م.

٧ - في النحو العربي - قواعد وتطبيق - : د. مهدي المخزومي، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

٨ - في النحو العربي - نقد وتوجيه - : د. مهدي المخزومي، ط٢، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٦٤م.

(ق)

١ - القاموس المحيط: للعلامة محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزآبادي ت(٨١٧)هـ، ط٥، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها: مصطفى محمد وأولاده، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

٢ - قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: د. سناء حميد البياتي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ٢٠٠٣م.

(ك)

١ - الكافي: لأبي جعفر بن محمد يعقوب بن إسحاق الكليني ت(٣٢٨ -

٣٢٩)هـ، صححه وقابله وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، ط٣، دار الكتب الإسلامية، حيدري، ١٣٨٨هـ.

٢ - الكافية الكبرى في علم النحو: خليل بن الملا حسين الاسعردي الشافعي، تح: إلياس قبلان التركي، ط٢، دار صادر، بيروت، مكتبة الإرشاد، استنابول، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٣ - كتاب الأضداد: لأبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني، تح: محمد عودة أبو جري، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٤ - كتاب الأضداد: محمد بن القاسم الانباري ت(٣٢٨)هـ، تح: محمد ابو الفضل إبراهيم، الكويت، ١٩٦٠م.

٥ - كتاب العين: لأبي عبد الرحمن بن احمد الفراهيدي ت(١٧٥)هـ، تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ط٢، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦ - الكتاب: لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت(١٨٠)هـ المعروف بسيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٦، عالم الكتب، بيروت.

٧ - كتاب اللامات: لابي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ت(٣٣٧)هـ، تح: د. مازن المبارك، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٨ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم جار الله الزمخشري ت(٥٣٨)هـ، ط١، منشورات البلاغة، قم المقدسة.

٩ - كشاف اصطلاحات الفنون: لمحمد علي التهانوي ت(١١١٩)هـ، تح: د. لطفي عبد البديع، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.

(ل)

١ - لسان العرب: لجمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ت(٧١١)هـ، دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.

٢ - اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان، مطابع الهيئة المصرية، مصر ١٩٧٣م.

٣ - لغة القرآن الكريم: عبد الجليل عبد الرحيم، ط٣، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان - الأردن، ١٩٨١م.

٤ - اللمع في العربية: لأبي الفتح عثمان بن جني ت(٣٩٢)هـ، تح: حامد المؤمن، مطبعة العاني، بغداد، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٥ - لوامع الأنوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: للسيد محمد باقر الموسوي الشيرازي، صححه وقدّم له: مجيد هادي زادة، حوزة اصفهان العلمية.

(م)

١ - مباحث في علم اللغة واللسانيات: د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، ط، دار الشؤون الثقافة العامة، بغداد، ٢٠٠٣م.

٢ - المباحث اللغوية في العراق: مصطفى جواد، ط٢، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٥هـ.

٣ - مجمع البيان في تفسير القرآن: لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ت(٥٤٨)هـ، وقف على تصحيحه الشيخ: ابو الحسن الشعراني، طهران، ١٣٧٣هـ.

٤ - مخارج الحروف وصفاتها: لأبي الاصبغ السماني الاشبيلي المعروف بابن

الطحان ت(٥٦٠)هـ، تح: د. محمد يعقوب تركستاني، ط١، مركز الصف الالكتروني، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٥ - المخصص: لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده ت(٤٥٩)هـ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.

٦ - مسائل خلافية في النحو: لأبي بقاء العكبري ت(٦١٦)هـ، حققه وقدّم له: محمد خير الحلواني، د.ط، د.ت.

٧ - مشكل إعراب القرآن: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ت(٤٣٧)هـ، دراسة وتحقيق د. حاتم الضامن، منشورات وزارة الإعلام في الجمهورية العراقية، ١٩٧٥م.

٨ - معاني الأبنية في العربية: د. فاضل السامرائي، ط١، الكويت، ١٩٨١م.

٩ - معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرآء ت(٢٠٧)هـ، تح: محمد علي النجار وآخرون، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨٣م.

١٠ - معاني النحو: د. فاضل السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٩٩١م.

١١ - المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، أشرف على طبعه: عبد السلام هارون، المكتبة العلمية، طهران، د.ت.

١٢ - مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: لجمال الدين ابن هشام الأنصاري ت(٧٦١)هـ، حققه وعلق عليه: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الأفغاني، ط١، دمشق، ١٩٦٤م، ط٢، بيروت، ١٩٦٩م، ط٥، بيروت، ١٩٧٩م.

١٣ - المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت(٥٠٢)هـ، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، ط الأخيرة، مطبعة البابي الجلبي وأولاده بمصر، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

١٤ - المفصل في علم العربية: للإمام أبي القاسم الزمخشري ت(٥٣٨)هـ، وبذيله المفضل في شرح أبيات المفصل، للسيد محمد النعساني، ط١، المكتبة المصرية، صيدا - بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

١٥ - مقدمة ابن خلدون: لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت(٨٠٨)هـ، ضبط وشرح وتقديم: د. محمد الاسكندراني، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م.

١٦ - المقرب: لعلي بن مؤمن المعروف بابن عصفور ت(٦٦٩)هـ، تح: أحمد عبد الستار الجواري، عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

١٧ - المقتضب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ت(٢٨٥)هـ، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، لجنة احياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٦هـ.

١٨ - مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان، دار الثقافة، القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م.

(ن)

١ - نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية: السيد نعمة الله الجزائري، ط١، قم - إيران، ١٤٢٧هـ.

(هـ)

١ - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تصحيح: محمد بدر الدين النعساني، ط١، محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاؤه، بمصر والاستانة، ١٣٢٧هـ.

الرسائل والأطاريح الجامعية

١ - إسناد الفعل: دراسة في النحو العربي (رسالة ماجستير): رسمية محمد المياح، كلية الآداب - جامعة بغداد، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٥م.

٢ - أنماط التركيب في العربية (رسالة ماجستير): عبد الله عوض عمر بن سميط، كلية الآداب - جامعة بغداد، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣ - التقابل الدلالي في القرآن الكريم (رسالة ماجستير): منال صلاح الدين عزيز الصفار، كلية الآداب - جامعة الموصل، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٤ - التقابل الدلالي في نهج البلاغة (رسالة ماجستير): تغريد عبد فلحي كظوم الخالدي، كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٥ - الصحيفة السجادية (دراسة أسلوبية) (رسالة ماجستير): حسن غانم الجنابي، كلية الآداب - جامعة القادسية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٦ - ظاهرة التقابل في اللغة العربية (رسالة ماجستير): عبد الكريم حافظ العبيدي، كلية الآداب - جامعة المستنصرية، بغداد، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٧ - اللون في القرآن الكريم - دراسة لغوية نحوية دلالية - (أطروحة دكتوراه): نضال حسن سلمان، كلية التربية - جامعة الكوفة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٨ - معاني الحروف الثنائية والثلاثية بين القرآن الكريم وشعراء المعلقات السبع (أطروحة دكتوراه): رزاق عبد الأمير الطيار، كلية التربية - ابن رشد - جامعة بغداد.

٩ - المناجيات وأدعية الأيام عند الإمام زين العابدين عليه السلام - دراسة أسلوبية - (رسالة ماجستير): إدريس طارق، كلية التربية - جامعة بابل، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

الدوريات

١ - الصحيفة السجادية (بحث): الدكتور حسين علي محفوظ، مجلة البلاغ، العدد (١٠)، السنة (١٩٦٧) م.

٢ - ظاهرة التقابل الدلالي في سورة الزمر (بحث): أحمد نصيف الجنابي، مجلة الرسالة الإسلامية، طبع الدار العربية، بغداد، ١٩٨٨م.

٣ - ظاهرة التقابل في علم الدلالة (بحث): أحمد نصيف الجنابي، مجلة آداب المستنصرية، ١٩٨٤م.

Abstract

This research deals with the contrastive semantics in al-Sahifa al-Sajadia because the contrastive semantics was is a wide field to study one of the treasures of the progeny of Mohammad "prayer and peace be upon them", that it represents a source full of the different linguistic types and styles which are applied in al-Sahifa al-Sajadia.

The study involved to be consisted of an introduction, three chapters and a conclusion that includes the most important results. The preface includes two topics: al-Sahifa and its source without dealing with the chain of the narrators, because other scholars had dealt with it before, we referred only to the studies that followed the source, emphasizing that the study field was the full text of al-Sahifa al-Sajadiya, rather than the other papers, due to the validity of its source and narrators.

The second topic studies the types of contrastive semantics in the Arabic language, on the level of clearness "clear and hidden", on the level of the semantic relations "unprogressive type", progressive type and a contradictory type.

In the first chapter, the researcher studies the phenomenon of the contrastive semantics in the single term by studying contrastive semantics among the terms of time and place, the good conducting and aberration terms, worship and reward or retribution terms and the generic terms as well as other terms. What should be mentioned is that the study was of "nouns, derivations and infinitives" by using styles of omitting or elision, mention, single and plural, definite and indefinite articles..... etc. all that indicate the Imam skillfulness in using linguistic styles.

The second chapter is devoted to contrastive semantics among verbs starting with a preface to define the origin of deviation, then to deal with the verbs according to time: the past time verbs, the present and future time verbs and imperative verbs. The second step of this chapter is to study the variation(contrastive semantics) which comes into three types" the single, the structural single and the double types, with which the study of rhythm is ended.

The third chapter studies contrastive semantics in the structures, first with the (verbal, nominal and conditional) structures, then with the biggest units (styles) to deal with the images and attitudes.

The research ends with a conclusion that includes the most important results followed by a bibliography.

الفهرس

الفصل الأول: التقابل الدلالي بين الألفاظ المفردة